سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٦١٢)

{ ليس لك من الأمر شيء }

الاستدلال بهذه الآية

في مصنفات العقيدة والتفسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

WWW.NSOOOS.COM

"ص -١٥٦- يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني . وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني .

وليس لأحد أن يحتج على النسخ بما في الصحيحين عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول : " اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا " بعد ما يقول : " سمع الله لمن حمده : ربنا ولك الحمد " ، فأنزل الله : **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} " [آل عمران : ١٢٨] ، فإن هذا إنما يدل على ترك اللعنة لهم، لكونه ليس له من الأمر شيء لجواز توبتهم، وهذا إذا كان نهيا فلا فرق فيه بين الصلاة وخارج الصلاة، والكلام إنما هو في الدعاء الجائز خارج الصلاة، كالدعاء لمعينين مستضعفين، والدعاء على معينين من الكفار بالنصرة عليهم، لا باللعنة ونحو ذلك .

والقول الثاني : قول من يقول من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهم : إن تحريم الكلام كان بمكة بناء على أن النسخ ثبت بحديث ابن مسعود بناء على ما ذكره ابن اسحاق في السيرة قال : وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك إسلام أهل مكة الذي كان باطلا، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا، فكان من قدم." (١)

"ص -١٠٣- المتأخرين، وهذا لا يصح لا على مذهب أهل السنة، ولا على مذهب الرافضة . فأين أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ؟ ! والحسن عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد قارب سن التمييز والاحتلام .

وقد حكي عن بعض الأكابر من الشيوخ المنتحلين لهذا : أن [القطب الفرد الغوث الجامع] ينطبق علمه على علم الله تعالى، وقدرته على قدرة الله تعالى، فيعلم ما يعلمه الله، ويقدر على ما يقدر عليه الله . وزعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كذلك، وأن هذا انتقل عنه إلى الحسن، وتسلسل إلى شيخه . فبنت أن هذا كفر صريح، وجهل قبيح، وأن دعوي هذا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفر، دع ما سواه، وقد قال الله تعالى : {قل لا أقول لكم عندي خزآئن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك } [الأنعام : ٥٠] ، قال تعالى : {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون } الآية [الأعراف : ١٨٨] ،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٣٦

وقال تعالى : {يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا } الآية ،وقال تعالى : {يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله } [آل عمران : ١٥٤] ، وقال تعالى : {ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خآئبين **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون } [آل عمران : ١٢٧، ١٢٨] ،." (١)

"ص -٣٠٣- ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يتخذ قبره مسجدا، وأن يتخذ عيدا، وقال فى مرض موته : " لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " يحذر ما صنعوا، أخرجاه فى الصحيحين . وقال : " اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " رواه مالك فى موطئه، وقال : " لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا : عبد الله ورسوله " متفق عليه .

وقال : " لا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد . بل ما شاء الله ثم شاء محمد " . وقال له بعض الأعراب : ما شاء الله وشئت، فقال : " أجعلتنى لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده " . وقد قال الله تعالى له : {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء} [الأعراف : ١٨٨] ، وقال تعالى : {لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا} [يونس : ٤٩] ، وقال تعالى : {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} [القصص : ٥٦] ، وقال تعالى : **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران : ١٢٨] . وهذا تحقيق التوحيد مع أنه صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق على الله، وأعلاهم منزلة عند الله .

وقد روى الطبرانى فى معجمه الكبير أن منافقا كان يؤذى المؤمنين، فقال أبو بكر : قوموا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله " .

وفى صحيح مسلم فى آخره أنه قال قبل أن يموت بخمس : " إن من كان." (٢)

"ص -٢٨٩- وتعالى اشتاق بأن يرى ذاته المقدسة، فخلق من نوره آدم عليه السلام وجعله كالمرآة ينظر إلى ذاته المقدسة فيها، وإني أنا ذلك النور، وآدم المرآة . قال ابن الفارض في قصيدته السلوك :

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤١/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٧٨/١٤

وشاهد إذا استجليت نفسك من ترى بغير مراء في المرآة الصقيلة

أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر إليك بها عند انعكاس الأشعة

قال : وقال ابن إسرائيل : الأمر أمران : أمر بواسطة، وأمر بغير واسطة، فالأمر الذي بالوسائط رده من شاء الله وقبله من شاء الله، والأمر الذي بغير واسطة لا يمكن رده، وهو قوله تعالى : { إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون } [النحل : ٤٠] .

فقال له فقير : إن الله قال لآدم بلا واسطة : لا تقرب الشجرة، فقرب وأكل . فقال : صدقت، وذلك أن آدم إنسان كامل، ولذلك قال شيخنا على الحريري : آدم صفي الله تعالى، كان توحيده ظاهرا وباطنا، فكان قوله لآدم : " لا تقرب الشجرة " ظاهرا، وكان أمره [كل] باطنا، فأكل فكذلك قوله تعالى . وإبليس كان توحيده ظاهرا، فأمر بالسجود لآدم، فرآه غيرا فلم يسجد، فغير الله عليه وقال : { اخرج منها } [الأعراف : ١٨]

وقال شخص لسيدي : يا سيدي حسن، إذا كان الله يقول لنبيه : { **ليس لك من الأمر شيء** } [آل عمران : ١٢٨] ، إيش نكون نحن ؟ فقال سيدي له : ليس الأمر كما تقول أو تظن، فقوله له : { **ليس لك من الأمر شيء** } عين الإثبات للنبي." (١)

"ص –٣٣٠– وقال : { أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا } [الأنعام : ١١٤]

فلو لم يكن هناك غيره لم يكن المشركون أمروه بعبادة غير الله، ولا اتخاذ غير الله وليا ولا حكما، فلم يكونوا يستحقون الإنكار، فلما أنكر عليهم ذلك دل على ثبوت غير يمكن عبادته واتخاذه وليا وحكما، وأنه من فعل ذلك فهو مشرك بالله كما قال تعالى : { فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين } [الشعراء : ٢١٣] ، وقال : { لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا } [الإسراء : ٢٢] ،وأمثال ذلك .

وأما قول القائل : إن قوله : { **ليس لك من الأمر شيء** } [آل عمران : ١٢٨] عين الإثبات للنبي صلى الله عيله وسلم كقوله : { وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى } [الأنفال : ١٧] ، { إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم } [الفتح : ١٠] فهذا بناء على قول أهل الوحدة والاتحاد، وجعل

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥/٢٥

معنى قوله : { ليس لك من الأمر شيء } أن فعلك هو فعل الله لعدم المغايرة، وهذا ضلال عظيم من وجوه :

أحدها : أن قوله : { ليس لك من الأمر شيء } نزل في سياق قوله : { ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خآئبين . ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون } [آل عمران : ١٢٧، ١٢٨] . /." (١)

"ص -٣٣٤- الكلام الذي سمعناه من شيوخهم، وبينا فساده لهم وضلالهم فيه غير مرة .

وأما الحلول الخاص فليس هو قول هؤلاء، بل هو قول النصارى ومن وافقهم من الغالية وهو باطل أيضا، فإن الله سبحانه قال له : { ليس لك من الأمر شيء } [آل عمران : ١٢٨] ، وقال : { وأنه لما قام عبد الله يدعوه } [الجن : ١٩] ، وقال : { سبحان الذي أسرى بعبده ليلا } [الإسراء : ١] ، وقال : { وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا } [البقرة : ٢٣] ، وقال : { لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا . ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما } [الفتح : ١٨، ١٩] .

فقوله : { لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة } بين قوله : { إن الذين يبايعونك إنما يبايعون } ؛ ولهذا قال : { يد الله فوق أيديهم } [الفتح : ١٠] . ومعلوم أن يد النبي صلى الله عليه وسلم كانت مع أيديهم، كانوا يصافحونه ويصفقون على يده في البيعة، فعلم أن يد الله فوق أيديهم ليست هي يد النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن الرسول عبد الله ورسوله، فبايعهم عن الله وعاهدهم وعاقدهم عن الله، فالذين بايعوه بايعوا الله الذي أرسله وأمره ببيعتهم .." (٢)

"ص -٣٣٥- ولهذا قال في تمام الآية : { ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما } [الفتح : ١٠] .

فتبين أن قول ذلك الفقير هو القول الصحيح، وأن الله إذا كان قد قال لنبيه : { ليس لك من الأمر شيء } فإيش نكون نحن ؟ وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال : " لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا : عبد الله ورسوله "

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٥/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٥/٥١

وأما قول القائل :

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين

فهذا قول مبنى على قول هؤلاء، وهو باطل متناقض، فإن مبناه على أنه يرى الله بعينه، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت "

وقد اتفق أئمة المسلمين على أن أحدا من المؤمنين لا يرى الله بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، مع أن جماهير الأئمة على أنه لم يره بعينه في الدنيا، وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله علسه وسلم، والصحابة وأئمة المسلمين .

ولم يثبت عن ابن عباس، ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما، أنهم قالوا : إن محمدا رأى ربه بعينه، بل الثابت عنهم إما إطلاق الرؤية وإما تقييدها بالفؤاد." (١)

"ص -٣٣٥- أوذي على جهاده بيد غيره أو لسانه فأجره في ذلك على الله لا يطلب من هذا الظالم عوض مظلمته، بل هذا الظالم إن تاب وقبل الحق الذي جوهد عليه فالتوبة تجب ما قبلها {قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف } [الأنفال : ٣٨] ، وإن لم يتب بل أصر على مخالفة الكتاب والسنة، فهو مخالف لله ورسوله، والحق في ذنوبه لله ولرسوله، وإن كان أيضا للمؤمنين حق تبعا لحق الله، وهذا إذا عوقب عوقب لحق الله ولتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله لا لأجل القصاص فقط .

والكفار إذا اعتدوا على المسلمين مثل أن يمثلوا بهم، فللمسلمين أن يمثلوا بهم كما مثلوا، والصبر أفضل، وإذا مثلوا كان ذلك من تمام الجهاد، والدعاء على جنس الظالمين الكفار مشروع مأمور به، وشرع القنوت والدعاء للمؤمنين، والدعاء على الكافرين .

وأما الدعاء على معينين، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يلعن فلانا وفلانا، فهذا قد روى أنه منسوخ بقوله : **{ليس لك من الأمر شيء** } [آل عمران : ١٢٨] ، كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع، فيما كتبته في قلعة مصر؛ وذلك لأن المعين لا يعلم أن رضى الله عنه أن يهلك، بل قد يكون ممن يتوب الله عليه، بخلاف الجنس، فإنه إذا دعى عليهم بما فيه عز الدين وذل عدوه وقمعهم كان هذا

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٥/٥٣

دعاء بما يحبه الله ويرضاه، فإن الله يحب الإيمان وأهل الإيمان وعلو أهل الإيمان وذل الكفار، فهذا دعاء بما يحب الله، وأما الدعاء على المعين بما لا يعلم أن الله." (١)

"ص -٣٨٢- فالأمر كله إليه وحده، فلا شريك له بوجه، ولهذا ذكر ـ سبحانه ـ نفى ذلك فى آية الكرسى، التى فيها تقرير التوحيد، فقال : { له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } [البقرة : ٢٥٥] .

وسيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، إذا سجد وحمد ربه، يقال له : " ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فيحد له حدا، فيدخلهم الجنة " . فالأمر كله لله، كما قال : { قل إن الأمر كله لله } [آل عمران : ١٥٤] ، وقال لرسوله : { **ليس لك من الأمر شيء** } [آل عمران : ١٢٨] ، وقال : { ألا له الخلق والأمر } [الأعراف : ٥٤] . فإذا كان لا يشفع عند الله أحد إلا بإذنه، فهو يأذن لمن يشاء، ولكن يكرم الشفيع بقبول الشفاعة، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : " اشفعوا تؤجروا، ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء " .

وإذا دعاه الداعى، وشفع عنده الشفيع، فسمع الدعاء، وقبل الشفاعة لم يكن هذا مؤثرا فيه، كما يؤثر المخلوق فى المخلوق؛ فإنه ـ سبحانه ـ هو الذى جعل هذا يدعو وهذا يشفع، وهو الخالق لأفعال العباد، فهو الذى وفق العبد للتوبة ثم قبلها وهو الذى وفقه للعمل ثم أثابه عليه، وهو الذى وفقه للدعاء ثم أجابه، فما يؤثر فيه شيء." (٢)

"وقال في مكان آخر: وقد نقل عن أحمد لعنة أقوام معينين من دعاة أهل البدع؛ ولهذا فرق من فرق من الأصحاب بين لعنة الفاسق بالفعل وبين دعاة أهل الضلال؛ إما بناء على تكفيرهم، وإما بناء على أن ضررهم أشد. ومن جوز لعنة المبتدع المكفر عينا فإنه يجوز لعنة الكافر المعين بطريق الأولى. ومن لم يجوز أن يلعن إلا من ثبت لعنه بالنص فإنه لا يجوز لعنة الكافر المعين. فمن لم يجوز إلا لعن المنصوص يرى أن لا يجوز ذلك لا على وجه الانتصار ولا على وجه الجهاد وإقامة الحدود كالهجرة والتعزير والتحذير. وهذا مقتضى حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي في الصحيح: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا أراد أن يدعو لأحد أو على أحد قنت بعد الركوع وقال فيه: «اللهم العن فلانا وفلانا لأحياء من العرب حتى

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٤/١٣٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٢٢/٢٣٤

نزلت: { **ليس لك من الأمر شيء** } الآية [٣/١٢٨]».

قال: وكذلك من لم يلعن المعين من أهل السنة أو من أهل القبلة أو مطلقا.

وأما من جوز لعنة الفاسق المعين على وجه البغض في الله عز وجل والبراءة منه والتعزير فقد يجوز ذلك على وجه الانتصار أيضا.." (١)

"ص -١٨٤- باطنا ولا يطاعون بعد موتهم ولا يطيعهم أهل الدين طاعة يرجون بها ثواب الله في الدار الآخرة ويخافون عقاب الله في الدار الآخرة بخلاف الأنبياء.

ومحمد أظهر دين الرسل قبله وصدقهم ونوه بذكرهم وتعظيمهم فبه آمن بالأنبياء والرسل قبل موسى والمسيح وغيرهما أمم عظيمة لولا محمد لم يؤمنوا بهم ومن كان يعرف هؤلاء من أهل الكتاب كانوا مختلفين فيهم كاختلاف أهل الكتاب في المسيح وكانوا يقدحون في داود وسليمان وغيرهما بما هو معروف عندهم.

وأيضا فإنه ذكر لهم من الرسل ما لم يكونوا يعرفونه مثل هود وصالح وشعيب وغيرهم.

ومحمد صدق المسيح في أخباره بأنه أركون العالم فقال أنا سيد ولد آدم ولا فخر آدم فمن دونه تحت لوائي أنا خطيب الأنبياء إذا وفدوا وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا.

وهو صاحب لواء الحمد وهو صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون يوم القيامة فهو سيد العالمين حقا وهذا مطابق لقول المسيح إنه أركون العالم فهو أركون الآخرين في الدنيا والآخرة وهو أركون الأولين والآخرين في الآخرة.

وقول المسيح إن أركون العالم سيأتي وليس لي شيء تضمن الأصلين إثبات الرسول وإثبات التوحيد وأن الأمر كله لله وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقول المسيح ليس لي شيء تنزيه له مما نسب إليه من الربوبية وهذا النفي يشترك فيه جميع الخلق قال الله تعالى لمحمد: **{ليس لك من الأمر شيء}**.

وقال تعالى: {قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي}.

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١١٦

وقال: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا} أي ملجأ وملاذا {إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن." (١)

"يعطي الولاية من يشاء ويصرفها عن من يشاء والله يقول لسيد ولد آدم: {إنك لا تهدي من أحببت} وقال: {ليس لك من الأمر شيء} .

وقد بسطنا الكلام في هذه الأمور لحاجة الناس إلى ذلك في غير هذا الموضع.

فصل:

وهذا كله إذا ميز وجود القلم وغيره من المخلوقات عن وجود الرب تعالى كما عليه أهل الملل وجمهور العقلاء من غيرهم.

وأما على قول هؤلاء المدعين التحقيق الذين يدعون أن الوجود." (٢)

"بعثهم مبشرين ومنذرين (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (١) ، وجعلهم سفراء بينه وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وسائر كلامه سبحانه وتعالى.

ولم يضمن الرسل للخلق لا رزقا ولا نصرا ولا هدى، بل قال أولهم نوح: (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك) (٢) ، وأمر خاتمهم وأفضلهم- صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم تسليما -أن يقول ذلك، فقال: (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) (٣) ، وقال له: (إنك لا تهدى من أحببت) (٤) ، وقال له: (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم) (٥) ، وقال له: (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب (٤٠)) (٦) ، وقال: (إنما أنت منذر) (٧) ، (لست عليهم بمصيطر) (٨) .

---

(١) سورة النساء: ١٦٥.

(٢) هذه الآية في سورة الأنعام: ٥٠، وليس في سياق قصة نوح. والاية التي أرادها المؤلف في سورة هود: ٣١ على لسان نوح: (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك) ، فاشتبهت على المؤلف، وجل من لا يسهو.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦/١٩٥

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٣٩٤

(٣) سورة الأعراف: ١٨٨.

(٤) سورة القصص: ٥٦.

(٥) سورة آل عمران: ١٢٨.

(٦) سورة الرعد: ٤٠.

(٧) سورة الرعد: ٧.

(٨) سورة الغاشية: ٢٢.." (١)

"وصاحب فرق وجمع. يشهد الفرق في الجمع، والكثرة في الوحدة. فهو المستقيم الموحد الفارق. وهذا صاحب الحقيقة الثالثة، الجامعة للحقيقتين الدينية والكونية. فشهود هذه الحقيقة الجامعة: هو عين الاستقامة.

وأما شهود الحقيقة الكونية، أو الأزلية، والفناء فيها: فأمر مشترك بين المؤمنين والكفار. فإن الكافر مقر بقدر الله وقضائه، وأزليته وأبديته. فإذا استغرق في هذا الشهود وفني به عن سواه: فقد شهد الحقيقة.

وأما قوله: لا كسبا. أي يتحقق عند مشاهدة الحقيقة أن شهودها لم يكن بالكسب؛ لأن الكسب من أعمال النفس. فالحقيقة لا تبدو مع بقاء النفس؛ إذ الحقيقة فردانية أحدية نورانية. فلا بد من زوال ظلمة النفس، ورؤية كسبها، وإلا لم يشهد الحقيقة.

وأما رفض الدعوى لا علما، فالدعوى نسبة الحال وغيره إلى نفسك وإنيتك. فالاستقامة لا تصح إلا بتركها، سواء كانت حقا أو باطلا. فإن الدعوى الصادقة تطفئ نور المعرفة. فكيف بالكاذبة؟

وأما قوله: لا علما؛ أي لا يكون الحامل له على ترك الدعوى مجرد علمه بفساد الدعوى، ومنافاتها للاستقامة. فإذا تركها يكون تركها لكون العلم قد نهى عنها. فيكون تاركا لها ظاهرا لا حقيقة، أو تاركا لها لفظا، قائما بها حالا؛ لأنه يرى أنه قد قام بحق العلم في تركها. فيتركها تواضعا، بل يتركها حالا وحقيقة. كما يترك من أحب شيئا تضره محبته حبه حالا وحقيقة. وإذا تحقق أنه ليس له من الأمر شيء - كما قال الله عز وجل لخير خلقه على الإطلاق: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨]- ترك الدعوى شهودا وحقيقة وحالا.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢/٩٢

وأما البقاء مع نور اليقظة فهو الدوام في اليقظة، وأن لا يطفئ نورها بظلمة الغفلة. بل يستديم يقظته. ويرى أنه في ذلك كالمجذوب المأخوذ عن نفسه، حفظا من الله له. لا أن ذلك حصل بتحفظه واحترازه.

فهذه ثلاثة أمور: يقظة، واستدامة لها، وشهود أن ذلك بالحق سبحانه لا بك. فليس سبب بقائه في نور اليقظة بحفظه. بل بحفظ الله له.

وكأن الشيخ يشير إلى أن الاستقامة في هذه الدرجة لا تحصل بكسب. وإنما هو مجرد موهبة من الله. فإنه قال في الأولى " الاستقامة على الاجتهاد " وفي الثانية " استقامة." (١)

"فالراضي: هو الذي يعد نعم الله عليه فيما يكرهه، أكثر وأعظم من نعمه عليه فيما يحبه، كما قال بعض العارفين: يا ابن آدم نعمة الله عليك فيما تكره أعظم من نعمته عليك فيما تحب. وقد قال تعالى: {وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم} [البقرة: ٢١٦] وقد قال بعض العارفين: ارض عن الله في جميع ما يفعله بك. فإنه ما منعك إلا ليعطيك. ولا ابتلاك إلا ليعافيك. ولا أمرضك إلا ليشفيك. ولا أماتك إلا ليحييك. فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين. فتسقط من عينه.

الثالث والأربعون: أن يعلم أنه سبحانه هو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والمظهر لكل شيء، والمالك لكل شيء، وهو الذي يخلق ما يشاء ويختار. وليس للعبد أن يختار عليه، وليس لأحد معه اختيار. ولا يشرك في حكمه أحدا. والعبد لم يكن شيئا مذكورا. فهو سبحانه الذي اختار وجوده. واختار أن يكون كما قدره له وقضاه: من عافية وبلاء، وغنى وفقر، وعز وذل، ونباهة وخمول، فكما تفرد سبحانه بالخلق، تفرد بالاختيار والتدبير – وليس للعبد شيء من ذلك – فإن الأمر كله لله. وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] فإذا تيقن العبد أن الأمر كله لله، وليس له من الأمر قليل ولا كثير. لم يكن له معول – بعد ذلك – غير الرضا بمواقع الأقدار. وما يجري به من ربه الاختيار.

الرابع والأربعون: أن رضا الله عن العبد أكبر من الجنة وما فيها. لأن الرضا صفة الله والجنة خلقه، قال الله تعالى: {ورضوان من الله أكبر} [التوبة: ٧٢] بعد قوله: {وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم} [التوبة: ٧٢] . وهذا الرضا جزاء على رضاهم عنه في الدنيا، ولما كان هذا الجزاء أفضل الجزاء، كان سببه

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/١١٠

أفضل الأعمال.

الخامس والأربعون: أن العبد إذا رضي به وعنه في جميع الحالات: لم يتخير عليه المسائل. وأغناه رضاه بما يقسمه له ويقدره ويفعله به عن ذلك. وجعل ذكره في محل سؤاله. بل يكون من سؤاله له الإعانة على ذكره، وبلوغ رضاه. فهذا يعطى أفضل ما يعطاه سائل. كما جاء في الحديث «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي." (١)

"جميع الأعصار، وأفضل الأقاليم والأمصار، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، وخرت لمجيئه الأمم على الأذقان، وبطلت به عبادة الأوثان، وقامت به دعوة الرحمن، واضمحلت به دعوة الشيطان، وأذل الكافرين والجاحدين، وأعز المؤمنين، وجاء بالحق وصدق المرسلين، حتى أعلن بالتوحيد على رءوس الأشهاد، وعبد الله وحده لا شريك له في كل حاضر وباد، وامتلأت به الأرض تحميدا لله وتسبيحا وتكبيرا، واكتست به بعد الظلم والظلام عدلا ونورا؟

(فصل) : وطابق بين قول المسيح: أن أركون العالم سيأتيكم، وقول أخيه محمد صلى الله عليه وسلم: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، آدم تحت لوائي، وأنا خطيب الأنبياء إذا وفدوا، وإمامهم إذا اجتمعوا، ومبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي.

(فصل) : وفي قول المسيح في هذه البشارة: وليس لي من الأمر شيء، إشارة إلى التوحيد وأن الأمر كله لله، فتضمنت هذه البشارة أصلي الدين: إثبات التوحيد، وإثبات النبوة.

وهذا الذي قاله المسيح مطابق لما جاء به أخوه محمد بن عبد الله عن ربه من قوله: **ليس لك من الأمر شيء**

فمن تأمل حال الرسولين الكريمين ودعوتهما وجدهما متوافقين متطابقين حذو القذة بالقذة، وأنه لا يمكن التصديق بأحدهما مع التكذيب بالآخر ألبتة، فإن المكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد تكذيبا

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٢٠٨

للمسيح الذي هو المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله، وإن آمن بمسيح لا حقيقة له ولا وجود فهو أبطل الباطل.." (١)

"مشيئته وإرادته والجميع واقع بإرادته الكونية القدرية فهو يعيذ من إرادته بإرادته إذ الجميع خلقه وقدره وقضاء فليس هناك خلق لغيره فيعيذ منه هو بل المستعاذ منه خلق له فهو الذي يعيذ عبده من نفسه بنفسه فيعيذه مما يريده به بما يريده به فليس هناك أسباب مخلوقة لغيره يستعيذ منها المستعيذ به كما يستعيذ من رجل ظلمه وقهره برجل أقوى أو نظيره فالمستعاذ منه هو الذنوب وعقوباتها والآلام وأسبابها والسبب من قضائه والمسبب من قضائه والإعاذة بقضائه فهو الذي يعيذ من قضائه بقضائه فلم يعذ إلا بما قدره وشاءه وذلك الاستعاذة منه وشاءها وقدر الإعاذة وشاءها فالجميع قضاؤه وقدره وموجب مشيئته فنتجت هذه الكلمة التي لو قالها غير الرسول لبادر المتكلم الجاهل إلى إنكارها وردها أنه لا يملك الضر والنفع والخلق والأمر والإعاذة غيرك وأن المستعاذ منه هو بيدك وتحت تصرفك ومخلوق من خلقك فما استعذت إلا بك ولا استعذت إلا منك وهذا نظير قوله في الحديث الآخر: "لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك" فهو الذي ينجي من نفسه بنفسه ويعيذ من نفسه بنفسه وكذلك الفرار يفر عبده منه إليه وهذا كله تحقيق للتوحيد والقدر وأنه لا رب غيره ولا خالق سواه ولا يملك المخلوق لنفسه ولا لغيره ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا بل الأمر كله لله ليس لأحد سواه منه شيء كما قال تعالى لأكرم خلقه عليه وأحسنهم إليه: **{ليس لك من الأمر شيء}** وقال جوابا لمن قال هل لنا من الأمر شيء: {قل إن الأمر كله لله} فالملك كله له والأمر كله له والحمد كله له والشفاعة كلها له والخير كله في يديه وهذا تحقيق تفرده بالربوبية والألوهية فلا إله غيره ولا رب سواه: {قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون} : {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير} : {ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم} فاستعذ به منه وفر منه إليه واجعل لجاك منه إليه فالأمر كله له لا يملك أحد معه منه شيئا فلا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يذهب بالسيئات إلا هو ولا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه ولا يضر سم ولا سحر ولا شيطان ولا حيوان ولا غيره إلا بإذنه ومشيئته يصيب بذلك من يشاء ويصرفه عمن يشاء فأعرف الخلق به وأقواهم بتوحيده من قال في دعائه وأعوذ بك

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ابن القيم ٣٤١/١

منك فليس للخلق معاذ سواه ولا مستعاذ منه إلا وهو ربه وخالقه ومليكه وتحت قهره وسلطانه ثم ختم الدعاء بقوله لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اعترافا بأن شأنه وعظمته ونعوت كماله وصفاته أعظم وأجل من أن يحصيها أحد من الخلق أو بلغ أحد حقيقة الثناء عليه غيره سبحانه فهو توحيد في الأسماء والصفات والنعوت وذاك توحيد في العبودية والتأله وإفراده تعالى بالخوف والرجاء والاستعاذة وهذا مضاد الشرك وذاك مضاد التعطيل وبالله التوفيق.." (١)

"وفي " مغازي الأموي ": أن المشركين صعدوا على الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد " اجنبهم " يقول: اردده‍م. فقال: كيف أجنبهم وحدي؟ فقال: ذلك ثلاثا، فأخذ سعد سهما من كنانته، فرمى به رجلا فقتله، قال: ثم أخذت سهمي أعرفه، فرميت به آخر فقتلته، ثم أخذته أعرفه، فرميت به آخر فقتلته، فهبطوا من مكانهم، فقلت: هذا سهم مبارك، فجعلته في كنانتي، فكان عند سعد حتى مات، ثم كان عند بنيه.

وفي " الصحيحين " عن أبي حازم، أنه سئل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: («والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كان يسكب الماء، وبما دووي، كانت فاطمة ابنته تغسله، وعلي بن أبي طالب يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير، فأحرقتها، فألصقتها فاستمسك الدم») .

وفي " الصحيح ": («أنه كسرت رباعيته، وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: "كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم "، فأنزل الله عز وجل: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] ») [آل عمران: ١٢٨] .

ولما انهزم الناس لم ينهزم أنس بن النضر، وقال: (اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم، فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أين يا أبا عمر؟ فقال أنس:." (٢)

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/٢٧٣

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٣/١٨٤

"يجعل صدره ضيقا حرجا} [الأنعام: ١٢٥] ، وفى قوله: {ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشآء الله} [الأنعام: ١١١] ، وفى قوله: {ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها} [السجدة: ١٣] ، وقوله: {ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا} [يونس: ٩٩] ، وقوله: {إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا} [يس: ٨] ، وقوله: {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا} [الكهف: ٢٨] ، ونحو هذا من القرآن، إن رسول الله كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة فى الذكر الأول، ثم قال لنبيه: {لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين} [الشعراء: ٣] ، ويقول: {إن نشأ ننزل عليهم من السمآء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين} [الشعراء: ٤] ، ثم قال: {ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده} [فاطر: ٢] ، ويقول: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] ، وفى صحيح مسلم عن طاووس: أدركت ناسا من أصحاب رسول الله يقولون: كل شيء بقدر. وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس"، وفى صحيح مسلم [أيضا] عن عبد الله بن [عمر] قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء"، وفى صحيحه أيضا عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير. فاحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء الله فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان"، وفى صحيحه أيضا عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن النذر لا يقدر لابن آدم شيئا لم يكن الله قدره ولكن النذر يوافق القدر فيخرج ذلك من البخيل ما لم يكن يريد أن يخرجه"

وفي حديث جبرائيل وسؤاله النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره"، وفى الصحيحين حديث ابن مسعود فى التخليق وفيه: "فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب." (١)

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٧٠

"وأنظر ماذا أراجع رسل ربي.

وأخرج ابن عساكر من طريق ابن وهب عن حرملة بن عمران عن سالم عن ابن عمر قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية» فنزلت: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم} فتاب عليهم فأسلموا فحسن إسلامهم.

رواه الترمذي وحسنه.

وفي جامع الأصول: فقئت عين أبي سفيان يوم الطائف فلم يزل أعور إلى يوم اليرموك، فأصاب عينه الأخرى فعميت، ومات سنة أربع وثلاثين وقيل ست وقيل إحدى وثلاثين بالمدينة وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ودفن بالبقيع.

وذكر الزمخشري في تفسير قوله تعالى: {عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة} أنه لما تزوج النبي – صلى الله عليه وسلم – أم حبيبة بنت أبي سفيان لانت عريكته واسترخت شكيمته.." (١)

"" من قال: مطرنا بنؤ كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه مطر نوء كذا؛ فذلك كفر، كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؛ لأن النوء وقت، والوقت مخلوق، لا يملك لنفسه ولا لغيره – صلى الله عليه وسلم –. ومن قال: مطرنا بنؤ كذا على معنى مطرنا في وقت كذا؛ فلا يكون كفرا، وغيره من الكلام أحب إلي منه ".

نقله الحافظ في " الفتح " (٢/ ٤١٩)، وقال عقبه: " يعني: حسما للمادة، وعلى ذلك يحمل إطلاق الحديث.

وحكى ابن قتيبة في كتاب " الأنواء " أن العرب كانت في ذلك على مذهبين؛ على نحو ما ذكره الشافعي ."

• ما جاء في اختصاص الله بالتصرف:

وهذا الحديث إنباء عن اختصاص الله بالتصرف في الكون؛ كما أنبأت عنه آيات آل عمران والأنعام والأعراف والقصص والمنافقون ... وكثير في معناها:

قال تعالى: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨]، {قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم

(١) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، عبد العزيز الملتاني ص/٨١

الغيب ولا أقول لكم إني ملك} [الأنعام: ٥٠]، {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء} [الأعراف: ١٨٨]، {إنك لا تهدي من أحببت} [القصص: ٥٦]، {ولله خزائن السماوات والأرض} [المنافقون: ٧].

• عقيدة العامة في تصرف الأولياء:

ومن وقف على مقاصد الكثير من عوامنا في نسبة الأفعال إلى الأولياء وتصرفهم في الكون؛ لم يشك في انطباق الحالة الثانية عليهم؛ إذ يعتقدون أن." (١)

"يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين}، وقال -تعالى-: {فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب * والشياطين كل بناء وغواص * وآخرين مقرنين في الأصفاد}.

وإذا كان ابن محمود يخبط خبط عشواء فيما هو مذكور في كتاب الله-تعالى- فلا يستغرب منه أن يتهجم على أحاديث المهدي ويقابلها بالسخرية والاستهزاء، وهذا التخبيط الشنيع مما حصل لابن محمود بعد توسعه في العلوم والفنون.

وأما قوله: وقد شج رأسه - صلى الله عليه وسلم - وكسرت رباعيته، ودلوه في حفرة ظنوه ميتا، وذلك في وقعة أحد.

فجوابه: أن أقول: إني لم أر أحدا ذكر أنهم دلوا النبي - صلى الله عليه وسلم - في حفرة ظنوه ميتا، وإنما ذكر ابن هشام وغيره أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقع في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون، فأخذ علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بيده، ورفعه طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه- حتى استوى قائما، وروى ابن جرير عن قتادة قال: "أصيب النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد، وكسرت رباعيته، وفرق حاجبه، فوقع وعليه درعان، والدم يسيل، فمر به سالم مولى أبي حذيفة، فأجلسه ومسح عن وجهه فأفاق وهو يقول: «كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله»؟! فأنزل الله -تبارك وتعالى-: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} " فهذا ما ذكره أهل العلم لا ما أتى به ابن محمود من عند نفسه.

وقال ابن محمود في صفحة (٣٢) وصفحة (٣٣): "ثامنا: إن جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

---

(١) رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي ص/١٩٣

علماؤهم وعامتهم متفقون على قتال من يدعي أنه المهدي، كما مضى منهم ذلك في كل زمان ومكان مع كثرة من يدعي أنه المهدي؛ لاعتقادهم أنها دعوى باطلة لا صحة لها، ولا يزالون يقاتلون من يدعي أنه المهدي حتى تقوم الساعة، فأين المهدي والحالة هذه؟ وصار المهدي كالموجود في الأذهان دون الأعيان".

والجواب: أن يقال: قد ذكر ابن محمود نحو هذا في صفحة (٣) من كتابه، وتقدم الجواب عنه في أول الكتاب فليراجع هناك (١).

وقال ابن محمود في صفحة (٣٣) وصفحة (٣٤): "عاشرا: إن الدين كامل بوجود رسول الله ونزول كتاب الله، ولم يخلف رسول الله شيئا منه لا في السماء ولا ....

---

(١) ص ٢٥.." (١)

"تؤمن إلا بإذن الله.

وقوله : {ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها.

وقوله : ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا.

وقوله : إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا.

وقوله : من أغفلنا قلبه عن ذكرنا.

وقوله : إنك لا تسمع الموتى.

وقوله : إنك لا تهدي من أحببت.

وقوله : فمنهم شقي وسعيد ، ونحو هذا من القرآن ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويبايعوه على الهدى ، فأخبره الله تعالى : أنه لا يؤمن إلا من سبقت له من الله السعادة في الذكر الأول ، ولا يضل إلا من سبقت له الشقاوة في الذكر الأول ، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ، وقال الله عز وجل : ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده.

وقوله : **ليس لك من الأمر شيء**.

وقوله : ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا يعني معاينة ما كانوا

---

(١) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، التويجري، حمود بن عبد الله ص/١٩٧

ليؤمنوا وهم أهل الشقاء ثم قال : إلا أن يشاء الله ، وهم أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أن يدخلوا في الإيمان ، وبهذا الإسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : أعطى كل شيء خلقه ثم هدى يقول : خلق الله لكل شيء روحه ، ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده.

ومنها الحنان.

قال الحليمي : وهو الواسع الرحمة ، وقد يكون المبالغ في إكرام أهل طاعته إذا وافوا دار القرار ، لأن من حن من الناس إلى غيره أكرمه عند لقائه ، وكلف به عند قدومه قلت : وهو في خبر عبد العزيز بن الحصين مذكور

(١) ".

"(مد) ١٨٩. وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال سأله أبي عن هذه الآية لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة قال ليس هكذا أنزل الله ما أذل الله رسوله قط إنما أنزلت وأنتم قليل ورواه السياري أيضا.

(مه) ١٩٠. وعن عيسى عن صفوان عن ابن سنان مثله.

(مو) ١٩١. وعن ربعي عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قرأ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم ضعفاء وما كانوا أذلة ورسول الله فيهم عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

قلت: لما كان الغرض في تلك الأخبار نفي نزول الموجود واستنكار نزوله مع تعين القراءة به عبروا عن الأصل المحذوف تارة بلفظه وتارة بمعناه لحصول الغرض مع عدم فائدة في لفظه بعد عدم جواز القراءة به.

(مز) ١٩٢. الثقة سعيد بن عبد الله في الكتاب المذكور قال وقرأ أي الصادق عليه السلام لقد نصركم الله ببدر وأنتم ضعفاء قال أبو عبد الله عليه السلام ما كانوا أذلة وفيهم رسول اللہ – صلى الله عليه وسلم –.

(مح) ١٩٣. وفيه في قوله تعالى **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون فقال أبو عبد الله عليه السلام إنما أنزل الله لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أن يعذبهم فإنهم ظالمون كذا في النسخة ولا تخلو من سقم ولا يضر بأصل المقصود وهو وجود التغيير في الآية.

(مط) ١٩٤. وعن الجرمي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قرأ **ليس لك من الأمر شيء** أن يتوب عليهم

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي، ١/٢٠٥

وتعذبهم فإنهم ظالمون.

(ن) ١٩٥. السياري عن المفضل عن صالح بن علي الجرمي وسيف عن زرارة جميعا عن أبي عبد الله (ع) **ليس لك من الأمر شيء** إن تبت عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون.." (١)

"(نا) ١٩٦. وعن محمد بن جمهور عن بعض أصحابنا قال تلوت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام هذه الآية **ليس لك من الأمر شيء** فقال بلى وشيء وهل الأمر كله إلا له (- صلى الله عليه وسلم -) ولكنها نزلت **ليس لك من الأمر إن** تبت عليهم أو تعذبهم فإنهم ظالمون وكيف لا يكون من الأمر شيء والله عز وجل يقول: ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عز وجل: من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ.

(نب) ١٩٧. النعماني بالسند المتقدم عن أمير المؤمنين عليه السلام وقال سبحانه في سورة آل عمران **ليس لك من الأمر أو** يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون لآل محمد فحذفوا آل محمد (- صلى الله عليه وسلم -).

(نج) ١٩٨. السياري عن حماد بن عيسى عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام: ويتخذ منكم شهيدا.

(ند) ١٩٩. وعن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير عمن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله جل وعز: سيطوقون ما بخلوا به من الزكوة يوم القيامة.

قلت: الظاهر أن قوله من الزكوة بيان للموصولة عن الإمام (ع) بقرينة ما في (الكافي) في ذيل خبر عنه (ع) في عقاب مانع الزكوة وهو قول الله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة يعني ما بخلوا به من الزكوة.

(نه) ٢٠٠. وعن أبي طالب عن يونس عن علي بن أبي حمزة عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام: قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات والزبر فلم قتلتموهم.

(نو) ٢٠١. العياشي عن محمد بن يونس عز بعض أصحابنا قال قال لي أبو جعفر عليه السلام: كل نفس ذائقة الموت ومنشورة نزل بها على محمد - صلى الله عليه وسلم -." (٢)

---

(١) الشيعة والقرآن، ١/١٩٥

(٢) الشيعة والقرآن، ١/١٩٦

" المؤمن بقدره أم الذي يزعم أنه قد ملكه فإلى نفسه وكله فإن ظنهم ذلك إنما هو قولهم لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ولكنا عصينا ولو أطعنا ما قتلنا ها هنا فلعمري لئن كانوا صدقوا لقد صدقت ولئن كانوا كذبوا لقد كذبت فقال الملك تعالى قل إن الأمر كله لله وقال عز و جل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء فيديل الله أعداءه على أوليائه فيستشدهم بأيديهم ثم يكتب ذلك خطيئة عليهم ثم يعذبهم بها ويسألهم عنها وهو أدالهم بها وينصر أولياءه على أعدائه ثم يقول فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ثم يكتب ذلك حسنة لهم يحمدهم عليها ويثني عليهم بها وهو تولى نصرهم فيها يقول الأمر كله لي لا يغلب واحد من الفريقين إلا بي وعدهم ببدر إحدى الطائفتين أنها لهم وعدا لا يخلف ونقمة لا تصرف ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين يقول لنبيه **ليس لك من الأمر شيء** تمم ذاك الوعد بمثل الحيلة وأعد لهم العدد والمكيدة وإنما هو تسبب لقدرة خفية وأنزل من السماء الملائكة لقتال ألف من قريش ثم أوحى إليهم أني معكم يثبتهم بذلك ." (١)

" ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول

ثم قال لنبيه صلى الله عليه و سلم لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين

يقول إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين

ثم قال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده

ويقول **ليس لك من الأمر شيء** قوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا

١٠٢٥ - أخبرنا محمد بن عبد الرحمن قال ثنا أحمد بن عبد الله بن يوسف قال ثنا يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب ح

١٠٢٦ - وأخبرنا عبيد الله بن أحمد قال ثنا عبد الله بن محمد بن زياد ثنا يونس بن عبد الأعلى ثنا ابن وهب قال ثنا حيوة قال حدثني أبو هاني الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول كتب الله مقادير الخلق كلهم قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء

---

(١) الإبانة - ابن بطة، ٢٤٣/٢

اخرجه مسلم في الصحيح ." (١)

" المؤمن بقدره أم الذي يزعم أنه قد ملكه فإلى نفسه وكله فإن ظنهم ذلك إنما هو قولهم لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ولكنا عصينا ولو أطعنا ما قتلنا ها هنا فلعمري لئن كانوا صدقوا لقد صدقت ولئن كانوا كذبوا لقد كذبت فقال الملك تعالى قل إن الأمر كله لله وقال عز و جل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء فيديل الله أعداءه على أوليائه فيستشدهم بأيديهم ثم يكتب ذلك خطيئة عليهم ثم يعذبهم بها ويسألهم عنها وهو أدالهم بها وينصر أولياءه على أعدائه ثم يقول فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ثم يكتب ذلك حسنة لهم يحمدهم عليها ويثني عليهم بها وهو تولى نصرهم فيها يقول الأمر كله لي لا يغلب واحد من الفريقين إلا بي وعدهم ببدر إحدى الطائفتين أنها لهم وعدا لا يخلف ونقمة لا تصرف ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين يقول لنبيه **ليس لك من الأمر شيء** تمم ذاك الوعد بمثل الحيلة وأعد لهم العدد والمكيدة وإنما هو تسبب لقدرة خفية وأنزل من السماء الملائكة لقتال ألف من قريش ثم أوحى إليهم أني معكم يثبتهم بذلك ." (٢)

"ذكر ابن عباس للآيات الدالة على أن الهداية والإضلال بيد الله

قال: [عن ابن عباس في قوله: {إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون} [البقرة:٦]، وقوله: {ولو شاء الله لجمعهم على الهدى} [الأنعام:٣٥]، وقوله: {ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا} [الأنعام:١٢٥]، وقوله: {ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله} [الأنعام:١١١]، وقوله: {وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله} [يونس:١٠٠]، وقوله: {ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها} [السجدة:١٣]، وقوله: {ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا} [يونس:٩٩]، وقوله: {الأغلال في أعناقهم} [الرعد:٥]، وقوله: {من أغفلنا قلبه عن ذكرنا} [الكهف:٢٨]، وقوله: {فمنهم شقي وسعيد} [هود:١٠٥] ونحو هذا من القرآن].

كل هذه الآيات تدل على أن الإيمان والكفر والشقاء والسعادة والهداية والإضلال بيد الله عز وجل.

---

(١) اعتقاد أهل السنة، ٥٧٩/٤

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة، ٢٤٣/٤

قال: [وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول].

الرسول صلى الله عليه وسلم كان حريصا على أن يجمع جميع الخلق على السعادة، وربنا قال له: أنت لا تستطيع أن تفعل ذلك، وليس هذا لك ولا لأحد، وإنما هذا لرجل قد سبق في علم الله أنه من أهل السعادة، وليست لرجل سبق في علم الله أنه من أهل الشقاوة.

قال: [فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول.

ثم قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: {فلعلك باخع نفسك} [الكهف:٦]-يعني: مهلك نفسك- {ألا يكونوا مؤمنين} [الشعراء:٣].

يقول: {إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين} [الشعراء:٤].

ثم قال: {ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز} [فاطر:٢].

ويقول: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران:١٢٨]].

أي: ليس لك يا محمد من الأمر شيء، فأنت لا تعلم ما الذي كتبه الله عز وجل أزلا على العباد من السعادة والشقاء، والهداية والإضلال، وما عليك يا محمد إلا أن تبلغ هذا الوحي إلى الناس، أما الخواتيم فلا يعلمها إلا الله عز وجل.." (١)

"أقسام الاستغاثة

والاستغاثة تنقسم إلى أقسام ثلاثة: استغاثة توحيد أو محض توحيد، واستغاثة محض شرك، واستغاثة وسط، وهي استغاثة مباحة حتى تميز بين ما يكون توحيدا وبين ما يكون شركا، وبين ما يكون فيه الإباحة.

فالقسم الأول: استغاثة توحيدية، وهي أن تستغيث بالله جل في علاه إذا نزل بك الكرب، ونزلت بك الملمات، وتتذلل لربك جل في علاه، فهذه استغاثة توحيدية تصرفها لله جل في علاه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وفعل إبراهيم وفعل داود وفعل أيوب وفعل أنبياء الله جل في علاه، فقد صرفوا الاستغاثة هذه لله وحده لا شريك له.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ١٨/٣٧

إذا: فالاستغاثة الأولى هي: استغاثة توحيدية، وهي التي يصرفها العبد لله جل في علاه، فيتذلل لربه، ويطلب الحاجات من ربه جل في علاه فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهذا قيد مهم.

القسم الثاني: استغاثة شركية، وهي أن يطلب العبد من غير الله رفع الحرج، وإزالة الضر فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذه استغاثة شركية، وهذه تنبثق من قاعدة قعدها شيخ الإسلام ابن تيمية وهي: كل من أنزل مخلوقا منزلة الله جل في علاه فقد كفر، أو من أنزل الخالق منزلة المخلوق فقد كفر.

وعندما ننظر في هذه القاعدة وننظر في القسم الثاني من الاستغاثة الشركية نرى أنها طلب الغوث وطلب النصر وطلب العون من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله جل في علاه، فإذا قام عبد وقال: الغوث يا بدوي! أو قال: الغوث يا عبد القادر الجيلاني! أو أنقذني أو أغثنا أو أنزل المطر يا بدوي فهذا قد استغاث استغاثة شركية؛ لأن إنزال المطر لا يقدر عليه إلا الله، فإذا طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله فقد وقع في الشرك؛ لأنه صرف عبادة لا تكون إلا لله جل وعلا، فهذا نوع من أنواع الشرك، وهو شرك محض وحده، فإذا صرف الاستغاثة لغير الله بأن طلب من الميت أو طلب من الحي ما لا يقدر عليه إلا الله فقد صرف العبادة إلى غير الله، فوقع في الشرك.

وينضم إلى ذلك أنه إذا طلب الاستغاثة من غير الله جل في علاه فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد اعتقد فيه ما لا يعتقد إلا في الله، فإذا قال للبدوي: اشف مريضي! فقد صرف العبادة لغير الله، وأيضا لا يمكن أن يذهب إلى القبر ويقول للبدوي: اشف مريضي! إلا وهو يعتقد أن البدوي له القدرة على شفاء هذا المريض، وهذا شرك أيضا في الربوبية، فيصير هذا الذي طلب أو صرف الاستغاثة لغير الله واقع في الشرك من وجهين:

الوجه الأول: الشرك في الإلهية؛ لأنه صرف العبادة التي ثبتت بالشرع أنها عبادة لغير الله؛ فاستغاث بغير الله أو طلب أو دعا غير الله.

الوجه الثاني: الشرك في الربوبية؛ لأنه اعتقد فيه ما لا يعتقد إلا في الله.

القسم الثالث: الاستغاثة المباحة، وقد جاء الشرع ليبين إباحتها، وهي الاستغاثة من البشر أو من الحي القادر الحاضر فيما يقدر عليه، فنجمعها في القاعدة الوجيزة (حي حاضر قادر)، فهذه جاءت جوازها من الكتاب ومن السنة: أما من الكتاب: فقد قص الله علينا قصة موسى عليه السلام عندما دخل المدينة على حين غفلة من أهلها: {فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين}

[القصص:١٥]، فهذا دليل على الاستغاثة المباحة، فقد استغاث الرجل الذي من شيعة موسى بموسى، وأغاثه موسى، وهذا دليل يستدل به العلماء على جواز الاستغاثة بالحي الحاضر القادر، ووجه ذلك من قوله: (فوكزه).

وعلى هذا فيباح للعبد أن يستغيث بغيره لينفعه، وهناك أدلة عامة وأدلة خاصة، فالأدلة العامة كقول الله تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى} [المائدة:٢]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه).

فإذا استغاث أحد بأخيه فأغاثه فلہ ذلك، وليس من الشرك بحال من الأحوال، بل يمكن أن يكون من التوحيد.

والاستدلال الخاص هو بقول الله تعالى: {فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى} [القصص:١٥]، فكيف استقى العلماء من هذا الدليل إباحة الاستغاثة بالحي الحاضر القادر؟

A وجه الدلالة من هذه الآية قوله: ((فقضى عليه)) فقد استجاب موسى عليه السلام له، ولأن موسى عليه السلام أبو الموحدين، وهو الموحد الأكبر في عصره، ويدل على ذلك أن قومه قالوا له: {اجعل لنا إلها كما لهم آلهة} [الأعراف:١٣٨] فأنكر عليهم، والنبي صلى الله عليه وسلم لما سمع ذلك قال: (الله أكبر قلتم مثلما قال قوم موسى).

فكل نبي هو أبو الموحدين في عصره، فلو كانت الاستغاثة هذه من الشرك لأنكرها موسى، لكن موسى أقرها، بل من دواعي الإقرار أنه قضى على الآخر فأغاث المستغيث.

والله جل وعلا لا يقص قصة فيها إنكار إلا وينكرها، ولا يقص قصة وفيها إقرار إلا ويقر ذلك.

مثال ذلك: الإقرار بملكة سبأ، كما قال تعالى حاكيا عنها: {إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة} [النمل:٣٤] فمن الذي قال: ((وكذلك يفعلون))؟ قاله الله، فأقرها على ذلك.

وكقوله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران:١٢٨] فهذا إنكار على النبي صلى الله عليه وسلم، وكقوله تعالى: {عبس وتولى * أن جاءه الأعمى} [عبس:١ - ٢] والإنكار على نوح واضح جدا في قوله تعالى: {قال يا نوح إنه ليس من أهلك} [هود:٤٦].

إذا: فالله جل وعلا لا يقر على باطل بحال من الأحوال، بل لابد أن ينكر، وإذا كان حقا أقره الله، وهنا قص الله علينا قصة موسى وقصة المستغيث بموسى وأقره، فهذه الآية دلالة واضحة جدا على أن الاستغاثة

بالحي الحاضر فيما يقدر عليه مباحة، والله جل وعلا أقرها.
أما من السنة: ففي السنن: أن أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه كان قد تعب كثيرا من منافق فقال للناس: (قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم).
وهذا الحديث فيه ابن لهيعة وهو ضعيف الحديث، فالسند فيه ضعف لكنه مما يستأنس به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنه لا يستغاث بي، بل يستغاث بالله جل في علاه).
وهذا الحديث عجيب! لأن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على أبي بكر فقال: (إنه لا يستغاث بي، بل يستغاث بالله جل في علاه).
ومع ذلك يحتج المصنف بهذا الحديث على أنه يجوز أن يستغيث المرء بالحي الحاضر القادر، فما وجه ذلك؟ وجه ذلك: أنه علم أولا من تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أن الاستغاثة بالحي الحاضر القادر فيما يقدر عليه أنها مباحة، لكن توجيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنه لا يستغاث بي)، أن هذا فيه سد الذريعة، فهو يعلم الناس ألا يقولوا ذلك، كما أنكر على من قال: ما شاء الله وشئت، نعم فالمرء له مشيئة، والله جل وعلا جعل له مشيئة، لكن سدا للذريعة قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تقل ذلك، أجعلتني لله ندا؟ قل: ما شاء الله ثم شئت).
فهنا النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم أن الأصل في الاستغاثة أن تكون بالله جل في علاه.
أما بالنسبة للتي يقدر عليها الإنسان الحي الحاضر فله أن يستغيث به، فمثلا: رجل كاد أن يغرق في وسط البحر فوجد سفينة وعليها الركبان، فقال لأحدهم: أغثني أغثني أغثني، فقوله جائز ولا شيء عليه.
كذلك رجل كان من القراء يعالج بالقرآن، ويأخذ بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (وما أدراك أن الفاتحة رقية؟ اضربوا لي معكم بسهم).
فكان ينفع الناس بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل).
فيقرأ على المصروع، وعنده جيوش جرارة من الجن المسلمين الفقهاء والمحدثين والمجاهدين، وفي ذات مرة وقع في ضائقة فنادى على جني منهم يعرفه باسمه، وكان يستعين به؛ استدلالا بقول شيخ الإسلام ابن تيمية، فنادى عليه فقال: أنقذني مما أنا فيه، فما هو حكمه مع قول الله تعالى: {وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا} [الجن:٦]؟ وكيف ترد عليه وهو يستغيث بغير الحي الحاضر.
فالجواب: أنه استغاث بغائب، فلا يمكن أن نقول: إن هذه استغاثة مباحة، بل هي استغاثة شركية، وهذا

هو الراجح والصحيح.

أما كلام شيخ الإسلام بجواز الاستعانة بالجن بدليل قصة عمر بن الخطاب فنقول: أولا: القصة ليست صحيحة.

ثانيا: نقول: هذا غائب، فكيف يستعين بالغائب؟ فلا يجوز بحال من الأحوال، فهذه استغاثة لا تصح.

كذلك رجل كان في بلد وأخوه في بلد آخر فاتصل به بالهاتف، وقال: إني في ضائقة فأغثني، فهذه استغاثة مباحة جائزة؛ لأنه في أمر قادر عليه، وهو حي قادر حاضر، ولو كان غائبا، لكنه في حكم الحاضر.

كذلك رجل قام في السحر فصلى، فتذكر أن الله جل في علاه يبعث ملائكة سياحين في الأرض ينظرون لمن يقومون الليل، وهم يستغفرون للمؤمنين، فبعدما قام في السحر وبكى في الدعاء، نظر يمينه ويساره وقال: تحوطني الآن الملائكة، فتكلم مع الملائكة فقال: إني في ضر فأغيثوني، يعني بذلك الملائكة فما حكمه؟ فالجواب: أن هذه استغاثة شركية؛ لأن الملائكة غائبون عن الرؤية كالجن تماما.

ولذلك قال العلماء: من طلب من ملك مقرب أو نبي مرسل أو من مقبور أو ولي صالح شيئا مما لا يقدر عليه إلا الله جل في علاه فقد وقع في الشرك، ولو طلب ما يقدرون عليه فقد وقع في الشرك؛ لأنه طلب من غائب ولي." (١)

"الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر

قال رحمه الله تعالى: [فالحاصل: أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر، فإن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفعه في الطلب، بمعنى أنه صار به شفعا فيه بعد أن كان وترا].

يعني: انضم إليه وانضاف إليه.

قال رحمه الله تعالى: [فهو أيضا قد شفع المشفوع إليه، فبشفاعته صار فاعلا للمطلوب، فقد شفع الطالب والمطلوب منه، والله تعالى وتر لا يشفعه أحد، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فالأمر كله إليه، فلا شريك له بوجه، فسيد الشفعاء يوم القيامة إذا سجد وحمد الله تعالى فقال له الله: (ارفع رأسك، وقل يسمع، واسأل تعطه، واشفع تشفع)، فيحد له حدا فيدخلهم الجنة، فالأمر كله لله.

كما قال تعالى: {قل إن الأمر كله لله} [آل عمران:١٥٤]، وقال تعالى: {**ليس لك من الأمر شيء**} [آل عمران:١٢٨]، وقال تعالى: {ألا له الخلق والأمر} [الأعراف:٥٤]، فإذا كان لا يشفع عنده أحد إلا

---

(١) شرح الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، محمد حسن عبد الغفار ١٢/١

بإذنه لمن يشاء، ولكن يكرم الشفيع بقبول شفاعته، كما قال صلى الله عليه وسلم: (اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء).

وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا بني عبد مناف! لا أملك لكم من الله من شيء، يا صفية عمة رسول الله! لا أملك لك من الله من شيء، يا عباس عم رسول الله! لا أملك لك من الله من شيء)].

قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء) هذه الشفاعة مخصصة تتعلق بأمور الخلق في دنياهم، أي: شفاعة بعضهم لبعض، ولا تدخل فيها الشفاعة عند الله عز وجل؛ لأن الأمر هنا بالتماس الأجر أمر تكليف، والشفاعة المعنية في الآخرة لا تكليف فيها، إنما تحدث بإذن الله عز وجل، وليس فيها طلب الأجر، ولا تحدث إلا ممن ذكرت أوصافهم.

أما الأمر هنا: (اشفعوا تؤجروا) فهو أمر لكل مسلم، إذا: فلا بد من أن تكون الشفاعة الواردة في هذا الحديث فيما يتعلق بأمور الناس في دنياهم، وفي مصالحهم، وفيما يقدرون عليه، أقول هذا لأن بعض المسلمين قالوا: إن قوله صلى الله عليه وسلم: (اشفعوا تؤجروا) يعم الصالحين والأولياء في قبورهم، وأنهم يتقربون بالشفاعة لمن جاء يستشفع بهم ويدعوهم عند القبور، وأنهم ممن أتيحت لهم الشفاعة وأذن لهم فيها، وأنهم بذلك ممتثلون لأمر الله عز وجل، وهذا خطأ شنيع في فهم النص؛ فإن قوله صلى الله عليه وسلم: (اشفعوا تؤجروا) يعني: في دنياكم، أما بعد الممات، أو فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا أمر غير وارد، وليس هو من أبواب التكليف ولا مما يلتمس فيه الأجر.

قال رحمه الله تعالى: [في الصحيح أيضا: (لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، أو شاة لها يعار، أو رقاع تخفق، فيقول: أغثني أغثني، فأقول: قد أبلغتك، لا أملك لك من الله من شيء)، فإذا كان سيد الخلق وأفضل الشفعاء صلى الله عليه وسلم يقول لأخص الناس به: (لا أملك لكم من الله من شيء)؛ فما الظن بغيره؟! وإذا دعاه الداعي وشفع عنده الشفيع فسمع الدعاء وقبل الشفاعة؛ لم يكن هذا هو المؤثر فيه كما يؤثر المخلوق في المخلوق؛ فإنه سبحانه وتعالى هو الذي جعل هذا يدعو ويشفع، وهو الخالق لأفعال العباد، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي

وفقه للدعاء ثم أجابه، وهذا مستقيم على أصول أهل السنة المؤمنين بالقدر، وأن الله خالق كل شيء]..." (١)

"صبر المؤمن على الحاكم الكافر

Q إذا كان الحاكم كافرا ولا نستطيع تغييره، فهل يلزم الإنسان أن تكون في عنقه بيعة له؟

A إذا كان كافرا بالشروط التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم: (كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان) فيصبر الناس عليه، ويبقى على ما كان **ليس لك من الأمر شيء**، سواء كان في عنقك بيعة له أو ليس في عنقك بيعة، فأنت لا تستطيع أن تعمل شيئا، وإنما عليك أن تصبر حتى ييسر الله للأمة من يتولى أمرها من المسلمين.." (٢)

"مفهوم نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن إطرائه واتخاذ قبره عيدا ومسجدا

قال رحمه الله تعالى: [ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخذ قبره مسجدا، وأن يتخذ عيدا، وقال في مرض موته: (لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؛ يحذر ما صنعوا)، أخرجاه في الصحيحين، وقال: (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، رواه مالك في الموطأ.

وقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله)، متفق عليه.

وقال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، بل ما شاء الله ثم شاء محمد)، وقال له بعض الأعراب: (ما شاء الله وشئت؛ فقال: أجعلتني لله ندا؟! بل ما شاء الله وحده).

وقد قال الله تعالى له: {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء} [الأعراف:١٨٨]، وقال تعالى: {قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا} [يونس:٤٩]، وقال تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} [القصص:٥٦]، وقال تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران:١٢٨]، وهذا تحقيق التوحيد، مع أنه صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق على الله، وأعلاهم منزلة عند الله].." (٣)

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١٦/٤٨

(٢) شرح كتاب السنة للبربهاري - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٣/٧

(٣) شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ناصر العقل ٨/٢٨

"كذبت؛ فقال الملك تعالى: {قل إن الأمر كله لله}، وقال عز وجل: {قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم}، {وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء} (١)

فيديل الله أعداءه على أوليائه، فيستشهدهم بأيديهم ثم يكتب ذلك خطيئة عليهم، ثم يعذبهم بها ويسألهم عنها وهو أدالهم بها، وينصر أولياءه على أعدائه ثم يقول: {فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} (٢)، ثم يكتب ذلك حسنة لهم يحمدهم عليها ويثني عليهم بها، وهو تولى نصرهم فيها، يقول: الأمر كله لي، لا يغلب واحد من الفريقين إلا بي، وعدهم ببدر إحدى الطائفتين أنها لهم وعدا لا يخلف، ونقمة لا تصرف، ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم؛ فينقلبوا خائبين يقول لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: {ليس لك من الأمر شيء} (3)،

تمم ذاك الوعد بمثل الحيلة وأعد لهم العدد والمكيدة، وإنما هو تسبب لقدرة خفية، وأنزل من السماء الملائكة لقتال ألف من قريش، ثم أوحى إليهم أني معكم يثبتهم بذلك؛ فثبتوا الذين آمنوا، حتى كأنه عند من ينكر القدر أمر يكابر وعدو يخاف منه أن يظفر،

(١) آل عمران الآية (١٤٠).

(٢) الأنفال الآية (١٧).

(٣) آل عمران الآية (١٢٨) ..." (١)

"ثالثا: العقيدة مبناها على البرهان واليقين لا على الظن والتخرص والتقليد الأعمى، لأنها من الواضحات العقيدة أصول معتقد أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالبارئ جل وعلا هذه من قبيل المحكم، ليست من قبيل المتشابه، بل ابن القيم رحمه الله تعالى بين أن نصوص الأسماء والصفات ليست من المحكم فحسب، بل هي من أحكم المحكم – انتبه لهذه القاعدة – إذ العقيدة مبناها على أمور واضحة بينة، ولذلك لم يختلف الصحابة في أصول المعتقد البتة، لا فيما يتعلق بذات البارئ جل وعلا ولا فيما يتعلق بأسمائه وصفاته والمسائل التي تعرف في باب العقيدة.

رابعا: إثبات علم الله تعالى بعواقب الأمور.

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٤٢٥/٢

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وفي ((الصحيح)) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: شج النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم»؟ فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}**). هذا الحديث الأول الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى.

(وفي ((الصحيح)))، أي الصحيحين، لأنه في البخاري ومسلم، علقه البخاري عن حميد وثابت عن أنس، ووصله أحمد والترمذي والنسائي عن حميد عن أنس به، وأوصله مسلم عن ثابت عن أنس، إذا هو ثابت في الصحيحين، وقال ابن إسحاق في المغازي حدثني حميد الطويل عن أنس قال: كسرت رباعية النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم أحد وشج في وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجه البني – صلى الله عليه وسلم – وهنا مجاز فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يعني: النبي – صلى الله عليه وسلم –، جعل يمسح الدم وهو يقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم». فأنزل الله الآية.

قوله: (شج النبي – صلى الله عليه وسلم –). قال أبو السعادات: والشج في الرأس خاصة. الشج في الرأس يعني: لا يكون في الوجه، وإنما يكون في الرأس، هذا في الأصل ثم نقل. قال: والشج في الرأس خاصة، خاصة في الأصل، وهو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه، ثم استعمل في غيره من الأعضاء. على هذا أنه ما كان الشق في الوجه فهو شج، وما كان في الرأس فهو شج، وما كان في القدم فهو شج، حينئذ شج النبي – صلى الله عليه وسلم – لو لم يأت التحديد بالرأس أو الوجه، حينئذ يكون من المبهمات إلا إذا جعل بأن أصل معناه في لغة العرب هو الشج في الرأس، وقد قيل بأن الشج إنما يكون في الرأس والوجه خاصة، وما عداه لا يسمى شجا، وهذا هو الأظهر، والله أعلم.

وذكر ابن القاسم كذلك وابن عثيمين رحمه الله تعالى أن الشج الجرح في الرأس والوجه على جهة الخصوص، وهو أن يضربه بشيء فيشق جلده، هكذا قال في الحاشية.

وذكر ابن هشام من حديث أبي سعيد أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي – صلى الله عليه وسلم – السفلى وجرح شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في جبهته، وأن عبد الله بن قميئة جرحه في وجنته ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم ازدرده فقال له: «لن تمسك النار». وفيه ضعف.." (١)

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٠/٤٧

"قوله: (يوم أحد). (شج النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم)، (يوم) هذا منصوب على الظرفية، يعني في يوم، (يوم أحد) أحد جبل معروف إلى الآن شمال المدينة كانت عنده الوقعة المشهورة فأضيفت إليه، كانت في السنة الثالثة من الهجرة فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – تلك المقولة: «كيف» هذا للاستبعاد «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم». يعني لا يفلحون يعني الفلاح بعيد عنهم، كيف هنا استفهامية وهي تفيد ماذا؟ الاستبعاد يعني: بعيد عنهم أن يفلحوا لماذا؟ لفعلهم الشنيع، شجوا نبيهم الذي يرسل إليهم، زاد مسلم من طريق ثابت عن أنس «وكسروا رباعيته وأدموا وجهه» أي كيف يحصل لهم الظفر والفوز والسعادة مع فعلهم هذا بنبيهم، فالاستفهام يراد به الاستبعاد، أي بعيد أن يفلح قوم فعلوا هذا بنيهم، ويفلح من الفلاح وهو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب (فنزلت: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨]) (فنزلت) الفاء هذه سببية أي (فنزلت) نزلت الفاء سببية (فنزلت) قوله يعني: قوله تعالى ({ليس لك من الأمر شيء}) ما سبق: (شج النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: «كيف يفلح قوم») جملتان حينئذ ما المناسب أن تعلق سبب النزول؟ نزلت لكونه شج، أو نزلت لقوله؟ فما هو السبب، حدد السبب من النص السابق، لقوله: («كيف يفلح قوم شجوا نبيهم» فنزلت) بسبب هذه المقولة كلمة واحدة جملة يعني، من النبي – صلى الله عليه وسلم – استبعد فيها فلاح قوم فعلوا ما فعلوا، يعني وجد السبب، وسيأتي في الحديث الآخر أنه دعا عليهم اللهم العن فلان وفلان حينئذ وجد السبب واستبعد فلاحهم حينئذ وافق قولهم مقتضى الظاهر لكن مع ذلك نزل قوله تعالى: ({ليس لك من الأمر شيء}). فمن تعلق بالنبي – صلى الله عليه وسلم – يرد عليه بهذه الآية (فنزلت: {ليس لك من الأمر شيء}) أي نزلت هذه الآية والخطاب فيها لمن؟ للرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو واضح بين، و ({شيء}) اسم ليس ({ليس لك من الأمر شيء}) ليس شيء لك، شيء نكرة في سياق النفي فتعم، أي شيء أدنى شيء ليس لك، واللام هنا في لك يحتمل أنها للاستحقاق أو للملك، ({ليس لك}) يا محمد – صلى الله عليه وسلم – لا استحقاقا ولا ملكا أدنى ما يكون أو يصدق عليه لفظ شيء، ففيه عموم ({ليس لك من الأمر شيء}) اللام في ({لك}) لام الاستحقاق أو لام الملك، وكلاهما بمعنى وهو منفي هنا. ({ليس لك من الأمر شيء}) قلنا: الخطاب فيها للرسول – صلى الله عليه وسلم – ({شيء}) نكرة في سياق النفي.." (١)

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٢/٤٧

"قال ابن عطية: كأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لحقه في تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش، هو بشر عليه الصلاة والسلام فكأنه لحقه شيء في نفسه إما يقتضي الفطرة والطبيعة كأنه استبعد فلاحهم فمالت نفسه إلى أن يستأصلهم الله تعالى ويريح منهم فقيل له بسبب ذلك ({ليس لك من الأمر شيء}) أي عواقب الأمور بيد الله تعالى فامض أنت لشأنك ودم على الدعاء لربك. وقال غيره: المعنى أن الله تعالى مالك أمرهم. وهو كذلك، له الملك يشمل المؤمن والكافر، أليس كذلك؟ الكافر هدايته بيد الله تعالى قلبه ملك لله تعالى، الذي يتصرف فيه من الله عز وجل ({ليس لك من الأمر شيء}) قال هنا المعنى أن الله تعالى ما لك أمرهم، فإما أن يهلكهم أو يكبتهم، أو يتوب عليهم إن أسلموا، أو يعذبهم إن أصروا، وليس لك من أمرهم شيء وإنما أنمت عبد مأمور بإنذارهم وجهادهم.

فقال ابن إسحاق: أي: ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم. دعوتهم فقط، أما الحكم عليهم هذا نقول: لا، لا ليس للبشر البتة، يعني يدخل الجنة ويخرج من النار هذا ليس للبشر البتة، ولا محمد - صلى الله عليه وسلم -؟ ولا محمد - صلى الله عليه وسلم -.

قال هنا: والأمر في الآية المراد به الشأن، أي شأن الخلق ({ليس لك من الأمر شيء}) يعني من شأن الخلق، أو من الحكم في العباد كما قال ابن إسحاق هذا وذاك كلاهما معنى صحيح، فشأن الخلق إلى خالقهم حتى النبي - صلى الله عليه وسلم - ليس له فيهم شيء، ففي الآية خطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - مع ما وقع به ... من الكفار ما عذره الله تعالى في كلمة واحدة («كيف يفلح قوم شجوا نبيهم») يعني ما عذره الله تعالى في هذه الكلمة قالها فنزلت الآية، وليس ذلك بهوان بالنبي - صلى الله عليه وسلم - على الله فإنه أكرم خلق الله عليه وأفضلهم على الإطلاق، ولكن ليتبين نزول قدره - صلى الله عليه وسلم - عن مقام الربوبية فإنهما هو عبد الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، فالنظر حينئذ يكون في ماذا؟ أنه ليس له من مفردات الربوبية شيء البتة، أليس كذلك؟

مناسبة الحديث للباب أن فيه دليل على بطلان الشرك بالأولياء والصالحين، وهو كذلك لأنه إذا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يدفع عنه نفسه الضر شج وكسرت رباعيته - صلى الله عليه وسلم - ما دفع عنه نفسه، فكيف يدفع عن غيره؟! إذا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، والذي لا يملك لنفسه دفعا ولا ضرا هذا لا يعبد، وليس له من الأمر شيء فغيره من باب أولى.

ما يستفاد من الحديث مما ذكر: بطلان الشرك بالأولياء والصالحين كما سبق.

ثانيا: وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ثالثا وجوب إخلاص العبادة لله لأنه هو الذي له الأمر وحده (**{ليس لك من الأمر شيء}**) إذا لمن الأمر؟ لله.

رابعا: مشروعية الصبر وتحمل الأذى والضرر في سبيل الدعوة إلى الله. هنا يحصل التأسي.." (١)

"خامسا: النهي عن اليأس من رحمة الله تعالى، ولو فعل الإنسان ما فعل من المعاصي التي هي دون الشرك بل من الشرك، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - قال هذه الجملة في شأن من؟ في شأن الكفار ونزلت الآية (**{ليس لك من الأمر شيء}**) حينئذ كل من موقع في معصية ينبغي للناظر في حاله أن لا ييأس من رحمة الله تعالى بأن يهدي هذا المخلوق.

إذا دل الحديث على ما ذكر وهذه مناسبته للباب.

ثم قال: (وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع). الحديث سيأتي مع ما بعده مع المسائل، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.." (٢)

"ثم قال: (و ((الصحيح)) عن أنس قال: شج النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم»؟ فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}**). وهذا يتعلق بسيد الأولين والآخرين، وأشرف الخلق نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - لما قال: («كيف يفلح»). هذا فيه استبعاد، لما حصل ما حصل من أولئك القوم وهم كفرة قال ماذا؟." (٣)

"(«كيف يفلح») يعني لا يفلحون استبعد ماذا؟ استبعد الفلاح، فالاستفهام هنا للاستبعاد («كيف يفلح قوم شجوا نبيهم» فنزلت) إذا الفاء هذه سببية بينت سبب نزول هذه الآية وأن مقولة النبي - صلى الله عليه وسلم - مع أن فيها كفار مع وجود السبب المقتضي لو دعا عليهم فهو محق عليه الصلاة والسلام لأنهم آذوه وآذوا أصحابه (فقال: «كيف يفلح قوم»)، لا يفلحون مع ذلك نزل قوله تعالى: (**{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨]). ({ليس لك من الأمر}) أمر الخلق وشأن الخلق أو الحكم فيهم

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٣/٤٧

(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٤/٤٧

(٣) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٤/٤٨

({شيء}) نكرة في سياق النفي فتعم، إذا نفي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يكون بيده شيء للمخلوقين، وهذا يعم من دعا عليهم وغيرهم، إذا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضر ولا يملك لأصحابه بدليل ماذا؟ أنه لم يستطع عليه الصلاة والسلام أن يدفع الضر عن نفسه يوم أحد، ولا عن أصحابه، دل ذلك على ماذا؟ على أنه لا يملك شيئا البتة ,ولذلك قال تعالى: ({**ليس لك من الأمر شيء**}). والأمر هنا قلنا: الحال والشأن، أو المراد به الحكم في العباد شأن الخلق، ففي الحديث دليل على بطلان الشرك بالأولياء، ولا شك أن سيد الأولياء هو نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، فأي تعلق بغيره نقول: لا يملك نفعا ولا ضرا. فيه دليل على بطلان الشرك بالأولياء والصالحين لأنه إذا كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يدفع عن نفسه الضر وليس له من الأمر شيء فغيره من باب أولى وأحرى. ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (وفيه). هذا الحديث الثاني وهو الذي وقفنا عنده (وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن فلانا وفلانا» بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» فأنزل الله تعالى: {**ليس لك من الأمر شيء**}. وفي رواية). بين فلانا وفلانا من هو («اللهم العن فلانا وفلانا»)، (وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت ... {**ليس لك من الأمر شيء**}) كانوا كفارا وقت الدعاء ثم أسلموا فحسن إسلامهم. قوله: (وفيه). الضمير يعود على إلى شيء؟ إلى الصحيح ... (وفيه).." (١)

"قوله: (أنه سمع) (أنه) يعني أن ابن عمر (سمع) وهذا أعلى درجات التحمل، السماع هذا ليس ثم مباشرة بينهما (أنه سمع) يعني ابن عمر ... (سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم»)، (يقول) قلنا إذا جاء يقول يحمل على ماذا؟ على اللفظ والمعنى، ولذلك هو صوت أو لا؟ بدليل أن ابن عمر سمعه وهو مأموم، فدل على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رفع جهر به يعني هذا الدعاء يجهر به («سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»)، («سمع الله لمن حمده») لا شك أنه يجهر بها لأنه إمام، و («ربنا ولك الحمد») هذا ليس الأصل فيها الجهر، ولكن قد يجهر ببعض ألفاظ الصلوات، قد يجهر فيسمعه المأموم، قد يكون من باب التعليم، وقد يكون لحكمة أخرى. قال: (سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: إذا رفع رأسه من الركوع في

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٥/٤٨

الركعة الأخيرة من الفجر). هذه تقيدات كلها يؤخذ منها أحكام، فهو تقييد لمكان الدعاء من الصلوات أي صلاة؟ الفجر هذا تقييد، وجاء في حديث ابن عباس أنه عام، فليس التقييد هنا للاحتراز بمعنى أن هذا الدعاء أو دعاء القنوت لا يكون إلا في صلاة الفجر، بل يكون في صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، واختلف في يوم الجمعة لكن المراد هنا بيان أن هذه الصلاة التي سمع فيها ابن عمر هي صلاة الفجر، ولا يلزم من ذلك أن لا يقنت في غير صلاة الفجر، بل هو في جميع الصلوات على الصحيح، ومكانه من الركعات قال: (الأخيرة) مع أنه في صلاة الفجر وهذا يشمل ماذا؟ إذا قلنا بأن الفجر ليس خاصا من الصلوات في الركعة الأخيرة يحتمل الثانية الثالثة الرابعة أو لا؟ الثانية الثالثة الرابعة، الثانية في صلاة الفجر، وعلى القول بأن الجمعة كذلك يقنت فيها دخلت، الثالثة صلاة المغرب، الرابعة الظهر والعصر والعشاء، ولذلك قال: (في الركعة الأخيرة) ومكانه من الركعة ليس بالسجود ولا بين السجدتين إنما قال ماذا؟ (إذا رفع رأسه من الركوع) بين محل ذلك في الركعة يعني ليس في مطلق الركعة الأخير لأنه قال: (في الركعة الأخيرة). (في الركعة الأخيرة) مطلقة حينئذ نحتمل أنه بعد القراءة قبل الركوع بعد الركوع في السجود بين السجدتين بين ذلك، ومكانه من الركعة بما بعد الرفع من الركوع، ويجهر به ولا يسر لقوله: (سمع)، (يقول) .. إلى آخره، حينئذ نقول: هذا من ما يجهر به. قوله هنا: («اللهم العن فلانا وفلانا»). معلوم أن هذا القنوت إنما كان بعدما شج رأسه عليه الصلاة والسلام، ولذلك نزلت ماذا؟ ({ليس لك من الأمر شيء}) فثم مناسبة بين هذا الحديث والحديث السابق. إذا هذا القنوت بعدما شج رأسه، وكسرت رباعيته يوم أحد. قال: («اللهم العن فلانا وفلانا»). اللعن أصله الطرد والإبعاد من رحمة الله، ومن الخلق السب والشتم، ومر معنا في أول الكتاب، ومنهم يقول: من الخلق السب والدعاء.." (١)

"قوله: (وفي رواية: يدعو على صفوان) .. إلى آخره، وذلك لأنهم رؤوس المشركين يوم أحد هم وأبو سفيان، ومع ذلك فما استجيب له فيهم، بل أنزل الله عليه {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] فتاب الله عليهم، وآمنوا قالوا وفي هذا كله معنى شهادة أن لا إله إلا الله، الذي له الأمر كله، يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته، فهو المستحق أن يعبد وحده دون ما سواه. فالنبي - صلى الله عليه وسلم - دعا في الصلاة وهو أشرف الخلق وخلفه الصحابة يؤمنون على دعائه وهم صفوة الخلق بعد الرسل، الإمام والمأمومون هنا أشرف الخلق، النبي

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٧/٤٨

- صلى الله عليه وسلم - باعتبار كونه رسولا وهو القدوة عليه الصلاة والسلام، ثم أفضل الخلق بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - صحابته، ومع ذلك هو الداعي، وهم الذين يؤمنون فما استجيب لهم، بل نزل النص الآتي، وخلف الصحابة يؤمنون على دعائه وهو صفوة الخلق بعد الرسل، ومع ذلك أنزل الله هذه الآية ({ليس لك من الأمر شيء}) وبينا فيما يتعلق بشرحها، ومع ذلك أنزل الله هذه الآية فلا يبقى في قلب أحد شيء من التعلق بغير الله عز وجل، فإن في هذا كله أكبر دلالة على أنه - صلى الله عليه وسلم - لا يملك ولا يقدر إلا ما أقدره الله عليه، فبطل حينئذ ما يعتقده فيه المشركون أنه ينفع دعاؤه بعد موته - صلى الله عليه وسلم -، هو لم ينفع في حياته عليه الصلاة والسلام فبعد موته من باب أولى وأحرى، أن ينفع دعاؤه بعد موته - صلى الله عليه وسلم - أو دعاء أحد من سائر الأنبياء الصالحين بهذه البراهين. وقوله هنا: (فأنزل الله تعالى: {ليس لك من الأمر شيء}). وفي الحديث السابق قال: (فنزلت) وكلها بالفاء، والفاء فاء السببية، وعلى هذا يكون سبب نزول الآية دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - على هؤلاء، يعني ظاهر النص ماذا؟ أن الآية نزلت بسبب الدعاء عليهم في القنوت، وفيما سبق ظاهر النص قوله: («كيف يفلح قوم شجوا نبيهم»). إذا سببان، هل بينهما تعارض؟ نقول: ليس بينهما تعارض، إذ لا مانع أن يكون للآية الواحدة بل للسورة الواحد سببان، لا مانع أن يكون للآية الواحدة سببان، أو للسورة الواحدة سببان، ولذلك في غير موضع ينص أهل العلم أن السورة الواحدة قد تنزل مرتين، تكون مكية ومدنية، وعلى هذا يكون سبب نزول الآية دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - على هؤلاء، وكذلك قوله: («كيف يفلح قوم شجوا نبيهم»). ولا مانع أن يكون لنزول الآية سببان.." (١)

"مناسبة الحديث للباب فيه بيان أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقدر أن يدفع عن نفسه نعم أذى المشركين، لم يقدر أن يدفع أذى المشركين عن نفسه ولا عن أصحابه، بل لجأ إلى ربه القادر المالك، دعا لماذا دعا؟ لأنه مفتقر أو لا؟ لما أصيب أو أصابه ما أصابه وأصاب أصحابه كذلك ماذا صنع؟ لجأ إلى خالقه، هذا يدل على ماذا؟ على أنه مفتقر إلى ربه وخالقه، وإذا كان كذلك فحينئذ لا يجوز التعلق به البتة، بل لجأ إلى ربه القادر المالك مما يدل على بطلان ما يعتقده عباد القبور في الأولياء والصالحين والنبي - صلى الله عليه وسلم - سيد الأولياء، فإذا كان إذا احتاج أمرا أو مسه الضر لجأ إلى ربه، فغيره من الأولياء من باب أولى وأحرى، حينئذ ماذا يريد هؤلاء عباد القبور من هؤلاء الأولياء، ماذا يريدون؟ جلب

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٣/٤٨

المنفعة؟ دفع الضر؟ لا يملكونه لأنفسهم فضلا عن غيرهم، إذا ماذا تريدون؟ وساوس شيطانية.

ويستفاد منه أيضا.

الأول: بطلان التعلق بالأولياء والصالحين لطلب قضاء الحاجات وتفريج الكربات.

ثانيا: جواز الدعاء على المشركين في الصلاة لكن على جهة العموم، يعني، أو على جهة الخصوص دون اللعن، لأن اللعن هنا جاء فيه عتاب، لما قال: («العن فلانا وفلانا»). نزل ({**ليس لك من الأمر شيء**})، إذا يمكن أن يدعى عليه اللهم كف شره مثلا، لكن لا يلعن بعينه، أما الدعاء على الكفار على جهة العموم فهو جائز، ثانيا: جواز الدعاء على المشركين في الصلاة.

[رابعا أو] ثالثا: فيه دليل على تسمية الشخص المدعو له أو عليه، وهذا لا يضر في الصلاة كذلك.

رابعا: التصريح بأن الإمام يجمع بين التسميع والتحميد، هكذا قالوا، ونزيد عليه كذلك المأموم يجمع بين التحميد والتسميع، إذا كل مصل يجمع بين التحميد والتسميع، كما أن كل مصل يقرأ الفاتحة على جهة الوجوب ركنية.

[قال المصنف رحمه الله تعالى] إذا عرفنا المراد بقوله: (وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام فنزلت {**ليس لك من الأمر شيء**}) والكلام في الآية كالآية السابقة هي بعينها.." (١)

"قال هنا: دفع به ما عساه أن يتوهمه بعضهم أنه يغني عنهم من الله شيئا بشفاعته، فإذا كان لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يدفع عن نفسه عذاب ربه لو عصاه، كما قال تعالى: {قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم}. فكيف يملك لغيره نفعا أو ضرا؟ أو يدفع عنه عذاب الله؟ هذا جاء التنصيص أولا بأنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا * قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا} [الجن: ٢١، ٢٢] وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى، وأما شفاعته - صلى الله عليه وسلم - في بعض الأوساط فهذا أمر من الله ابتداء ليس من شأن النبي - صلى الله عليه وسلم - ابتداء، يعني لا بد أن يأذن الله تعالى له، وأما أن يكون ابتداء فهذا ممتنع، إذا لا يرد بأنه قد ينفع النبي - صلى الله عليه وسلم - بالشفاعة كما هو معلوم في موضعه، نقول: نعم هو نفع لكن ليس استقلالا، وإذا لم يكن الشيء استقلالا كان تابعا لإذن الله الباري جل وعلا وحينئذ لا مزية للنبي - صلى الله عليه

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٤/٤٨

وسلم – من هذه الحيثية، إذا فهو أمر من الله ابتداء فضلا عليه وعليهم لا أنه يشفع فيمن يشاء، ويدخل الجنة من يشاء. وعند البخاري بعد قوله: («لا أغني عنكم من الله شيئا»)، «يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا». لعل المصنف اختصرها، قوله: («يا عباس بن عبد المطلب»). هو عم النبي – صلى الله عليه وسلم –، ويجوز في عباس الضم والنصب كما هو معروف في محله، وابن هنا ابن عبد المطلب بالنصب، يعني: يتعين فيه النصب لأنه مضاف، («يا عباس»)، («يا عباس») ابن بالنصب لا غير، ولا يجوز فيه إلا النصب لأنه مضاف، وكذا القول في قوله: («يا صفية عمة رسول الله»). («ويا فاطمة بنت محمد») .. إلى آخره – صلى الله عليه وسلم –، وعبد المطلب ذكره النبي – صلى الله عليه وسلم – خبرا عن أمر واقع لا إقرارا له ... #٥٧,٢٠ لأنه تعبيد لغير الله بل هو خبر، ولهذا انتمى إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب». من باب ماذا؟ الإخبار لا من باب الإنشاء، ففرق بينهما، .. إلى أن قال: («ويا فاطمة»). قال هنا: («يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا»). («سليني من مالي ما شئت»)، أي اطلبي من مالي ما شئت، لماذا؟ لأنه يملك المال، أما الجنة فلا، أما عدم دخول النار فلا، أما الشفاعة فلا، أما المغفرة فلا، أما المال الذي يكون في حوزته في الدنيا فنعم، إذا («سليني من مالي») أضاف المال إلى نفسه، وأما الجنة فليست له، جنتي مغفرتي رحمتي لا، هذه لا تطلب من النبي – صلى الله عليه وسلم – ({ليس لك من الأمر شيء}) أي اطلبي من مالي ما شئت لأنه يملكه فلن يمنعها، وأما حق الله تعالى فقال: («لا أغني عنك من الله شيئا»).." (١)

"سابعا: منع التوسل بجاه النبي – صلى الله عليه وسلم –، لأن جاه النبي – صلى الله عليه وسلم – لا ينتفع به إلا هو، فالتوسل بجاه النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا يعتبر من البدع.

(فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين). أي قوله: {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون * ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون} [الأعراف: ١٩١، ١٩٢]. فيه الإنكار على من عبد أي معبود كان لا يخلق شيئا ولا يستطيع لهم نصرا، والآية الثانية {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير} [فاطر: ١٣] فيها إبطال

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٨/٤٨

عبادة كل ما سوى الله لأنه لا يملك القطمير، فكيف بما هو أعظم؟ الذي لا يملك القطمير يملك الجنة؟ لا، ما يملك الجنة قطعا هذا.

(الثانية: قصة أحد) أي عزوة أحد التي شج فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – وكسرت رباعيته – صلى الله عليه وسلم –، وقتل فيها من قتل من الصحابة ففيها فائدة وهو الذي عناه المصنف قصة أحد ما المراد بها؟ كسيرة؟ تاريخ؟ لا، فيها أنهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، بل الأمر كله لله تعالى، ولذلك أصابهم ما أصابهم، لو كانوا يملكون لأنفسهم نفعا لدفعوا الضر عن أنفسهم، ولكن أصابهم ما أصابهم.

(الثالثة: قنوت سيد المرسلين) عليه الصلاة والسلام (وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة). ومع هذا ما أنقذوا أنفسهم فكيف ينقذون غيرهم، فلا أحد من هذه الأمة أقرب إلى الله من الرسول وأصحابه، ومع ذلك يلجئون إلى الله تعالى في كشف الكربات، ومن كانت هذه حاله كيف يلجأ إليه من دون الله في كشف الكربات. وليس مراد المصنف إثبات مسألة فقهية، يعني كونه يدعو ويؤمنون ولذلك قال ماذا؟ (سيد)، و (سادات) مراده ماذا؟ أنهم هؤلاء بلغوا الغاية في الولاية لله تعالى، ومع ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعو والصحابة يؤمنون، وما حصل لهم دل على أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، كذلك وهم يلجئون إلى الله تعالى عند حلول الكربات دل ذلك على أنهم لا يتوجه إليهم البتة.

(الرابعة: أن المدعو عليهم كفار). لقوله: ({أو يتوب عليهم} [آل عمران: ١٢٨]). فهم الآن ليسوا على حالة مرضية، ومن المعلوم أن صفوان ابن أميه وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام وقت الدعاء عليهم كانوا ماذا؟ كانوا كفارا، ومراد المصنف في هذه الحال الذي كان هؤلاء كفارا لم يملك النبي – صلى الله عليه وسلم – شيئا بالنسبة إليهم، وليس المراد الإعلام بكفرهم لأن هذا معلوم، إنما المراد دعا النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو أشرف الخلق وسيد الأولياء دعا على كافر فنزلت **{ليس لك من الأمر شيء}** فكيف لو دعا على مؤمن يكون من باب أولى وأحرى.

(الخامسة: أنهم فعلوا أشياء) يعني الكفار (فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار. منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم).." (١)

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢١/٤٨

"أي أنهم مع كفرهم كانوا معتدين، إذ فعلوا هذه الخصال التي هي من أسباب الدعاء عليهم، يعني وجد السبب، وجد المقتضي ومع ذلك قيل له عليه الصلاة والسلام **{ليس لك من الأمر شيء}** فأمر الله غالب، وهو المتصرف في عباده دون خلقه.

(السادسة: أنزل الله عليه في ذلك **{ليس لك من الأمر شيء}**).

أي مع ما تقدم من الأمور التي تقتضي أن يكون للنبي – صلى الله عليه وسلم – حق بأن يدعو عليهم أنزل الله **{ليس لك من الأمر شيء}** فالأمر لله وحده، فإذا كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد قطع عنه هذا الشيء فغيره أولى يعني مع كون دعائه وقع بحق لأنه معتدا عليه ظلم عليه الصلاة والسلام فدعا مع ذلك جاء هذا الشأن.

(السابعة: قوله: {أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} فتاب عليهم فآمنوا).

القلوب بيد الله عز وجل، ولو كان كفارا، هنا قال ماذا؟) (السابعة)، ({أو يتوب عليهم})، فالأمر كله بيده سبحانه، ومن دونه لا يستطيعون أن يغيروا شيئا من أمر الله، وهذا دليل على كمال سلطان الله تعالى وقدرته وعزته.

(الثامنة: القنوت في النوازل).

يعني إذا نزل بالمسلمين نازلة يدعو الإمام أو كل مصلي، أو الإمام الأعظم كما هو المذهب، يدعو لكشف هذه النازلة، وهي مما يكون من غير الله تعالى، وأما ما إذا كان من جهة الباري جل وعلا كالخسوف والجدب ونحوها، فهذه لها أحكامها الشرعية المتعلقة بها، فالكسوف مثلا والخسوف هذا فيه شرعت الصلاة، والاستسقاء شرع له الدعاء والجمعة أو الصلاة بعينها، على كل المسألة فقهية وبحثها في محله، لكن هذا الحديث مما يدل على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد دعا، فنثبت ذلك الشأن.

(التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم).

وهي لكونه سمى صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فدل على جواز التسمية وتتأكد عند المصلحة والدعاء في الصلاة لأناس بأسمائهم لا يعد من كلام الناس، هذا مما يدل عليه هذا النص، بل هو دعاء، والدعاء مخاطبة الله تعالى، ولذا قال بعضهم: إذا سمى شخصا في التشهد بطلت صلاته. بناء على ماذا؟ على أنه خطاب نفسه، نقول: لا، ليس خطابا للناس، وإنما هو خطاب مع البارئ جل وعلا، وإذا كان كذلك لو سمى ليس فيه إشكال مع وجود النص يكفي هنا، إذا جاء النص كفى، والدعاء

مخاطبة الله تعالى، ولا يدخل في عموم قوله – صلى الله عليه وسلم –: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيئا من كلام الناس». كلام الناس نعم بعضهم مع بعض، لو سلم قال: وعليكم السلام ورحمة الله. هنا بطلت الصلاة، كان متعمدا، وأما إذا كان خطابا مع الباري جل وعلا ولو سمى من سمى لا يعتبر كلاما. (العاشرة: لعن المعين في القنوت).." (١)

"وهذا يعتبر فيه شيء من جهة المصنف، لأن الباري جل وعلا نهى يعني ({ليس لك من الأمر شيء})، هذا فيه متضمن للنهي لا تدعو عليهم، لكن الدعاء هنا دعاء معين، ولذلك قلنا: اللعن دعاء معين بصيغة اللعن التي تقتضي الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى، هذا الذي نهي عنه النبي – صلى الله عليه وسلم –، فإذا كان كذلك حينئذ لا نأخذ الجواز لأن معين الكافر في الدعاء نقول: لا يقتضيه النص بل العكس دل، بل العكس، ولذلك قال الشيخ ابن عثيمين: يعني وقع ثم نهي عنه. لعل هذا مراد المصنف رحمه الله، وإن أراد أنه يستفاد منه جواز لعن المعين في القنوت أبدا ففيه نظر، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – نهي عن ذلك، والذي نهي عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – هو لعن الكفار في الدعاء على وجه التعيين، أما على جهة العموم اللهم العن الكفار لا بأس به، اللهم العن اليهود والنصارى لا بأس به، أما لعنهم عموما فلا بأس به، وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقنت ويلعن الكفار عموما، أما التعيين فلا، إذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقنت ويلعن الكفار عموما، ولا بأس بالدعاء على الكفار دون لعن، يعني فرق بين دعاء مع لعن، أو دعاء مطلق بدون لعن، اللهم خذه أخذ عزيز مقتدر تسمه ما فيه بأس، يجوز؟ نعم يجوز ولو سميته، لا نستدل بهذا النص بأنه نهي، لا، نقول النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: («اللهم العن»)، وهذا طرد كأن فيه شيئا من التدخل فيما يتعلق برحمة الله تعالى، من الذي يطرده ومن الذي لا يطرده، لكن أما الدعاء مجرد الدعاء فهو سؤال وهذا لا بأس به، ولا بأس بالدعاء على الكافر دون لعن كقولك: اللهم كف شره عن المسلمين ونحو ذلك. وهذا جائز، أما الدعاء بالهلاك لعموم الكفار فالصحيح جوازه كذلك، ولا مانع منه لأنه دعاء، يعني لا يقتضي أن يقال بأنه إذا هل الداعي استجيب له مضمون الإجابة؟ لا، أنت مكلف من جهة ماذا؟ من جهة بغضهم، وأن يكون القلب يتمنى أو يرجو عدم وجودهم على الأرض هذا الأصل في المسلم، فإذا دعا عليهم على جهة العموم لا إشكال فيه، أما كونهم سيبقون في آخر الزمان وتكون المعركة بين اليهود والمسلمين،

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٢/٤٨

نقول: هذا لا منافاة بين هذا وذاك، لكن المسلم مكلف أن يأتي بما شرع له، وقد شرع له أن يدعو عليهم على جهة العموم، وهذا لا يستلزم أن يكون ثم إجابة، فيمحى اليهود من على وجه الأرض، ثم يبقى من الذي تكون معه المعركة، بعضهم فهم هكذا، ... #١,١٥,١٨، هذا فاسد لا شك فيه، ولهذا دعا عليهم خبيب حين قال: اللهم أحصهم عددا، ولا تبقي منهم أحدا. فدل على جوازه ووقع في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – وهذا إقرار منه، ولعموم الأدلة كذلك، عموم الأدلة.

(الحادية عشرة: قصته – صلى الله عليه وسلم – لما أنزل عليه {وأنذر عشيرتك الأقربين})..." (١)

"هل يجوز، هذا نجيبه لأنه فيه علاقة بالدرس.

س: هل يجوز تأخير العمرة بالانشغال بالدروس بعد أن يحرم؟

ج: يعني إذا تلبس بالعمرة فأخرها لا بأس، يجوز، يعني لا يلزم أن يحرم مباشرة، هو أولى، هو أولى منذ أن يحرم ويدخل مكة، الأولى أن يبدأ بالطواف والسعي، هذا الأولى، وتأخيرها لا بأس به.

هذا أصحاب الورع البارد.

س: هذا يقول جزاك الله خير، هل يجوز أن يكف الإنسان عن التكفير واللعن من الدين لمن وقعوا في أحد النواقض في الشرك الأكبر وغيره، وهم ينتمون للإسلام خوفا من الوعيد، يعني وعيد رجوع الكفر واللعن عليه، لعلهم معذورون بالجهل؟

ج: نقول: لا، هذا ورع بارد، الله عز وجل، بين حال المؤمن، وبين حال الكافر، متى نحكم على الشخص بأنه مؤمن؟ ومتى نحكم على الشخص بأنه كافر؟ معلوم أو لا؟ معلوم، بل هو من أحكم المحكمات، لأن هذه المسألة عظيمة جدا من المسائل المهمة الفرق بين المسلم والكافر، ثم عندنا أمران: أمر يتعلق بالظاهر، وأمر يتعلق بالباطن. الباطن في الحالين لم يجعله الله عز وجل إلينا البتة، فكما أن الكافر الأصلي إذا أظهر الإيمان حينئذ نحكم عليه بماذا؟ بالإيمان بناء على ماذا؟ على ما في قلبه أو على ما أظهره؟ على ما أظهره، وقد يكون منافقا من شر المنافقين، هل نأثم إذا حكمنا عليه بكونه مؤمنا؟ لا، لأننا اعتمدنا على ما أظهره الله تعالى ورتب عليه الأحكام الشرعية، في المقابل الحكم واحد، من أظهر الكفر كفرناه، إذا ارتكب ناقضا قوليا أو أخبر عن شيء اعتقادي أو عملي ظاهرا، حينئذ نقول: الله عز وجل بين على أن من تلبس بهذا فهو كافر كفر أكبر، حينئذ نحكم عليه بالظاهر كما حكمنا على المؤمن بالظاهر، ونكل سريرته وباطنه إلى

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٣/٤٨

الله كما أوكلنا سريرة ما الفرق بينهما، الحكم واحد، ونحن لم، سواء كان في شأن المنافق أو في شأن المؤمن أو في شأن الكافر ليس لنا بحث إلا في ظاهره، لا نتحدث عن باطنه قلبه، ولا نتحدث عن دخول جنة أو نار، واضح؟ هنا يأتي الإشكال في ماذا؟ أنه إذا قيل بأن هذا أظهر ناقضا من نواقض الإسلام فهو كافر يجب علي أن أحكم أن اعتقد أنه كافر، هذا واجب شرعا، كما يجب علي أن اعتقد أن هذا الذي أظهر الإسلام فهو مسلم، إذا ما الفرق بينهما؟ ما الفرق؟ لا فرق بينهما، هذا حكم الله، وهذا حكم الله، حينئذ، ولذلك المنافق قد يعيش بين المسلمين ويعامل يجب أن يعامل معاملة المسلمين، ويصلى عليه ويرث ويورث .. إلى آخره ويكف، ومع ذلك قد يكون في باطنه ماذا؟ أنه أشد كفرا من اليهود والنصارى، ومع ذلك لا نؤاخذ لماذا؟ لأننا ليس لنا إلا الظاهر، وأما الباطن **فليس لك من الأمر شيء**، كما هو الشأن فيمن مر معنا، كذلك الشأن في الكافر، لماذا نعظم هذا ونجرم هنا؟ نقول: هذا ليس بصحيح، وهذا قد وصل بعضه إلى أحكام التكفير أنها أحكام ذهنية فقط لا وجود لها في الخارج البتة، يموت يعيش العالم وهذا يتبناه حتى بعض أهل العلم، يعيش لعله ستين سنة ويرى من يرى ممن يتلبس بالنواقض صباح مساء، ثم يقول: أنا لا أكفره حتى أقيم الحجة الرسالية عليه. أين هذه الحجة؟ هذا ليس بصحيح.." (١)

"هذا الباب نوع من الباب الذي قبله، لأن الهداية هداية التوفيق طلبها مما يختص بالباري جل وعلا، حينئذ هو كشأن المغفرة والرضا ودخول الجنة والنجاة من النار، هذا لا يكون طلبه إلا من الله تعالى، فلا يطلب من ... النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا من غيره، حينئذ يكون هذا الباب جزء أو جزءا من الباب السابق، أنه نوع من الباب الذي قبله فيه الرد على عباد القبور الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين أنهم ينفعون أو يضرون، ويسألونهم قضاء الحاجات وتفريج القربات وهداية القلوب وغير ذلك من أنواع المطالب الدنيوية والأخروية. فإذا عرف الإنسان معنى هذه الآية الآتية، ومن نزلت فيه، تبين له بطلان قولهم وفساد شركهم لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أفضل الخلق وأقربهم من الله تعالى، وأعظمهم جاها عنده ومع ذلك حرص واجتهد غاية الاجتهاد عليه الصلاة والسلام على هداية عمه أبي طالب في حياته وعند موته، فلم يتيسر ذلك ولم يقدر عليه وهذا يدل على ماذا؟ على أنه لا يملك شيئا لعمه لا في الدنيا ولا في الآخرة، كما مر معنا في قوله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨]. ثم استغفر له بعد موته فلم يغفر له أيضا لا في حياته ولا بعد موته حتى نهاه الله عن ذلك، ففي هذا أعظم بيان وأوضح برهان

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٥٠/٢١

على أنه – صلى الله عليه وسلم – لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا عطاء ولا منعا، وأن الأمر كله بيد الله تعالى، وإذا كان الأمر كذلك بطلت عبادته – صلى الله عليه وسلم –، فكل من توجه للنبي – صلى الله عليه وسلم – بالاستغاثة أو بالشفاعة الشركية، حينئذ نقول: هذه العبادة باطلة، لماذا؟ لأن التوجه إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – توجه إلى من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره، ومر معنا مرارا أن من تتعلق به القلوب هو من بيده النفع والضر، وذلك خاص بالباري جل وعلا، إذا بطلت عبادة النبي – صلى الله عليه وسلم –، وهل يعبد النبي؟ نقول: نعم، كثير من الناس تعلقوا بالنبي – صلى الله عليه وسلم – فصاروا يسألونه الجنة وعدم دخول النار، ويستشفعون به، ويستغيثون به في الحياة الدنيا. نقول: هذا كله يعتبر من الشرك الأكبر، فبطلت عبادته والتعلق به عليه الصلاة والسلام لجلب النفع ودفع الضر، وإذا بطلت عبادته فالتعلق به لذلك وهو أشرف الخلق عليه الصلاة والسلام فعبادة غيره أولى بالبطلان، لأنه أفضل الخلق بالإجماع، فأفضل الخلق بالإجماع هو النبي – صلى الله عليه وسلم –، فإذا كان لا يحل لمسلم أو لإنسان أن يتعلق بالنبي – صلى الله عليه وسلم – على جهة قضاء الحاجات وتفريج الكربات مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل فغيره من دونه من باب أولى وأحرى، فإذا كان التعلق بالنبي – صلى الله عليه وسلم – يعتبر من الشرك الأكبر فما بالك بالتعلق بالبدوي والسيد وعلي بن حسين وعلي بن أبي طالب وغيرهم ممن صاروا آلهة يعبدون من الله تعالى.." (١)

"حينئذ نقول: هذا لا يضر لأنه معلوم من السياق. إذا {إنك لا تهدي من أحببت} هدايته. طيب قال: لا تستطيع هداية من أحببت هديته ومع حرصك على هدايته فلم تتمكن، لن تتمكن لأن الأمر كله بيد الله تعالى كما سبق بقوله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] هنا شيء نكرة في سياق النفي فتعم أي شيء، أدنى ما يطلق ويصدق عليه أنه شيء فهو منفي عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، لا يملك لنفسه فضلا عن غيره أدنى نفع وأدنى ضر، **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون}، وقال تعالى: {ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله} [هود: ١٢٣] إليه لا إلى غيره {يرجع الأمر كله} الأمر هنا المراد به الحال والشأن، وأل فيه للاستغراق فتعم كل أمر، إليه يرجع كل أمر قال: {إليه يرجع الأمر} كل أمر {كله} أكده، إذا عندنا مؤكدان: أل الاستغراق الداخلة على الأمر حينئذ عم كل أمر، ثم قال: {كله} من باب التوكيد، فعندنا مؤكدان، وأل في {الأمر}

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٥٢

للاستغراق فهو تأكيد على العموم، ثم أكده بـ كل، وذلك توكيدان. وهذه الآية نزلت في أبي طالب كما ثبت في الصحيحين وغيرهما. قال الزجاج: أجمع المفسرين على أنها نزلت في أبي طالب، لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد تقرر في الأصول - هكذا قال الشوكاني في ((فتح القدير)) -: فقد تقرر في الأصول أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيدخل في ذلك أبو طالب دخولا أوليا
واجزم بإدخال ذوات السبب ... وارو عن الإمام ظنا تصب

وأجزم بإدخال ذوات السبب يعني ما الفائدة إذا كان اللفظ عام ثم لا بد أن نعرف السبب؟ نقول: لأن اللفظ العام يرد عليه التخصيص أو لا؟ ما المراد بالتخصيص؟ يعني إخراج بعض أفراد اللفظ العام، أليس هذا معنى التخصيص؟ بمعنى أن اللفظ عام يجوز أن يأتي مخصص فيخرج من الناس عن مدلول هذا اللفظ، لكن هذا يجوز في غير محل السبب، يعني: كل من عداه - من باب التنزل - نقول: ليس بوارد هنا، من باب التنزل كل من عدا أبي طالب جائز عقلا أن يرد نص فيخرجه، لكن أبو طالب لا يمكن أن يأتي، ولذلك قال: اجزم. وهذا هو الصحيح في هذه المسألة
واجزم بإدخال ذوات السبب
يعني الصورة التي ورد السبب عليها اجزم واقطع بدخولها في ماذا؟ في اللفظ العام، يترتب على ذلك أنه لا يمكن إخراجها من النص، لا يمكن أن يأتي يقول: هذا ماذا؟ هذا دليل يدل على أن هذه الصورة غير واردة، لماذا؟ لأنه دل الدليل على كذا. نقول: دليلك هذا باطل فاسد، لماذا؟ لأنك لو أخرجه إذا الآية خطاب لمن صار عبثا! يخاطب من؟ إذا نزل الحكم الشرعي لبيان هذه الواقعة فحينئذ إخراجها عن النص مدلول النص نقول: صار اللفظ عبثا، لم يكن ثم خطاب لأحد، وهذا باطل
واجزم بإدخال ذوات السبب ... وارو عن الإمام ظنا تصب

يعني الإمام مالك له رواية أخرى أن دخول صورة السبب ذات السبب أنها ظنية، وإذا كان ظنية يجوز إخراجها، لكن القول الأول هو المعتمد.." (١)

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٧/٥٢

"القسم الأول: هداية خاصة بالله تعالى. خاصة بالله يعني: لا يشركه فيه أحد من الناس من المخلوقين البتة. لا هادي غيره، ولا تطلب إلا منه جل وعلا، كما أن الجنة لا تطلب إلا من الله، أليس كذلك؟ فكذلك الهداية لا تطلب من غير الله، وكما أن الجنة لو طلبت من غير الله كان شركا أكبر، لو طلبت الهداية هداية التوفيق من غير الله تعالى لكن شركا أكبر. وهذا الذي جعل المصنف يورد هذا الباب هنا يعني: من المسائل هذه المسألة. إذا هداية خاصة بالله تعالى لا هادي غيره ولا تطلب إلا منه، وهذه الهداية التي عنون لها أهل العلم بهداية التوفيق والقبول والإلهام، يعني يصير مهتديا بالفعل.

يعرض عليه الإسلام هذه هداية، وهي النوع الثاني فيقبل بقلبه ويسلم، كونه يقبل ويهتدي ويسلم، يعني يدخل في الإسلام هذه خاصة بالله عز وجل، وهي نوع هداية أو لا؟ نوع من نوعي الهداية، كونه يقبل فيمتثل ويقبل فيدخل في الإسلام ويقبل فيدخل في الإيمان، ويقبل العلم بالطاعة فيعمل حينئذ نقول: هذه الهداية خاصة بالله تعالى. يعني لا محل أو لا تأثير لأحد على قلوب الخلق، لأن هذه محلها القلب، والذي يتصرف في القلب من؟ الله عز وجل، فإذا كان كذلك فالقبول للحق ليس إليك.

وهذه الفائدة لها فائدة لمن يدعو إلى الله تعالى، ليس لك وعليك إلا ماذا؟ إلا البيان، بين هذا حلال وهذا حرام، هذا طريق الحق وهذا طريق الباطل، يقبلون لا يقبلون، يستسلمون ينقادون لا ينقادون، **ليس لك من الأمر شيء**، ليس إليك، والذي يريد أن يلزم الناس إلا أن يقبلوا هذا تدخل في شيء لا يعنيه، واضح هذا؟ إذا هذه هداية التوفيق والقبول والإلهام، والمراد بها أن يقبل الحق وينقاد إليه، وهي المستلزمة للاهتداء، يعني القبول، هذه مستلزمه للاهتداء، وهي المذكورة في هذه الآية التي معنا ({إنك لا تهدي من أحببت}) وهذه منفية عن النبي – صلى الله عليه وسلم -، لأن متعلق هذه الهداية القلب، والقلب ليس لأحد من البشر البتة، القلب ظاهرا وباطنا وما يتعلق به من القبول والامتثال للحق والبعد عن الباطل كل ذلك بيد الله تعالى لأن الذي يشرح الصدر هو الله عز وجل، هذه من خصائصه جل وعلا، إذا هي المعنية في هذا النوع.." (١)

"قوله: (من أحب في الله). (في الله)، (في) هنا للسببية «دخلت امرأة النار في هرة» يعني بسبب هرة، (في) للسببية أي من أجله من أجل الله تعالى، ويحتمل أنها على أصلها للظرفية على بابها، أي من أحب في ذات الله لا بد من التقدير، لكن حمله على السببية أجود، أي من أحب في ذات الله، أي في

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٩/٥٢

دينه وشرعه لا لعرض الدنيا، والمقصود أحب أهل الإيمان بالله تعالى أحب أهل الإيمان بالله، من آمن بالله وطاعته من أجل ذلك، من أجل كونه مؤمنا، من أجل كونه عابدا مطيعا لله تعالى ليس عنده غرض إلا هذا، فالحب في الله من ثمرات حب الله تعالى ومن موجبات الإسلام، قوله: ... (وأبغض في الله). البغض هو الكره، أي أبغض من كفر بالله وأشرك به وعصاه لارتكابه ما يسخط الله تعالى وإن كان أقرب الناس إليه كما قال تعالى: {لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم} [المجادلة: ٢٢] .. الآية، قوله: (ووالى في الله). الموالاة هي المحبة والنصرة، والى في الله، فوالى بالمحبة والنصرة بحسب القدرة لأنها واجب، وكل واجب فهو مقيد بماذا؟ بالاستطاعة، إذا قلنا: وجب نصرة المسلمين المستضعفين في كل مكان واجب شرعا، حينئذ يتعدد الواجب بحسب القدرة، هذا يستطيع بماله، هذا يستطيع بالسلاح، هذا يستطيع أن يذهب، هذا بدعائه، حينئذ بحسب القدرة والاستطاعة يكون كذلك، الأصل بالذهاب بالنفس والسلاح، ما تمكن، عنده سلاح آخر قد يكون أقوى وهو الدعاء، حينئذ نقول: وجبت النصرة لمحبة أهل الإيمان بالله تعالى ونصرة كل شيء بحسبه، وهذا بيان للازم المحبة في الله، يعني قد يدعي أنه يحبه في الله لا بد من علامة، مر معنا محبة الله تعالى ماذا؟ محبة قلبية لا بد من علامة {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني} [آل عمران: ٣١] وإذا ادعي أنه يحب المسلمين لا بد من علامة، العلامة هي الموالاة، فإذا انتفت المحبة التي دعيت في القلب وهو كاذب، وهذا بيان للازم المحبة في الله وهو الموالاة، وفيه إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب دعوى الحب هذه غير مقبولة في الشرع، الأمور الباطنة هذه نكلها إلى الله تعالى لكن جعل لها علامة ظاهرة وجودها يدل على وجود ما في القلب، وعدمها يدل على عدم ما في القلب، وهذا سائر الأحكام الشرعية أننا لا نحكم بشيء باطل في قلب الإنسان دون علامة جاء بها الشرع، لأن القلوب هذه بيد الله تعالى لا يطلع عليها إلا من خلقها جل وعلا، ولذلك مر معنا نفي الهداية عن النبي – صلى الله عليه وسلم – هداية التوفيق التي هي انشراح الصدر وقبول الحق هذه ليست بيد محمد – صلى الله عليه وسلم –، فمن دونه من باب أولى وأحرى {إنك لا تهدي من أحببت} [القصص: ٥٦] حينئذ نقول: ما في القلوب القاعدة هذا تستريح لا تبحث عن الناس **وليس لك من الأمر شيء**، وإنما يحكم عليهم خالقهم

جل وعلا، وأما الظاهر إن ظهر وسمعت ورأيت دون قال وقيل، حينئذ تحكم بما يقتضيه اللفظ وهذه قاعدة السلف في ذلك.." (١)

"(«والله لا يغفر الله لفلان») هذه جملة («فقال الله عز وجل») ردا عليه («من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان») التألي من الألية بتشديد الياء اليمين يعني الحلف، يقال آل يولي إيلاء، وتألى يتألى، هكذا يتألى في الماضي، يتألى زيد، والاسم الألية. وقوله: («من ذا الذي»)، («من») هذا مر معنا («من ذا الذي») جاءك الذي، حينئذ («من») اسم استفهام («ذا») ملغاة، و («الذي») موصول، والاستفهام يكون مبتدأ، والموصول خبر له، («من ذا الذي يتألى») والاستفهام هنا المراد به الإنكار، مر معنا الاستفهام إذا كان الإنكار يفيد ماذا؟ يفيد التحريم، أي من ذا الذي يتحجر فضلي ونعمتي أن لا أغفر لمن أساء من عبادي؟ من هذا الرجل الذي يحلف على الله تعالى أن لا يغفر لهذا العبد المذنب الذي أساء في حق الله تعالى؟ والمغفرة بيد الله تعالى يغفر من يشاء ولا يغفر لمن من يشاء.

وفيه تحريم الإدلال على الله ووجوب التأدب مع الله تعالى في الأقوال والأفعال والاعتقادات والأحوال، وأن حق العبد أن يعامل نفسه بأحكام العبودية لا يرفع منزلته إلى ماذا؟ إلى أن يجعل لنفسه حقا في التصرف فيما يتعلق بخصائص الباري جل وعلا، فالمغفرة صفة لله تعالى، وهي من خصائصه إذا لا دخل للبشر فيها البتة، ومر معنا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما دعا ... «اللهم العن فلانا وفلانا» نزل قوله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] وهذا إذا كان النبي وهو خير الأنبياء وأفضل الأنبياء وهو أشرف البشر ومع ذلك نزل قوله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}**. إذا هذا الخصائص متعلقة بالله تعالى ليس للبشر فيها شيء، فالأصل في العبد أن يعامل نفسه بأحكام العبودية يتصرف فيما أذن لك الشارع التصرف فيه فيما يتعلق بنفسه، ومن حولك ممن أذن لك الشارح التصرف فيه، وأما ما يتعلق بخصائص الباري جل وعلا هذا ليس من شأنك البتة، ويعامل ربه بما يجب من أحكام الإلهية والربوبية، فالله تعالى خالق وله أحكام تتعلق به وخصائص تتعلق بالصفات من جهة الربوبية ومن جهة الألوهية يجب على العبد أن يحترمها وأن يجتنب أي تنقص يتعلق بها، وأنت لك أحكام تتعلق بك وأذن لك الشارع في التصرف في بعضها دون بعض.

قال تعالى: («إني قد غفرت له وأحبطت عملك») فعومل بنقيض قصده، هو ادعى بإعجابه بنفسه أنه

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٠/٧٢

مغفور له، وأن هذا المذنب الذي احتقره أنه من أهل النار، عامله بنقيض قصده. قال: («غفرت له») أي لهذا المذنب («وأحبطت عملك») فعومل هذا بنقيض قصده وغفر لذلك بسببه، يعني بسبب إعجاب هذا، وكان ذاك يكره هذه الكلمة ولذلك غفر له بما يكرهه.." (١)

"كما سيأتي في كلام ابن رجب رحمه الله تعالى، هو أورد شيئا ما ثم أورد كلام ابن رجب وهو أحسن منه، حينئذ الأولى أولا نحتاج إلى إثبات أن الجنة أعدت لمن لم يرتكب هذا الذنب وجنة أخرى، هذه غيبيات نحن نثبت الجنان كما جاء النص بها، أما التفصيل فيها حينئذ نقول: هذا يحتاج إلى نص، فحمل هذه النصوص «لا يدخل الجنة قتات» يعني جنة أعدت لمن لم ينم، نحتاج إلى نص ولا نص، هذا تأويل متكلف، نحتاج إلى نص، لأن هذا غيب، فنأتي إلى النص الذي أثبت دخول الجنة فإذا به مطلق ليس فيه تفصيل، حينئذ نقول: لا يدخل الجنة معلوم أن الموحد إذا وقع في ذنب ما كبيرة من الكبائر إن تاب في الدنيا تاب الله عليه إن مات ولم يتب حينئذ هو تحت المشيئة إن عفا الله تعالى عنه وأدخله الجنة مباشرة دخولا مطلقا فلا إشكال فيه {**ليس لك من الأمر شيء**} [آل عمران: ١٢٨] ولو فعل ما فعل من العظائم والكبائر ما دام أنه مات مسلما، وإما أن يؤاخذه فإذا آخذه عذبه فإذا عذبه من صور العذاب لأنه قد يعذب في النزع قد يعذب في قبره ونحو ذلك قد يعذبه بدخول النار، إذا لم يدخل ابتداء «لا يدخل الجنة قتات» إذا لم يتب وآخذه الله تعالى [فأدخله الجنة] (١)، هذا آخر المؤاخذة فأدخل النار، ثم بعد ذلك أخرجه جل وعلا حينئذ لم يدخل الجنة، فالدخول نوعان:

دخول مطلق ابتدائي مباشرة لا يمر على النار.

ومطلق دخول يعني سيدخل.

وهذا من الأصول أن الجنة إنما هي لمن مات على التوحيد، وإذا كان كذلك من مات على التوحيد منهم مؤمنون خلص، ومنهم من وقع في شيء مما يتعلق بظلم النفس أو الغير، الثاني قد يؤاخذ فيدخل النار ثم بعد ذلك يدخل الجنة، إذا هذا قد يقال بأنه من التأويل الذي فيه شيء من الكلفة.

---

(١) سبق.." (٢)

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣/٩٦

(٢) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ١٣/١٨

"مقام النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه جل وعلا

قال الشارح رحمه الله: [فانظر إلى هذا الجهل العظيم؛ حيث اعتقد أنه لا نجاة له إلا بعياذه ولياذه بغير الله، وانظر إلى هذا الإطراء العظيم الذي تجاوز الحد في الإطراء الذي نهى صلى الله عليه وسلم عنه بقوله: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد؛ فقولوا عبد الله ورسوله)، رواه مالك وغيره.

وقد قال تعالى: {قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك} [الأنعام:٥٠]].

هو عبد، والعبد هو العابد.

هذا هو العبد الممدوح الذي يعبد ربه، وقد أثنى الله جل وعلا عليه بلفظ العبودية في أشرف المقامات؛ لأن أشرف مقام الإنسان أن يحقق عبادة ربه؛ قال جل وعلا: {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده} [الفرقان:١]، وأثنى عليه جل وعلا في مقام الدعوة فقال: {وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا} [الجن:١٩]، وأثنى عليه جل وعلا في مقام الإسراء فقال: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا} [الإسراء:١]، وأثنى عليه جل وعلا في مقام التحدي: {وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة} [البقرة:٢٣].

هذه المقامات الأربع هي أشرف مقامات الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فذكره الله جل وعلا فيها بلفظ العبودية؛ وذلك أنه ليس شريكا لله جل وعلا في الإلهية، أو الربوبية، أو له شيء من الإلهية، بل هو عبد يتأله ربه، وكان يصيبه ما يصيبه فيلجأ إلى ربه جل وعلا، وكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة كان يمد يديه إلى ربه مفتقرا إليه يسأله متضرعا خاشعا، وهو أعلم خلق الله جل وعلا.

ومع ذلك قد يصيبه الكفار بالأذى، كما جرحوا وجهه صلوات الله وسلامه عليه يوم أحد، وكسروا ثنيته فصار الدم يسيل على وجهه صلوات الله وسلامه عليه، وكان يقول: (كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم)، وهو يدعوهم إلى الله جل وعلا، فينزل الله جل وعلا عليه: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم} [آل عمران:١٢٨] يعني: أنك عبدي فامتثل أمري، وامض في الدعوة التي كلفتك بها، أما هؤلاء فهم عبادي إن شئت عذبتهم، وإن شئت عفوت عنهم؛ فهو ليس له من الأمر شيء صلوات الله وسلامه عليه.

أما دعوى الأفاكين المبطلين فهي مخالفة لكتاب الله جل وعلا، ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدعوته، ولنهج السلف الذين عرفوا الحق، وميزوا بين الحق والباطل، لكن الشيطان يأتي إلى الإنسان في

صورة تعظيم الرسول صلى لله عليه وسلم فيزين له الشرك، ويجعل هذا الشرك من تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم، ويجعل له ما هو من خصائص الله جل وعلا حتى يخرج به من الدين الإسلامي إلى الكفر، والله أعلم.

ثم هذا الكلام وهذه الأبيات للبوصيري صاحب البردة نقول: هذه الأبيات شرك صراح، ولكن الرجل لا يجوز أن نحكم عليه بأنه مشرك؛ لأننا لا ندري ما الذي مات عليه، فربما هداه الله وتبرأ من ذلك وتاب منه، أما إذا علم أنه مات على هذه العقيدة فهو مشرك، ولكن هذا لا يعلم؛ فالحكم على الكلام ليس على الشخص، أما الشخص فأمره إلى الله، فلربما أنه تاب، وعرف الحق ورجع عن الباطل.

قال الشارح رحمه الله: [فانظر إلى هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسنة، والمحادة لله ورسوله.

وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو الذي في نفوس كثير، خصوصا ممن يدعون العلم والمعرفة، ورأوا قراءة هذه المنظومة ونحوها لذلك، وتعظيمها من القربات، فإنا لله وإنا إليه راجعون].

ولا يزال هذا الأمر له من ينميه، ومن ينشره بين الناس، ويدعو إليه، ويروون في هذا حكايات باطلة، أو منامات قد يريهم إياها الشيطان ليضلهم بها، أو أحاديث مكذوبة لا أصل لها، أو دعاوي هي تلبيس للحق بالباطل، وليس لهم دليل على هذه الأمور أبدا، وأدلتهم لا تخرج عن كونها مرائي يريهم إياها الشيطان، أو حكايات تحكى عن بعض الناس قد يكون لها أصل، وأصلها الشيطان، وقد لا يكون لها أصل وإنما هي مكذوبة؛ لأن الحكايات لا يجوز أن يعتمد عليها إلا ما كان من كتاب ربنا وسنة رسولنا صلى الله عليه وسلم، أو أحاديث مكذوبة يريدون أن يجعلوا الحق يدل على الباطل فيها؛ هذه هي أدلتهم لا تخرج عن ذلك.." (١)

"مكانة النبي صلى الله عليه وسلم التي أنزله الله إياها

وفي هذا الحديث: أن هذا الكلام إذا قيل حتى لأشرف الخلق الذي هو رسول الله صلى عليه وسلم فإنه يكون شركا، يعني: إذا شركت المشيئة أو الفعل مع الله جل وعلا في كلمة واحدة وعطفت بالواو فإنه يكون شركا، ولا فرق بين كونه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مع غيره من الخلق، يجب أن يتنزه منه، ويبتعد عنه.

وفي هذا دليل واضح على أن الله جل وعلا هو وحده الذي يملك كل شيء، وهو وحده المتصرف في كل

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٨/١٠٧

شيء، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يملك مع الله شيئا، وإنما هو رسول كلفه الله جل وعلا بإبلاغ الرسالة إلى عباد الله، هذه هي مهمته أكرمه الله جل وعلا بطاعته، ولهذا كان يناله الأذى من الناس، ويناله كذلك المرض، ويناله ما ينال غيره من المؤذيات الطبيعية، وهو كذلك يأخذ بالأسباب التي أمر الله جل وعلا بها، يلبس الدرع ويأخذ السلاح، ويقاتل العدو بالسلاح، ويستعد لذلك، حتى إنه مرة ظاهر بين درعين، أي: لبس درعا على درع، وفي يوم أحد أصيب صلى الله عليه وسلم بما أصيب به، فكسرت البيضة على رأسه، ودخلت حلقة المغفر في وجنته وجهه صلوات الله وسلامه عليه، وكسرت رباعيته، وصار الدم يسيل على وجهه وهو يسلته بيده ويقول: (كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله تعالى؟!) فأنزل الله جل وعلا عليه: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران:١٢٨].

وكذلك يوم خيبر حصل ما حصل عليه وعلى صحابته من الجوع، وكذلك المرض الذي سببه الحمى ووباء المنطقة؛ لأنها كانت وبيئة بالحمى وغير ذلك من الأمور التي تحصل.

فإذا: النبي صلى الله عليه وسلم ليس إلها ولا ربا، وإنما هو بشر مكلف بعبادة الله جل وعلا، وإبلاغ الرسالة، ولهذا يخاطبه الله جل وعلا ويقول له: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا} [الجن:٢١] ويقول له: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا} [الكهف:١١٠] ويقول له: {ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء} [الأعراف:١٨٨] في آيات كثيرة يأمره الله جل وعلا أن يخبر بالواقع الذي هو فيه.

فإذا كان ليس له مع الله شيء فكذلك غيره من الملائكة والرسل ومن هو دون الرسل والأنبياء كالأولياء، فإنهم دونهم لا يصلون إلى مقام الأنبياء، فإذا: لا يملكون شيئا مع الله، فلا يجوز أن يدعوا، ولا يجوز أن ينادوا ويقال لهم: بحسبكم أو إننا نستغيث بكم أو نسألكم كذا وكذا من الأمور التي هي بيد الله جل وعلا، ولا يكونون واسطة بين العباد وبين ربهم جل وعلا؛ لأن الله علام الغيوب، وهو قريب ممن دعاه، ولم يجعل بينه وبين عباده واسطة، بل قال جل وعلا: {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان} [البقرة:١٨٦] فهو قريب من عبده، وأقرب ما يكون الرب جل وعلا من عبده وهو ساجد، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم، أي: أقرب ما يكون الرب إلى عبده إذا ظهر منه الذل والانكسار والخضوع لله جل وعلا، فإن السجود مظهر للذل والخضوع، وكلما كان متذللا لربه خاضعا له

فإن الله جل وعلا يكون قريبا منه.
المقصود أن هذا حق الله؛ فيجب أن يكون خالصا لله جل وعلا، الدعوة وطلب النفع والضر، وكذلك التصرف في الكون كله الدقيق والجليل فإنه لا يكون شيء في المخلوقات كلها إلا بإذن الله جل وعلا بعد إرادته ومشيئته.." (١)

"من أدلة التوحيد حصول المشقة والمصائب على النبي صلى الله عليه وسلم

[المسألة الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء].

هذا مأخوذ مما وقع له بغزوة خيبر صلوات الله وسلامه عليه، فإنه وقع لأصحابه جوع ومرض ووباء، ووقع لهم تعب وشدة، مع أنهم سادة أولياء الله مع سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه.
يقول: إن هذا من أدلة التوحيد.
كيف يكون هذا من أدلة التوحيد؟ لأن معناه أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليس عندهم تصرف في الكون في جلب الرزق ودفع الضر وإزالة الكرب، فإنه وقع فيهم هذا الشيء وما استطاعوا إزالته، واستسلموا وانقادوا لأمر الله جل وعلا، ورضوا بما هم فيه حتى فرج الله عنهم، فدل على أن التصرف كله لله وحده، والأمر كله لله، والعباد كلهم راجعون إليه وكلهم يتجهون إليه، حتى سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عبد مكلف أمره الله جل وعلا بالعبودية، يعبد الله وهو أعظم الناس عبادة لله جل وعلا، فهذا معنى قوله: إن هذا من أدلة التوحيد.
فليس مع الله مدعو يكون له عبادة، فالعبادة تكون لله وحده، وهذا معنى التوحيد؛ إذ إن العبادة لا تجوز أن تكون إلا لمن يملك النفع والضر إذا عبده أثابه وإذا لم يعبده عاقبه، ويعلم ما في قلب الإنسان، ويستطيع دفع المضرات عنه وصرفها، وجلب المنافع إليه، سواء أكانت غيبية أم كانت ظاهرة، أما إذا كان ليس كذلك فلا يصلح أن يكون معبودا، وهذا لا يكون إلا لله وحده، فهذا معنى كون الذي وقع للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه من أدلة توحيد الله جل وعلا.
وقد ذكر أنهم كانوا في شدة الحاجة في هذه الغزوة حتى طبخوا الحمير، أمسكوها وذبحوها وصاروا يطبخونها، فالرسول صلى الله عليه وسلم لما رأى النيران قال: (ما هذه النيران؟ قالوا: إنها حمر.

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ١٢/١٠٩

-وجدوها فذبحوها فهم يطبخونها ليأكلوها- فأمر مناديا ينادي: لتكسر الأواني التي فيها هذه الحمر.

فقالوا: يا رسول الله! نغسلها قال: نعم)، ولهذا جاء عن علي رضي الله عنه (أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرم الحمر الأهلية يوم خيبر)، وهو لهذه القصة، فمن شدة حاجتهم طبخوها، ولكن ما أكلوا منها شيئا، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن تكفأ.

وكذلك كانت خيبر أرضا موبوءة، فأصيبوا بالحمى وبالمرض حتى اشتكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرهم أن يبردوا الماء بالقرب ثم يصبوه على أبدانهم بين الصلاتين، أي: بين صلاة المغرب والعشاء، فشفوا بذلك.

والمقصود أن هذا كله يدل على أن الأمر كله بيد الله جل وعلا، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يملك مع الله شيئا، وإنما الأمر لله، وفي أحد شج رأسه، وكسرت البيضة التي على رأسه صلوات الله وسلامه عليه، وقتل من أصحابه سبعون رجلا، وصار الدم يسيل على وجهه، فقال وهو يسلته: (كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله؟)، ثم صار يدعو عليهم في القنوت في الصلاة، يقنت في الصلاة في الركعة الأخيرة بعد الركوع أو قبل الركوع، ويرفع يديه ويدعو: اللهم! العن فلانا وفلانا وفلانا.

يسميهم بأسمائهم في الصلاة، والصحابة خلفه يقولون: آمين.

أي: اللهم استجب.

ومعلوم أن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ليس كدعاء غيره، ثم بعد ذلك ينزل الله جل وعلا عليه: {**ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران:١٢٨]، فتاب الله على أكثر الذين فعلوا هذه الأفاعيل، فأسلموا ودخلوا في الإسلام بعدما كانوا يسعون جهدهم في قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والمقصود أن الله جل وعلا وحده هو المتصرف في الكون كله، وهذا معنى كون التوحيد يجب أن يكون لله وحده.." (١)

"الأمر كله بيد الله وحده

ولهذا أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس: {قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا} [يونس:٤٩]، وأمره أن يقول: {قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا} [الجن:٢٢]، وهذا أفضل

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٥/٢٨

الخلق صلوات الله وسلامه عليه، يأمره ربه جل وعلا أن يتبرأ إلى الله جل وعلا بأنه لا يملك مما في يد الله شيئا.

وقد وقع له ما وقع يوم أحد، حينما شج وجهه صلوات الله وسلامه عليه، وكسرت رباعيته، ودخلت حلقة المغفر في وجنته صلوات الله وسلامه عليه، وصار الدم يسيل على وجهه، فيسلته ويقول: (كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم؟!) ثم صار يدعو على هؤلاء الذين فعلوا هذا الفعل الشنيع الفظيع دائما في الصلاة، يقول: (اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا، وسادة الأولياء من صحابته خلفه يؤمنون، ويقولون: آمين، مكث شهرا يفعل ذلك، فأنزل الله جل وعلا عليه: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران:١٢٨]) ثم تاب الله جل وعلا عليهم -على هؤلاء- فأسلموا.

فليس لأحد من الخلق مع الله تصرف، فالأمر كله بيد الله، والنفع بيد الله، فليس للأحياء شيء فضلا عن الأموات، أما الميت فهو مرتهن بعمله، كما قال الله جل وعلا: {كل نفس بما كسبت رهينة} [المدثر:٣٨] (رهينة) يعني: محبوسة ومحتبسة بعملها، وليست مطلقة متصرفة كما يقول هؤلاء الضلال، فإنه كذب على الله جل وعلا وعلى دينه، وتدخل في ملكه وتصرفه وأمره.

وكذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إذا مات الإنسان انقطع عمله) ينقطع وينتهي، فإذا كان ينقطع عمله لنفسه، فكيف يستطيع أن يعمل لغيره؟! وكيف يستطيع أن يغيث غيره؟!." (١)

"حكم الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم

قال الشارح رحمه الله تعالى: [وأدبا وتواضعا لربه، وتحذيرا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال، فإذا كان هذا فيما يقدر عليه النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، فكيف يجوز أن يستغاث به بعد وفاته، ويطلب منه أمور لا يقدر عليها إلا الله عز وجل؟!].

يعني: كالذي يطلب منه أن يرزقه، أو يغفر ذنبه، أو يأخذ بيده يوم القيامة وينجيه من عذاب الله، أو يحميه من غضب الجبار جل وعلا، أو -مثلا- أن يزيل المرض الذي فيه، وما أشبه ذلك مما يقع كثيرا من الناس، فإن هذا من الشرك الأكبر، نسأل الله العافية، أو -مثلا- كالذي يأتي ويقول: يا رسول الله! اشفع لي، يا رسول الله! أنا بحسبك، يا رسول الله! أنا داخل عليك أريد منك الشفاعة، وما أشبه ذلك، فإن هذا شرك؛ لأن هذا يجب أن يطلب من الله جل وعلا، والشفاعة لله وليست للرسول صلى الله عليه وسلم، ولكي تقع

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ١٤/٤٦

الشفاعة لابد من شيئين: أولهما: أن يأذن الله للشافع أن يشفع.

والثاني: أنه يحد له حدا، ويقول: هؤلاء اشفع فيهم.

وسيأتي أن الشفاعة معناها وحقيقتها: إظهار كرامة الشافع؛ إذا أراد الله جل وعلا رحمة المشفوع فقط، هذه هي حقيقة الشفاعة.

وإلا فالأمر كله لله: {قل لله الشفاعة جميعا} [الزمر:٤٤] {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه} [البقرة:٢٥٥] {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى} [الأنبياء:٢٨]، فالتعلق بغير الله -وإن كان من أوليائه، وإن كان من أقرب المقربين إلى الله- لا يجوز؛ لأن الملك كله لله، والأمر كله لله، فالعبادة كلها لله، ولا يجوز أن يكون الذل والخضوع، والتعظيم والخشية، والإنابة والخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، والتوبة وغير ذلك من أنواع العبادة إلا لله وحده فقط، وكثيرا من الشعراء يأتي بأشعار صريحة في الشرك في دعوة الله جل وعلا، كما يقول القائل: يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم إن لم تكن في معادي آخذا بيدي فضلا وإلا فقل: يا زلة القدم! فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم إلى غير ذلك من ألفاظ الشرك، ويقول في قصيدة أخرى بعد أن ذكر عن نفسه أنه أنشدها وهو مكشوف الرأس، أمام قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه أنزل به فاقته وفقره، وأنزل به الشكوى من أعدائه، يقول: هذه علتي وأنت طبيبي ليس يخفى عليك في القلب داء هكذا يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم، فماذا يبقى لله إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخفى عليه في القلوب داء؟! وكان من جوده: الدنيا والآخرة، وكان من جملة علومه: علم اللوح والقلم!! اللوح المحفوظ الذي فيه كل شيء، والقلم الذي قال له جل وعلا: (اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة)، ثم الاستغاثة به: ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم يقول: إذا غضب الله يوم القيامة غضبا -لم يغضب مثله قبله، ولن يغضب مثله بعده- فأنا لائذ بك، لا يضيق جاهك بي، احمني من هذا الغضب.

فهل هذا يتناسب مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأقرب الناس إليه: (يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت، لن أغني عنك من الله شيئا) فهل هذا يتناسب مع ذلك؟! وهل هذا يتناسب مع قول الله جل وعلا: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران:١٢٨]؟! وهو صلوات الله وسلامه عليه الذي علم أمته التوحيد، ونهاهم عن التعلق بغير الله جل

وعلا.

فالمقصود: أن الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم وبمن دونه لا تجوز، وإنما الجائز منها ما كان في حياته وبمقدوره أن يغيث، أما إذا كان المستغاث به غائبا بعيدا أو كان ميتا فهذا لا يجوز منه كثير ولا قليل؛ لأن هذا من حقوق الله وحده؛ ولأن الذي يعلم الغيب ويطلع على كل شيء هو الله، والذي يقدر على كل شيء هو الله جل وعلا، وهو الذي إذا استغاث به المستغيث أغاثه؛ إذا كان صادقا وخالصا في دعوته، مقبلا على الله، حتى وإن كان مشركا، بشرط أن يكون صادقا في استغاثته -أعني: أنه لجأ إلى الله لجوءا صحيحا وصدق في ذلك- ولهذا أخبر الله جل وعلا أنه يغيث المشركين: {أمن يجيب المضطر إذا دعاه} [النمل:٦٢] المضطر من المشركين ومن الكفار؛ لأن هذا مقتضى ربوبيته جل وعلا، فهو رب الخلق جميعا، والرب هو الذي يمدهم بما فيه حاجتهم، ويقوم على مصالحهم، وإن كانوا غير عابدين له؛ لأنه جل وعلا حليم، حلمه يسع العصاة والكفرة، ولأنه جل وعلا لا يعجل؛ ولأنه إذا أعطاهم لا ينقصه ذلك شيء، فالمآل إليه: {إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم} [الغاشية:٢٥ - ٢٦] والمرجع إليه، ثم يحاسبهم على ذلك، والحياة قصيرة، فلهذا أمر الله جل وعلا رسله أن يمهلوا الكفار: {إنهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا * فمهل الكافرين أمهلهم رويدا} [الطارق:١٥ - ١٧].

يعني: قليلا قليلا، وزمنهم الذي يمهلون فيه قليل، وسوف يكون مآلهم بعده إلى الله جل وعلا، فالأمر كله بيد الله جل وعلا، وليس لأحد معه شيء، فيجب أن يكون الإنسان عبدا لله وحده، عبدا لربه، ولا يكون عبدا لعبيد من عباد الله جل وعلا، ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا واجهوا الكفار في قتال وسألوهم: ما الذي جاء بكم من بلاد العرب؟ يقولون لهم: (جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب الناس)؛ لأن الناس يستعبد بعضهم بعضا، ولا يزال ذلك موجودا، فترى بعضهم أربابا وبعضهم عبيدا يستعبدون، وإنما يخرج الإنسان من عبادة الخلق إذا أخلص العبادة لله جل وعلا، وأخبر سبحانه أن العزة للمؤمنين، وأن العزة بعبادته وحده: {من كان يريد العزة فلله العزة جميعا} [فاطر:١٠] فالواجب على الإنسان أن يعرف حق الله عليه، ويميز بين حق الله وحق الرسول صلى الله عليه وسلم، فحق الرسول صلوات الله وسلامه عليه: محبته، وتقديم محبته على محبة الأنفس -فضلا عن الأولاد والمال والناس- أن تحبه أكثر من محبتك لنفسك؛ ومحبته صلى الله عليه وسلم ينبغي أن تكون كذلك؛ لأنه جاءك بالنور من الله؛ فأخرجك به من الظلمات، وخلصك من شبكات الهلكة إلى سبيل الله الذي يوصلك للجنة، ففضله عليك

عظيم جدا، وكذا تحبه لأن الله جل وعلا يحبه، فأنت تحب ما يحبه محبوبك، أما أن تكون المحبة مع الله فهذا شرك؛ لأن محبة الله محبة ذل وخضوع وتعظيم، أما محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فهي محبة لله وفي الله، تحبه لأن الله يحبه، ولأنه بين لك طريق المحبة الواجبة عليك لله جل وعلا.

وكذلك من حقوقه عليك: اتباعه فيما قال وأمر، وتصديقه في جميع ما أخبر به، وأن تدعو إلى سنته ودينه، وأن تخلص في ذلك، وأن تجتهد في أن تكون ممن سلك سبيله وترسم خطاه، ولهذا يقول الله جل وعلا: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} [آل عمران:٣١]، فباتباعه صلى الله عليه وسلم تحصل محبته ومحبة الله جل وعلا.." (١)

"حكم لعن المعين

قال الشارح: [أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: قال مجاهد: {إن كنا عن عبادتكم لغافلين} [يونس:٢٩] قال: يقول ذلك كل شيء كان يعبد من دون الله.

فالكيس يستقبل هذه الآيات -التي هي الحجة والنور والبرهان- بالإيمان والقبول والعمل، فيجرد أعماله لله وحده دون كل ما سواه ممن لا يملك لنفسه نفعا ولا دفعا، فضلا عن غيره].

قال المصنف رحمه الله: [وفي الصحيح: عن أنس قال: شج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران:١٢٨])]: قوله: في الصحيح، يعني: في صحيح البخاري، وقد ذكره البخاري في ثلاثة مواضع من صحيحه، والحديث عن أنس -وقد رواه الإمام مسلم وغيره من أئمة الحديث- فهو حديث ثابت: يقول: (شج النبي صلى الله عليه وسلم) والشج في الأصل هو: الجرح في الرأس، فيخرج الدم ويسيل، ثم صار يطلق على سائر ما يقع في البدن؛ ولكن الذي جاءت به اللغة: أن الشج يطلق على ما يقع في الرأس من جرح نازف.

شج صلوات الله وسلامه عليه في وجهه، وكسرت رباعيته، كسر منها جزء وبقي أصلها، وكذلك شفته العليا -صلوات الله وسلامه عليه- شجت فصار الدم يسيل، وكذلك أصيب في وجنته -في خده- ضربه عبد الله بن قمئة حتى دخلت حلقات المغفر في وجنته صلوات الله وسلامه عليه، فصار يسيل الدم على وجهه ويقول: (كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم) فجاء مالك بن سنان فأمسك حلقات المغفر بأسنانه واجتذبها،

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٥/٤٩

ثم ابتلع الدم الذي دخل في فمه، فقال له صلى الله عليه وسلم: (ابتلعت؟ قال: نعم.
قال: لا تمسك النار) وهذا من رفقه برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صار يقول عليه الصلاة والسلام: كيف يفلح القوم الذين يدعوهم نبيهم إلى الله جل وعلا وهم يفعلون به هذه الأفعال؟! حاولوا أن يقتلوه، واجتهدوا قدر استطاعتهم على فعل ذلك، فهذا تجرأ وكسر ثنيته، والآخر ضربه على وجهه حتى دخلت حلقات المغفر في وجنته، فصار يسيل منها الدم، وقال له ابن قمئة: (خذها وأنا ابن قمئة، فقال صلى الله عليه وسلم: ما لك أقمأك الله؟) فسلط الله جل وعلا عليه تيس الجبل، فصار ينطحه حتى قطعه إربا إربا، وهذا هو الوحيد الذي دعا عليه النبي مباشرة في هذه الغزوة، أما البقية فإنه كان يدعو عليهم في الصلاة.
وكان يقول: (اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا)، وجاء في الصحيح أنه كان يسميهم بأسمائهم، ويقول: (اللهم العن صفوان بن أمية، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، والصحابة خلفه يقولون: آمين) يقولون ذلك في الصلاة، وبقي وقتا وهو يقنت يدعو عليهم، فأنزل الله جل وعلا عليه: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران:١٢٨] والمعنى: أنك عبد من عباد الله، أمرك بإبلاغ الرسالة فامض في دعوتك، أما هؤلاء فهم عبادي إن شئت عذبتهم وإن شئت عفوت عنهم، فعفا الله جل وعلا عنهم وأسلموا، أسلم الحارث بن هشام وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وأبو سفيان، وهؤلاء هم قادة الكفار في تلك الغزوة، وغزوا نبيهم في بلده، وجاءوا بجيشهم ليقاتلوه في بلده، واجتهدوا في أن يقتلوه، وقتلوا المسلمين كعم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره.." (١)

"الهداية بيد الله وليس على الرسول إلا البلاغ

قال الشارح رحمه الله: [قال ابن كثير رحمة الله عليه: يقول تعالى لرسوله: إنك يا محمد لا تهدي من أحببت، أي: ليس إليك، إنما عليك البلاغ، والله يهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، كما قال تعالى: {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء} [البقرة:٢٧٢]، وقال تعالى: {وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين} [يوسف:١٠٣]].
من المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم حريص على هداية أمته، فكان حريصا على هداية الكفار أشد الحرص، ولهذا نهاه الله جل وعلا عن المبالغة في ذلك فقال: {لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين} [الشعراء:٣] يعني: قاتل نفسك، ويقول جل وعلا: {فذكر إن نفعت الذكرى * سيذكر من يخشى *

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ١٠/٥٠

ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى} [الأعلى:٩ - ١٢] وقال: {ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون} [النحل:١٢٧]، في آيات كثيرة نهاه عن الحزن عليهم، ونهاه عن كونه يحرص كل الحرص على ذلك؛ لأن الأمر إلى الله، وقال: {فإنما عليك البلاغ} [آل عمران:٢٠] أي: عليك أن تبلغ وتبين، وأما الهداية فهي إلى الله؛ لأنهم عبيده يتصرف بهم كيف يشاء؛ ولهذا قال: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران:١٢٨] وإنما عليك أن تبلغ، والأمر إلى الله جل وعلا، فكلف بالبلاغ ولم يكلف بهداية القلوب فإنها إلى الله جل وعلا، فكان حريصا حرصا عاما وخاصا.

ومعلوم ما وقع له صلى الله عليه وسلم من عمه من الحماية، فما استطاع الكفار أن يصلوا إليه بالأذى لما كان أبو طالب حيا، فقد كان يحوطه، وكان رئيسا في قومه معظما، وكانوا لا يجرءون على مخالفته، ولا يستطيعون أن يصلوا إليه، وقد كان يقول: لن تصلوا إلى ابننا حتى نقتل حوله مجندلين، فكان مستعدا أن يقاتل حتى يقتل، ومع ذلك كان على دين قومه.

وهذه من حكمة الله جل وعلا؛ ليبين لخلقه جل وعلا أن الرسول ليس بيده شيء من هداية الناس، وإنما الهداية بيد الله جل وعلا يختص بها من يشاء، وهو أعلم بمواقع فضله، وأين يضع فضله.

ومن المعلوم أن الإنسان أعطي عقلا ونظرا وفكرا، ثم جاءته رسالة من الله، وبين له طريق الخير وطريق الشر، فقيل له: هذا الخير فاسلكه، وهذا الشر فاجتنبه، فجعل الأمر إليه، وهذه الدلالة بإمكان كل أحد، أما جعله محبا للخير ومبغضا للشر فهذا فضل الله، وإذا تفضل به على مخلوق فيجب عليه أن يشكره، ويعرف حقه عليه، ويزداد عبادة له جل وعلا.

فعلى المسلم أن يقارن حالته مع حالة الكفار الآن، فالكافرون اليوم كثيرون جدا، الأرض مملوءة منهم، وكلهم عندهم أفكار وعندهم عقول كبيرة، يخترعون المخترعات، ويجيدون الصناعات؛ ولكن منعوا أفضل ما يكون، منعوا الإيمان بالله جل وعلا، وأنت أيها المسلم قد تفضل الله جل وعلا عليك بالإيمان، فهل لأنك أكثر منهم عقلا؟! لا.

لست أكثر منهم عقلا، وإنما هذا فضل الله يختص به من يشاء جل وعلا.

فالمقصود: أن من الحكم التي تظهر للمتأمل في كون الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستطع أن يقنع أبا طالب بدعوته ويجعله مسلما أن الأمر كله لله، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يملك مع الله شيئا،

وقد حرص أشد الحرص على هداية عمه فما استطاع.
وهذا مما يبين بوضوح أن العبادة يجب أن تكون لله وحده، وأن ليس للرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك شيء؛ لأنه عبد لله كلفه الله بإبلاغ رسالته.
وكذلك يتبين أن التعلق بالنسب والقرابة لا تجدي شيئا ولا تفيد شيئا، وإنما الذي يفيد هو: تقوى الله وطاعته فقط، فهذا أبو لهب عمه أخو أبيه، ومع ذلك {سيصلى نارا ذات لهب} [المسد:٣] فلم تنفعه القرابة ولم تجد عنه شيئا، وإنما الصلة بين الإنسان وبين السعادة: بطاعة الله جل وعلا وامتثال أمره واجتناب نهيه.
قال الشارح رحمه الله: [قلت: والمنفي هنا هداية التوفيق والقبول فإن أمر ذلك إلى الله وهو القادر عليه، وأما الهداية المذكورة في قول الله تعالى: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} [الشورى:٥٢] فإنها هداية الدلالة والبيان، فهو المبين عن الله، والدال على سدينه وشرعه]..." (١)
"سبب إنكار بعض الناس لحديث سحر اليهودي للنبي صلى الله عليه وسلم
هذا الحديث أنكره بعض العلماء، وسبب إنكارهم أنهم قالوا: إن هذا يقدح في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف يقع هذا السحر والسحر قد يغير الفكر والنظر والمزاج؟ وفي هذا الحديث نفسه في صحيح البخاري رواية أخرى غير هذه عن عائشة أنها قالت: إنه سحر، حتى إنه يخيل إليه أنه يأتي الشيء ولم يأته، وأنه يصنع الشيء ولم يصنعه، وهذا يقول العلماء: أشد أنواع السحر.
والقاضي عياض حاول أن يؤول هذا الكلام، وقال: معنى (أنه يخيل إليه) يعني: مثلما يحدث للإنسان في نومه أو في يقظته أنه اتصل بأهله ولم يتصل، وليس معناه أنه أثر في عقله أو في فكره صلوات الله وسلامه عليه؛ لأنه معصوم من ذلك، هكذا قال القاضي عياض لئلا يقع في ذلك طعن.
ومعلوم أن السحر الذي وقع عليه هو في بدنه صلوات الله وسلامه عليه، وبدنه ليس معصوما من أن يناله الأذى، ولهذا جرح يوم أحد، وكسرت البيضة على رأسه، وكسرت رباعيته، وسقط في حفرة من الحفر التي كان يحفرها الفاسق عامر، وحصل له ما حصل، فأنزل الله جل وعلا عليه: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم} [آل عمران:١٢٨].
وكذلك كان يمرض صلوات الله وسلامه عليه، فكان يصيبه صداع ويصيبه غير ذلك مما يصيب البشر،

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٤/٥٦

فكان بدنه كأبدان الناس، كما قال الله جل وعلا: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي} [فصلت:٦].
أما فكره وعقله وما يوحيه الله جل وعلا إليه فمعصوم مما يخل به.
ويدلنا هذا الحديث على أن السحر قد يؤثر في أي إنسان كان، وقد لا تمنع منه التعوذات والأوراد والأذكار وقد لا تنفع، فالرسول صلى الله هو أكمل الخلق صلوات الله وسلامه عليه، وقلبه دائما مع الله جل وعلا، وكذلك هو بنفسه دائما في عبادة وذكر، ومع ذلك حصل له ما حصل.." (١)

"ابتلاء الأنبياء والأولياء دليل على أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا دفعا

قال الشارح رحمه الله: [قوله: (وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم)، ولهذا ورد في حديث سعد: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: (أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي في الأرض وما عليه خطيئة)، رواه الدارمي وابن ماجة والترمذي وصححه.
وهذا الحديث ونحوه من أدلة التوحيد، فإذا عرف العبد أن الأنبياء والأولياء يصيبهم البلاء في أنفسهم الذي هو في الحقيقة رحمة، ولا يدفعه عنهم إلا الله؛ عرف أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا دفعا، فلأن لا يملكوه لغيرهم أولى وأحرى، فيحرم قصدهم والرغبة إليهم لقضاء حاجة أو تفريج كربة، وفي وقوع الابتلاء بالأنبياء والصالحين من الأسرار والحكم والمصالح وحسن العاقبة ما لا يحصى].
هذا واضح وجلي، فقد ابتلي بعض الناس -نسأل الله العافية- بالتعلق بدعاء المخلوق والشرك به ويوجد كثير من الناس يعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعبد الأولياء، ويتلمس لذلك الأدلة، مع أن كتاب الله جل وعلا ودعوة الرسل كلها جاءت بوجوب إخلاص العبادة لله وحده، وأن الإلهية له وحده، ولكن الشيطان لا يزال بالإنسان حتى يحرف الأمور الواضحة الجلية، فيجعل العبادة غير العبادة، ويجعل التعلق في قالب آخر، فإذا جاء الشر صريحا صار يؤوله.
والمعروف أن كثيرا من الناس يتعلقون بمن يسمونهم أولياء، مع أن الولاية أمرها خفي، فقد يظهر للإنسان أن فلانا صالح أمام الناس، وهو في نفسه فاسد ليس صالحا، وليست المسألة مسألة ما يظهر للناس، وإنما هو الشيء الذي يكون عند الله للإنسان، فقد يري الناس مثلا أنه مطيع ومن الفضلاء، فإذا توارى عن الناس تجرأ على الله جل وعلا في المعاصي، وهذا يوجد بكثرة، وقد يكون هذا المرض واضحا عند كثير من الناس.

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٩/٧٣

فكون هذا وليا أمر لا يعلمه إلا الله، إلا أن يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن إنسان بعينه، وكونهم مثلا يتعلقون به أمر محرم.

هذا أمر.

الأمر الثاني: أن الدين الإسلامي جاء بوجوب الإخلاص لله وحده، ووجوب متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في مثل هذين الأمرين، فكون العبادة كلها لله خالصة ليس فيها شيء لغيره، وكون العبادة جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكون بالاختيار أو بالنظر أو بالاستحسان، أو بما يتعارف عليه الناس ويصطلحون عليه كالموالد وما أشبه ذلك من الأمور التي يفعلونها ثم يبحثون عن الأدلة من بعيد، ويتعلقون بأشياء عجيبة، فيقولون: إنها مشروعة، كيف كانت مشروعة وهي أول ما أحدثت في القرن السادس؟! هل احتفل الرسول صلى الله عليه وسلم بمولده؟ وهل احتفل به أحد من صحابته؟ هذا لا يثبته إلا كذاب مكابر، فكيف يكون بعد ذلك عبادة وفيها هوى النفوس واستيلاء الجهل عليها؟! وأشياء كثيرة من هذا القبيل، وهذا مثال فقط.

ثم كون العمل مقصود به وجه الله وحده فقط، ثم إذا دخله شيء من الإرادات والمقاصد فإنه إما أن يفسد فيصبح حابطا، وإما أن يكون ناقصا على الأقل كما سيأتي.

وإن ذهب بعضه وبقي بعضه إذا كان شيئا واحدا فالله لا يقبل إلا ما كان خالصا له، وبعد هذا كله كيف يكون مخلوق مكلف خلقه الله ليتعبده كيف يكون شريكا لله في الإلهية أو في العبادة؟ والأمور في هذا واضحة، ولكن الذين يحبون الشرك ويدعون إليه يغالطون.

الله جل وعلا لما أخبر عن الملائكة أنهم عباد مكرمون، وأنهم يفعلون ما يؤمرون ولا يعصون الله ما أمرهم قال: {ومن يقل منهم إني إله من دونه} [الأنبياء:٢٩]، ماذا يكون؟ {فذلك نجزيه جهنم} [الأنبياء:٢٩]، يصلى جهنم.

فالقرآن كله ودعوات الرسل كلها تصب في هذا الأصل العظيم الذي ضل عنه كثير من الناس، وصار يغالط ولا يعتمد إلا على رؤيا كقولهم: رأيت كذا وفلان رأى كذا أو على حكايات وقصص خرافية، كقولهم: إن فلانا دعا الولي الفلاني أو تعلق به فحصل له كذا وحصل له كذا أو على أحاديث مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو على تحريفات كتحريفات اليهود الذين حرفوا النصوص تحريفات واضحة، ثم يستاء بعد ذلك أن يقال: إن بلوى الرسل وما يصابون به دليل على أنهم عباد، وأنهم ليس لهم من الربوبية مع الله

شيء، وليس لهم من الإلهية مع الله شيء! احتج على القول لشدة الجهل والعناد، وشدة ترك ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض الناس.

ومعلوم ما وقع فيه سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعدائه، لقد أخرج من مكة ثم لم يستطع الدخول إلا بجوار رجل مشرك، وذهب إلى الطائف فرموه بالحجارة حتى أدموا عقبيه صلوات الله وسلامه عليه، وردوا عليه ردا من أسوأ ما يكون لو كنت نبي أحد الناس ما قبلك ثم قال جاهل من ثلاثة من كبارهم وساداتهم كانوا مجتمعين فعرض عليهم أمر الله ودعاهم فقال أحدهم: ما وجد الله أحدا غيرك حتى أرسلك؟! بهذه السخرية والتهكم، والآخر قال: إنه يسرق كسوة الكعبة إن كنت رسولا، وهذا استهزاء صريح، والآخر قال: لا أكلمك كلمة، لئن كنت صادقا فلأنت أعظم من أن أرد عليك، ولئن كنت كاذبا فلأنت أحقر من أن أكلمك أهذا جواب الذي جاء بالبينات والهدى الواضحات؟! ثم بعد ذلك يغرى به السفهاء والصبيان، فيرمونه بالحجارة ويضربون عقبيه حتى يخرج منه الدم صلوات الله وسلامه عليه، ثم يخرج ولا يدري إلى أين يتجه صلوات الله وسلامه عليه، قد ذهب فكره، فلم يفق إلا وهو بقرن الثعالب الذي يسمى: السيل العالي من الطائف، وهناك رجع إلى فكره ودعا بالدعوة المعروفة المشهورة وقال فيها: (إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي)، فيقول: إلا مصيبة تصيبني بها لا أبالي ما دام أنه بأمرك ولطاعتك، فيحمد الله على ذلك.

ثم كذلك يوم بدر قالت له عائشة رضي الله عنها: (يا رسول الله! هل مر بك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: يا عائشة! لقد لقيت من قومك) وذكر يوم الطائف.

ويوم أحد شج في وجهه صلوات الله وسلامه عليه، وجعل الدم يسيل على وجهه وهو يقول: (كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله؟!)، ثم بعد ذلك أنزل الله جل وعلا عليه: **{ليس لك من الأمر شيء}** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران:١٢٨]، فالأمر كله لله، فامتثل أمر سيدك، وامض حيث أمرت وكلفت، ثم بعد هذا يأتي قائل ويقول: يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم إن لم تكن في معادي آخذا بيدي فضلا فقل يا زلة القدم ولم يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تجلى باسم منتقم يقول: إذا غضب الله يوم القيامة فأنا أستجير بك من الله! -نسأل الله العافية- ثم يقول: فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم إذا كان من جملة جود النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا والآخرة، ومن جملة علومه علم اللوح الذي كتب فيه كل شيء، والقلم الذي كتب كل

شيء، فماذا بقي لله؟ ما أبقى لله شيئا، نسأل الله العافية! ثم يصبح هذا الكلام نصا، ويصبح يحفظ كما تحفظ الفاتحة؛ بل بعض الناس يقرؤه مساء وصباحا ويجعله وردا كآية الكرسي والمعوذتين وما أشبه ذلك. وليس هذا إلا انحرافا واضحا، وتعلقا بالمخلوق وتركا للخالق جل وعلا الذي بيده أزمة الأمور وكل شيء، ومن الذي يزين هذه الأمور؟ يزينها شياطين الجن والإنس، ويحسنونها ويجعلونها بقالب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة حقوقه.

يؤخذ خالص حق الله جل وعلا ويوضع في المخلوق، فإنه لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مواجها لهم لقاتلهم أشد من قتاله لكفار قريش؛ لأنهم خالفوه صراحة، وجاءوا بـما لم يأت به مشرك من المشركين، نسأل الله العافية.." (١)

"بطلان الشرك بالنبي ومن دونه

قال المؤلف رحمه الله: [وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: (شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: {**ليس لك من الأمر شيء**} [آل عمران:١٢٨])].

قوله: [وفي الصحيح] يعني: في صحيح البخاري.

وقوله: [شج النبي صلى الله عليه وسلم] الشجة: هي الضربة في الوجه.

[وكسرت رباعيته] هما السنان اللذان يكونان في بداية الفم بعد الثنايا.

فقال: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: {**ليس لك من الأمر شيء**} [آل عمران:١٢٨]) والأمر: الخلق والثواب والعقاب، فليس للنبي صلى الله عليه وسلم شيء من ذلك.

ووجه الدلالة من هذا الحديث في بطلان الشرك: أن النبي صلى الله عليه وسلم مع فضله ومكانته عند ربه ليس له من أمر العبودية والخلق والتدبير وشئون الإلهية شيء، فإذا كان عليه الصلاة والسلام هذا شأنه، وهو من أفضل الخلق فغيره من باب أورى.

فهذا يدل على بطلان عبادة من عبد النبي صلى الله عليه وسلم، أو من عبد غيره وهو أنقص من النبي صلى الله عليه وسلم قدرا، وليس له من الأمر شيء من باب أولى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أنه سمع رسول الله صلى الله عليه

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٤/٩٤

وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران:١٢٨]).

وفي رواية: (يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران:١٢٨])].

ووجه الدلالة من هذا الحديث هو نفسه وجه الدلالة السابقة، وهي قوله: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران:١٢٨]، فالنبي صلى الله عليه وسلم مع فضله ومكانته عند ربه ليس له من أمر الألوهية والثواب والعقاب والتدبير والخلق والربوبية شيء، ولهذا سيأتي معنا من أسباب الشرك الغلو، وهو رفع الإنسان فوق مرتبته، أو محاولة إيصاله إلى درجة الألوهية، ولهذا يقول الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران:١٢٨]، فليس له من شأن التدبير أي شيء.

فإن قيل: أيهما سبب النزول الأول أو الثاني؟ ف

A أن بعض الآيات قد يرد في سبب نزولها سببان، بحيث تنزل الآية بعد السببين جميعا، فتحكى على أنها سبب للأول وعلى أنها سبب للثاني، ولا مانع من ذلك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء:٢١٤] قال: يا معشر قريش -أو كلمة نحوها-! اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم! لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا)].

هذا الحديث وجه الدلالة منه بيان إبطال الشرك؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم غلا فيه بعض الناس حتى أوصلوه إلى درجة الألوهية فعبدوه من دون الله.

وهذا الحديث يدل على بطلان عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، ويدل على بطلان عبادة غيره من باب أولى، حيث قال عليه الصلاة والسلام: يا فلان، يا عباس، ويا صفية، (يا فاطمة! سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا) وهذا يدل على بطلان من يطلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم الآن، وسيأتي معنا في شبهات القبوريين أنهم يقولون: نحن نطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة، فنحن نعلم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يخلق ولا يرزق، ولكن نطلب منه الشفاعة، ونحن نقول لهؤلاء: إن الشفاعة

لا يملكها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الشفاعة لله: {قل لله الشفاعة جميعا} [الزمر:٤٤].

فهي ملك لله سبحانه وتعالى، ولا يملكها النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، ولا في فترة البرزخ، وإنما يعطيه الله عز وجل إياها يوم القيامة، بعد أن يأتي ويسجد بين يدي ربه، ويدعو الله عز وجل فيقال له: سل تعطه، واشفع تشفع.

فإذا قال له الله عز وجل: (سل تعطه واشفع تشفع) فحينئذ يكون الله عز وجل قد أذن له فيها، أما الآن فلا يصح أن تطلب من النبي صلى الله عليه وسلم، فهي داخلة في قوله: (لا أغني عنك من الله شيئا) فهو لا يملك شيئا، ولا ينفع أحدا ولا يضره، ولا يدخل أحدا الجنة، ولا يخرج أحدا من النار." (١)

"(١٢٥) وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦)} سورة آل عمران

لقد حرص القرآن الكريم على تقرير هذه القاعدة في التصور الإسلامي، وعلى تنقيتها من كل شائبة، وعلى تنحية الأسباب الظاهرة والوسائل والأدوات عن أن تكون هي الفاعلة .. لتبقى الصلة المباشرة بين العبد والرب. بين قلب المؤمن وقدر الله. بلا حواجز ولا عوائق ولا وسائل ولا وسائط. كما هي في عالم الحقيقة ..

وبمثل هذه التوجيهات المكررة في القرآن، المؤكدة بشتى أساليب التوكيد، استقرت هذه الحقيقة في أخلاد المسلمين، على نحو بديع، هادئ، عميق، مستنير.

عرفوا أن الله هو الفاعل - وحده - وعرفوا كذلك أنهم مأمورون من قبل الله باتخاذ الوسائل والأسباب، وبذل الجهد، والوفاء بالتكاليف .. فاستيقنوا الحقيقة، وأطاعوا الأمر، في توازن شعوري وحركي عجيب!

ولكن هذا إنما جاء مع الزمن، ومع الأحداث، ومع التربية بالأحداث، والتربية بالتعقيب على الأحداث .. كهذا التعقيب، ونظائره الكثيرة، في هذه السورة ..

وفي هذه الآيات يستحضر مشهد بدر والرسول - صلى الله عليه وسلم - يعدهم الملائكة مددا من عند الله إذا هم استمسكوا بالصبر والتقوى والثبات في المعركة - حين يطلع المشركون عليهم من وجههم هذا .. ثم يخبرهم بحقيقة المصدر الفاعل - من وراء نزول الملائكة - وهو الله. الذي تتعلق الأمور كلها بإرادته، ويتحقق النصر بفعله وإذنه.

---

(١) شرح كتاب التوحيد - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٥/٣

{وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم} (١٢٦) سورة آل عمران

«فهو العزيز» القوي ذو السلطان القادر على تحقيق النصر. وهو «الحكيم» الذي يجري قدره وفق حكمته. والذي يحقق هذا النصر ليحقق من ورائه حكمة ..

ثم يبين حكمة هذا النصر .. أي نصر .. وغاياته التي ليس لأحد من البشر منه شيء: «ليقطع طرفا من الذين كفروا. أو يكبتهم فينقلبوا خائبين - **ليس لك من الأمر شيء** - أو يتوب عليهم. أو يعذبهم فإنهم ظالمون» ..." (١)

"وبذلك يرد أمر الناس - طائعهم وعاصيهم - إلى الله. فهذا الشأن شأن الله وحده - سبحانه. شأن هذه الدعوة وشأن هؤلاء الناس معها: طائعهم وعاصيهم سواء .. وليس للنبي - صلى الله عليه وسلم - وليس للمؤمنين معه إلا أن يؤدوا دورهم، ثم ينفضوا أيديهم من النتائج، وأجرهم من الله على الوفاء، وعلى الولاء، وعلى الأداء.

وملابسة أخرى في السياق اقتضت هذا التنصيص: «**ليس لك من الأمر شيء**» فسيرد في السياق قول بعضهم: «هل لنا من الأمر من شيء؟» .. وقولهم: «لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا.» .. ليقول لهم: إن أحدا ليس له من الأمر من شيء. لا في نصر ولا في هزيمة. إنما الطاعة والوفاء والأداء هي المطلوبة من الناس. وأما الأمر بعد ذلك فكله لله. ليس لأحد منه شيء. ولا حتى لرسول الله .. فهي الحقيقة الأصيلة في التصور الإسلامي.

وإقرارها في النفوس أكبر من الأشخاص وأكبر من الأحداث، وأكبر من شتى الاعتبارات .. (١)

١٢ - يجب أن تكون البيعة خالصة لوجه الله تعالى ليس إلا

عن عامر، قال: انطلق النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعه العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة، فقال: ليتكلم متكلمكم، ولا يطيل الخطبة، فإن عليكم من المشركين عينا، وإن يعلموا بكم يفضحوكم. فقال قائلهم وهو أبو أمامة: سل يا محمد لربك ما شئت، ثم سل لنفسك ولأصحابك ما شئت، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله عز وجل وعليكم إذا فعلنا ذلك؟ قال: فقال: أسألكم لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما منعتم منه

---

(١) صدق الله العظيم وكذبت النبوءات، علي بن نايف الشحود ص/٩١

أنفسكم قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: لكم الجنة قالوا: فلك ذلك. (٢)

(١) – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٧٧٠)

(٢) – مسند أحمد (عالم الكتب) (٥/ ٨٢٤) (١٧٠٧٨) ١٧٢٠٦ – صحيح مرسل." [١]

"ما قالوه فيهلكوا بأذيته فتصح عليهم اللعنة في الدارين والعذاب الأليم بدليل الكتاب قال الله تعالى {إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا}

وأيضا أنه لما سمع أن الله تعالى عاتب داوود صلى الله عليه وسلم في قوله {أكفلنيها} قال هو أمسكها وسقط العتاب

وأما قوله {واتق الله} يعني في ذكرها بالقبح لغيبها في قوله تقول لي كذا وتفعل بي كذا وهي غائبة فنهاه عن الغيبة المنهي عنها شرعا بدليل أن قول زيد أطلقها كلام مباح ليس فيه حظر ولا كراهة في الشرع

وأما قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم {وتخفي في نفسك ما الله مبديه} يعني من تزويجها الذي أمرتك به أو أعلمتك به

وأما قوله تعالى {وتخشى الناس} أي تخشى من قول الناس على حذف حرف الجر كأنه يقول تخشى من الناس أن يقولوا فيك فيأثموا ويهلكوا والله أحق أن تخشاه

أي تخشى منه على الناس وللناس حتى يقع مرادي فيك وفي الناس إذ ليس احتياطك يغني عنهم من الله شيئا فلا عليك ممن قال ولا ممن أثم فأنا أعلم بما يقولون وبما أجازيهم كما قال تعالى له **ليس لك من الأمر شيء** و (ليس عليك هداهم) و {إنك لا تهدي من أحببت} إلى غير ذلك." [٢]

"بعد ثلاثة أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ذهبت فيها عريضة وتعجبت الملائكة من ثبات على فقال جبريل لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على

وقتل على أكثر المشركين في هذه الغزاة وكان الفتح على يديه وروى قيس بن سعد عن علي قال أصابني يوم بدر ست عشرة ضربة وسقطت إلى الأرض فجاءني رجل فأقامني

وذكر الحديث وأن الرجل جبريل فيقال هذا الرجل ما يستحي من الله ولا يراقبه في نقل هذه الأكاذيب التي

(١) صدق الله العظيم وكذبت النبوءات، علي بن نايف الشحود ص/٩٣

(٢) تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ابن خمير السبتي ص/٥٦

لا تنفق إلا على البقر كقوله وقتل علي أكثر المشركين وكان الفتح فأين قتل المشركين وأين الفتح بل كانت غزوة أحد على المسلمين لا لهم كما قال تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) هزم المسلمون العدو أولا وكان نبي الله قد وكل بثغر الجبل الرماة وأمرهم أن لا يبرحوا فلما إنهزم المشركون طلبت الرماة الغنيمة فنهاهم أميرهم عبد الله بن جبير فلم يطيعوه وكر العدو عليهم من ظهورهم وصاح الشيطان قتل محمد فاستشهد يومئذ نحو السبعين وشج النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه ودخلت حلقتا المغفر في وجنته حتى قال كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله فنزلت (**ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم) ولم يبق معه يؤمئذ غير إثني عشر رجلا منهم أبو بكر وعمر وطلحة وسعد وقتل حوله جماعة وقال رئيس المشركين اعل هبل اعل هبل يوم بيوم بدر

يعني أخذنا بالثأر

ولم يقتل يؤمئذ من المشركين إلا بضعة عشر رجلا ولم يجرح علي يؤمئذ ولا أقامه جبريل فأين الإسناد بهذا وفي أي كتب الموضوعات هو

وقولك إن عثمان جاء بعد ثلاث كذب آخر

وقولك إن جبريل قال لا سيف إلا ذو الفقار كذب آخر فإن ذا الفقار لم يكن لعلي بل كان لأبي جهل غنمه المسلمون يوم بدر

فعن ابن عباس قال تنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد قال رأيت في سيفي ذي الفقار فلا فأولته فلا." (١)

"به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل إثبات الصفات ونفى مشابهه المخلوقات فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد حقائق ما وصف الله به نفسه فقد كفر ومن أثبت له حقائق الأسماء والصفات ونفى عنه مشابهة المخلوقات فقد هدى إلى صراط مستقيم

فصل والفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم أرباب المراتب أن تجريد

التوحيد أن لا يعطى المخلوق شيئا من حق الخالق وخصائصه فلا يعبد ولا يصلى له ولا يسجد ولا يحلف باسمه ولا ينذر له ولا يتوكل عليه ولا يؤله ولا يقسم به على الله ولا يعبد ليتقرب إلى الله زلفى ولا يساوي

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال الذهبي، شمس الدين ص/٥١٥

برب العالمين في قول القائل ما شاء الله وشئت وهذا منك ومن الله وأنا بالله وبك وأنا متوكل على الله وعليك والله لي في السماء وأنت في الأرض وهذا من صدقاتك وصدقات الله وأنا تائب إلى الله وإليك وأنا في حسب الله وحسبك فيسجد للمخلوق كما يسجد المشركون لشيوخهم يحلق رأسه له ويحلف باسمه وينذر له ويسجد لقبره بعد موته ويستغيث به في حوائجه ومهماته ويرضيه بسخط الله ولا يسخطه في رضا الله ويتقرب إليه أعظم مما يتقرب إلى الله ويحبه ويخافه ويرجوه أكثر مما يحب الله ويخافه ويرجوه أو يساويه فإذا هضم المخلوق خصائص الربوبية وأنزله منزلة العبد المحض الذي لا يملك لنفسه فضلا عن غيره ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا لم يكن هذا تنقصا له ولا حطا من مرتبته ولو رغم المشركون وقد صح عن سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه أنه قال لو تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقال أيها الناس ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي وقال لا تتخذوا قبري عيدا وقال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء وقال له رجل ما شاء الله وشئت فقال أجعلتني لله ندا وقال له رجل قد أذنب اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال عرف الحق لأهله وقد قال الله له **ليس لك من الأمر شيء** وقال قل إن الأمر كله لله وقال قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله وقال قل إني لا املك لنفسي ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا أي لن أجد من دونه من ألتجىء إليه واعتمد عليه وقال لا بنته فاطمة وعمه العباس وعمته صفية لا أملك لكم من الله شيئا وفي لفظ في الصحيح لا أغني عنكم من الله شيئا فعظم ذلك على المشركين بشيوخهم وآلهتهم وأبوا ذلك كله وادعوا لشيوخهم ومعبوديهم خلاف هذا كله وزعموا أن من سلبهم ذلك فقد هضمهم مراتبهم وتنقصهم وقد هضموا جانب الإلهية." (١)

"دون العشرة مكانه وانطلق باقي الرماة يتبعون العسكر وحمل خالد بن الوليد وتبعة عكرمة بن أبي جهل وحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير وانتفضت صفوف المسلمين ونادى إبليس أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل واختلط المسلمون فصاروا يقتلون على غير شعار وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي عن قوسه حتى صار شظايا ويرمي بالحجر وثبت معه عصابة من أصحابه أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق وسبعة من الأنصار حتى تحاجزوا وروى البخاري لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا اثني عشر رجلا قال أبو طلحة وكان يوم بلاء

---

(١) الروح ابن القيم ص/٢٦٣

وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة من المسلمين حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه فجعل يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} وذكر ابن اسحاق قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع الصارخ يصرخ بقتله هو إزب العقبة هكذا قيد في هذا الموضوع بكسر الهمزة وإسكان الزاي وقد تقدم الكلام عليه

قال السهيلي ويقال للموضوع الذي صرخ منه الشيطان جبل عينين ولذلك قيل لعثمان أفررت يوم عينين وعينان أيضا بلد عند الجيزة وبه عرف خليد بن عينين الشاعر قال ابن هشام ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر فأخذ علي ابن أبي طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ومص مالك بن سنان الخدري والد أبي سعيد الدم من وجهه ثم أزدرد دمه صلى الله عليه وسلم وعن عيسى بن صلحة عن عائشة رضي الله عنها عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى فكان ساقط الثنيتين قال ابن اسحاق وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول." (١)

"وحمد الله تعالى فقال له الله: ارفع رأسك، وقل يسمع، واسأل تعطه، واشفع تشفع، فيحد له حدا فيدخلهم الجنة، فالأمر كله لله. كما قال تعالى: {قل إن الأمر كله لله} [آل عمران: ١٥٤] (آل عمران: ١٥٤) . وقال تعالى: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨] (آل عمران: ١٢٨) . وقال تعالى: {ألا له الخلق والأمر} [الأعراف: ٥٤] (الأعراف: ٥٤) ، فإذا كان لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه لمن يشاء، ولكن يكرم الشفيع بقبول شفاعته، كما قال صلى الله عليه وسلم: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء» . وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا بني عبد مناف، لا أملك لكم من الله شيئا، يا صفية يا عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أملك لك من الله شيئا، يا عباس عم

---

(١) آكام المرجان في أحكام الجان الشبلي ص/٢٩٥

رسول الله، لا أملك لك من الله شيئا» . وفي الصحيح أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على." (١)

"وبالتكليف من يشاء، وبالملك من يشاء، وبالعلم من يشاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، قال الله تعالى في عطفه بعد أعظم العصيان، وأفحش الكفران: {ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون (٥١) ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون} [البقرة: ٥١ - ٥٢]، وقال تعالى: {ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين} [البقرة: ٦٤]، وقال تعالى: {وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (٢٦) ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم} [التوبة:٢٦ - ٢٧]، وقال: {ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما} [الأحزاب: ٢٤]، وقال: {وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم} [التوبة: ١٠٦]، وقال: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨]، وقال تعالى: {الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم} [البقرة: ٢٦٨]. ثم إن الله تعالى بعد ترجيح العاصي للعصيان باختياره الموافق لعلم الله وقدره ومشيئته لا يزال سبحانه يفعل من مرجحات الطاعة والموقظات عن الغفلة ما يؤكد الحجة البالغة، ويجددها تفضلا منه سبحانه تارة بما يفعله من الأمراض كما قال تعالى: {أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون} [التوبة: ١٢٦]، وتارة بما يريهم من مصارع آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وجيرانهم، قال تعالى: {الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور} [الملك: ٢].

وتارة بما يقرع أسماعهم من مواعظ الله وحججه على ألسنة أنبيائه وأوليائه، فلا يزال سبحانه وتعالى يقابل الدواعي إلى معصيته بالدواعي إلى طاعته، والعاصي لا يزداد إلا تماديا على سوء اختياره، وطول غفلته كما شكاه نوح عليه السلام من قوله، ولذلك عظم الله شأن التذكر والموجب (١) للترجيح، وقال في

---

(١) في (ش): الذكر الموجب.." (٢)

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ١/٣٠١

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٦/١٧٠

"وفي الباب عن زيد بن أرقم، رواه أحمد والطبراني بأسانيد، رجال أحدها ثقات (١).

وعن صخر مرفوعا، وفيه عبد الله بن سعيد بن أبي مريم (٢)، وهو ضعيف.

وعن عبد الله بن عمرو (٣) يرفعه: " سباب الميت (٤) كالمشرف على الهلكة " برجال الصحيح (٥).

وقد رأيت مصنفا مستقلا لبعضهم في النهي عن اللعن، أورد فيه حديثا كثيرا في هذا المعنى، ويشهد لذلك قوله تعالى: {إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين} إلى قوله: {أن تولوهم} الآية [الممتحنة: ٩]، لأنه اعتبر المفسدة في الآية (٦) عند المحاربة، وقد نهى رسوله - صلى الله عليه وسلم - عن سب رعل وذكوان الذين قتلوا سبعين من خير أصحابه، وقال سبحانه: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] (٧) وما أردت بذكر هذا إلا وجهين:

---

(١) رواه أحمد ٤/ ٣٦٩ و٣٧١، والطبراني في " الكبير " (٤٩٧٣) و (٤٩٧٤) و (٤٩٧٥)، ورواه أيضا ابن أبي شيبة ٣/ ٣٦٦، وصححه الحاكم ١/ ٣٨٥، ووافقه الذهبي.

(٢) صخر: هو ابن وداعة الغامدي، وحديثه عند الطبراني في " الكبير " (٧٢٧٨)، و" الصغير " (٥٩٠).

(٣) في (ش): عمر، وهو تصحيف.

(٤) في (ف): " الموتى ".

(٥) وانظر هذا الحديث والحديثين قبله في " مجمع الزوائد " ٨/ ٧٦.

(٦) في الأصول: الذلة، وهو خطأ، والصواب ما أثبت.

(٧) أخرج أحمد ٢/ ٢٥٥، والبخاري (٤٥٦٠)، ومسلم (٢٩٤) من حديث أبي هريرة كان يقول: " اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان، وعصية عصت الله ورسوله " قال: ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت: {ليس لك من الأمر شيء ... } الآية. وانظر " صحيح ابن حبان " (١٩٧٢).." [1]

"الأولى: من النظر، وهي أنا إذا جوزنا التوبة من أحد لم تحل لعنته (١)، وهذا ممنوع، بل تجوز لعنته كما تجوز عقوبته على الكفر بالقتل، وبالحد، وبالجرح في الشهادة والذم حتى تصح توبته، والتجويز لا يؤثر في منع الظواهر.

الحجة الثانية: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقنت بلعن رعل وذكوان وعصية قتلة القراء في

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٨/٧٢

بئر معونة، فنهي عن ذلك، ونزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] (٢).

والجواب: أن النهي (٣) عن ذلك مختص بحال الصلاة، والنصوص تمنع من (٤) القياس كما سيأتي بيانه.

ثم نقول: لا يخلو: إما أن يعتقدوا تحريم ذلك ظنا واجتهادا مع تصويب من خالفهم، أو رفع الإثم عنه، فمسلم ولا يضر تسليمه، وهذا هو الذي لا يذهب المحققون من أهل الحديث والأشعرية إلى غيره إن ذهب أحد منهم إلى ذلك والله أعلم.

وإما أن يعتقدوا تحريم ذلك، ويفسقوا (٥) من خالف فيه، فهذا قول لا ينبغي أن يذهب إليه عالم، وهو الذي ذهب إليه صاحب هذا الكلام الذي أورده ابن خلكان، وسوف يظهر من ضعفه ما يقوي نزاهة أبي حامد الغزالي، ونزاهة ساحته منه إن شاء الله تعالى وأما قوله: لا يجوز لعن المسلم أصلا، ومن لعنه فهو الملعون، فالجواب عليه من وجوه:

الوجه الأول: أن المتكلم بدأ في كلامه بلعن نفسه، ولعن خيار المسلمين.

أما لعنه لنفسه، فلأنه لعن من لعن مسلما، وحكم بأنه ملعون، وقد قرر

---

(١) في (د): " يحل لعنة ".

(٢) انظر ص ٧٢ من هذا الجزء.

(٣) عبارة " أن النهي " ساقطة من (ش).

(٤) " من " ساقطة من (ف).

(٥) في الأصول: " ويفسقون "، والجادة ما أثبت.." (١)

"الثامن، وإنما قطعوا بعدم خلوده لأدلة سمعية، ونظرية معارضات لهذا العموم نذكر ما حضر منها:

الدليل الأول: أن الآية تحتمل معنيين احتمالا واضحا:

أحدهما: أن الله تعالى أراد الإخبار بما يستحق قاتل المؤمن على سبيل التخويف الصارف عن القتل، والإعلام بأنه من الكبائر، ولم يرد الإخبار المحض من كون ذلك عاقبته ومصيره، وقد فهم هذا من قدمنا ذكره، وهم من أهل اللسان العربي كابن عباس، وصاحبه أبي مجلز لاحق بن حميد أحد رجال الجماعة وثقات التابعين، ومحمد بن سيرين، وعون بن عبد الله، وأبي صالح.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٨٤/٨

وقد قال الخليل عليه السلام: {فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم}.

وقال عيسى: {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم}.

وثبت في الأحاديث الصحاح عن ابن عباس، وأبي سعيد، وأبي ذر، وأبي رزين العقيلي، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال عن الله عز وجل إنه يقول: "الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد والسيئة بمثلها أو أعفو" كلها في الصحيح إلا حديث أبي رزين العقيلي، ففي مسند أحمد.

وعضدها قوله تعالى في " آل عمران ": {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨]، وقوله تعالى في سورة الأحزاب: {ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما} [الأحزاب: ٢٤] فأطلق الوعد للصادقين، ولم يقيده بشرط أصلا، وشرط المشيئة في وعيد المنافقين الذين هم شر الكافرين بشهادة نص القرآن على أنهم في الدرك الأسفل من النار هذا وقد توعدهم في سورة الفتح بالعذاب، وزاد على ذلك قوله تعالى: {وغضب عليهم ولعنهم." (١)

"باب (١٤) قول الله تعالى: {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون} ١

وقوله: {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير} ٢.

وفي الصحيح عن أنس، قال: "شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: {ليس لك من الأمر شيء} " وفيه: "عن ابن عمررضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا، بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: {ليس لك من الأمر شيء} " الآية.

وفي رواية: "يدعو على صفوان بن أمية، وسهل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: {ليس لك من الأمر شيء} ٣ ".

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٩/٥٠

١ سورة الأعراف آية: ١٩١-١٩٢.

٢ سورة فاطر آية: ١٣-١٤.

٣ البخاري: المغازي (٤٠٧٠) ، وأحمد (٩٣/٢) .." (١)

"حين أنزل عليه: {وأنذر عشيرتك الأقربين} ١ فقال: يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا. يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا. يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أغني عنك من الله شيئا. ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا".

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين، وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها: شجهم نبيهم، وحرصهم على قتله. ومنها: التمثيل بالقتلى، مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: **{ليس لك من الأمر شيء}** ٢.

السابعة: قوله: {أو يتوب عليهم أو يعذبهم} ٣، فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

---

١ البخاري: الوصايا (٢٧٥٣) ، ومسلم: الإيمان (٢٠٦) ، والنسائي: الوصايا (٣٦٤٦، ٣٦٤٧) ، وأحمد (٥١٩/٢) ، والدارمي: الرقاق (٢٧٣٢) .

---

(١) التوحيد لابن عبد الوهاب محمد بن عبد الوهاب ص/٤٥

٢ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٣ سورة آل عمران آية: ١٢٨.." (١)

"وذكر صاحب السيرة " أنه صلوات الله وسلامه عليه قام يقنت على قريش، ويخصص أناسا منهم، في مقتل حمزة وأصحابه، فأنزل الله عليه: {ليس لك من الأمر شيء} ١ الآية ". ولكن مثل ما قال صلى الله عليه وسلم: " بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ " ٢.

فإن قال قائلهم: إنهم يكفرون بالعموم، فنقول: سبحانك هذا بهتان عظيم! الذي نكفر: الذي يشهد أن التوحيد دين الله ودين رسوله، وأن دعوة غير الله باطلة، ثم بعد هذا يكفر أهل التوحيد، ويسميهم الخوارج، ويتبين مع أهل القبب على أهل التوحيد. ولكن نسأل الله الكريم رب العرش العظيم، أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، ولا يجعله ملتبسا علينا فنضل. {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني} ٣ الآية.

ويكون عندك معلوما: أن أعظم المراتب وأجلها عند الله: الدعوة إليه، التي قال الله: {ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله} ٤ الآية، وفي الحديث: " والله، لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من حمر النعم " ٥.

ثم بعد هذا، يذكر لنا: أن عدوان الإسلام الذين ينفرون الناس عنه، يزعمون أننا ننكر شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، فنقول: سبحانك هذا بهتان عظيم! بل نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع، صاحب المقام المحمود. نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يشفعه فينا، وأن يحشرنا تحت لوائه.

هذا اعتقادنا، وهذا الذي مشى عليه السلف الصالح،

---

١ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٢ مسلم: الإيمان (١٤٥) ، وابن ماجة: الفتن (٣٩٨٦) ، وأحمد (٢/٣٨٩) .

٣ سورة آل عمران آية: ٣١.

٤ سورة فصلت آية: ٣٣.

---

(١) التوحيد لابن عبد الوهاب محمد بن عبد الوهاب ص/٤٦

٥ البخاري: المناقب (٣٧٠١) ، ومسلم: فضائل الصحابة (٢٤٠٦) ، وأبو داود: العلم (٣٦٦١) ، وأحمد (٣٣٣/٥) .." [(١)]

"قال: وفي " الصحيح " عن أنس. قال: "شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} ، [آل عمران: ١٢٨] " .

ش: قوله في "الصحيح"، أي "الصحيحين" فعلقه البخاري عن حميد وثابت عن أنس، ووصله أحمد والترمذي والنسائي، عن حميد، عن أنس به. ووصله مسلم عن ثابت عن أنس وقال ابن إسحاق في " المغازي ": حدثني حميد الطويل، عن أنس قال: "كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج في وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ " ١. فأنزل الله الآية.

قوله: شج النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو السعادات: الشج في الرأس خاصة في الأصل، وهو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه، ثم استعمل في غيره من الأعضاء. وذكر ابن هشام من حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي صلى الله عليه وسلم السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في جبهته، وأن عبد الله بن قمئة جرحه في وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده، فقال له: "لن تمسك النار".

وروى الطبراني من حديث أبي أمامة. قال: "رمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فشجه في وجهه، وكسر رباعيته. فقال: خذها وأنا ابن قمئة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك أقمأك الله فسلط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة".

---

١ مسلم: الجهاد والسير (١٧٩١) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٣) ، وابن ماجه: الفتن (٤٠٢٧) ، وأحمد (٩٩/٣، ١٧٨/٣، ٢٠١/٣، ٢٠٦/٣، ٢٥٣/٣، ٢٨٨/٣) .." [(٢)]

---

(١) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء السادس) محمد بن عبد الوهاب ص/٤٨

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٢٠٩

"قال القرطبي: والرباعية – بفتح الراء وتخفيف الياء، وهي كل سن بعد ثنية. قال النووي: وللإنسان أربع رباعيات. قال الحافظ: والمراد أنها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها. قلت: فظهر بهذا أن قول بعضهم: إنه شج في رأسه فيه نظر.

قال النووي: وفي هذا وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لينالوا جزيل الأجر والثواب، ولتعرف أممهم وغيرهم ما أصابهم، ويتأسوا بهم.

قال القرطبي: وليعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر ليتيقنوا أنهم مخلوقون مربوبون، ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات، ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم.

قوله: "يوم أحد" جبل معروف إلى الآن، كانت عنده الواقعة المشهورة فأضيفت إليه.

قوله: فقال: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ "١. زاد مسلم من طريق ثابت عن أنس "وكسروا رباعيته وأدموا وجهه" 2.

قوله: فأنزل الله: {**ليس لك من الأمر شيء**} . قال ابن عطية: كان النبي صلى الله عليه وسلم لحقه في تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش، فمالت نفسه إلى أن يستأصلهم الله، ويريح منهم. فقيل له: بسبب ذلك {**ليس لك من الأمر شيء**} ، أي: عواقب الأمور بيد الله فامض أنت لشأنك، ودم على الدعاء لربك.

وقال غيره: المعنى أن الله تعالى مالك أمرهم، فإما أن يهلكهم {أويكبتهم} ، {أويتوب عليهم} إن أسلموا، {أويعذبهم} إن

---

١ البخاري: المناقب (٣٧٨٣) ، ومسلم: الإيمان (٧٥) ، والترمذي: المناقب (٣٩٠٠) ، وأحمد (٢٨٣/٤، ٢٩٢/٤) .

٢ مسلم: الجهاد والسير (١٧٩١) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٢، ٣٠٠٣) ، وابن ماجه: الفتن (٤٠٢٧) ، وأحمد (٩٩/٣، ١٧٨/٣، ٢٠١/٣، ٢٠٦/٣، ٢٥٣/٣، ٢٨٨/٣) .." (١)

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٢١٠

"أصروا، و {ليس لك من} أمرهم {شيء} ، وإنما أنت عبد مأمور بإنذارهم وجهادهم، فعلى هذا يكون قوله: **{ليس لك من الأمر شيء}** ، اعتراض المعطوف والمعطوف عليه.

وقال ابن إسحاق: أي ليس لك من الحكم بشيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم.

قال: وفيه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: "اللهم العن فلانا وفلانا"، بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد. فأنزل الله: **{ليس لك من الأمر شيء}** " ١. وفي رواية: "يدعو على صفوان ابن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}** " ٢.

ش: قوله: وفيه: أي في "الصحيح" والمراد به "صحيح البخاري"، ورواه النسائي.

قوله: عن ابن عمر. هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، صحابي جليل، من عباد الصحابة، شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاح. مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها، أو أول التي تليها.

قوله: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ... إلى آخره. هذا القنوت على هؤلاء هو بعد ما شج، وكسرت رباعيته يوم أحد.

قوله: "اللهم العن فلانا وفلانا". قال أبو السعادات: أصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السب والدعاء. قلت: الظاهر أنه من الخلق طلب طرد الملعون وإبعاده من الله بلفظ اللعن، لا مطلق السب والشتم.

قوله: (فلانا وفلانا) ، يعني صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام كما بينه في الرواية التي بعدها. وفيه جواز الدعاء على المشركين في الصلاة، وتسمية المدعو عليهم ولهم بأسمائهم في الصلاة، وأن ذلك لا يضر الصلاة.

---

١ البخاري: تفسير القرآن (٤٥٥٩) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٥) ، والنسائي: التطبيق (١٠٧٨) ، وأحمد (٢/٩٣، ٢/١٠٤، ٢/١١٨، ٢/١٤٧) .

٢ البخاري: المغازي (٤٠٧٠) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٤) ، وأحمد (٢/٩٣) .." (١)

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٢١١

"عمرو، والحارث بن هشام. إنما دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم رؤساء المشركين يوم أحد، والسبب في تلك الأفاعيل التي جرت على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم هم وأبو سفيان، ومع ذلك فما استجيب له فيهم، بل أنزل الله عليه: {**ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} ١. فتاب الله عليهم وآمنوا، مع أنهم فعلوا أشياء لم يفعلها أكثر الكفار، منها غزوهم نبيهم صلى الله عليه وسلم في بلاده، وشجهم له، وكسر رباعيته، وقتلهم بني عمهم المؤمنين، وقتلهم الأنصار والتمثيل بقتلى المسلمين، وإعلانهم بشركهم وكفرهم، ومع هذا كله لم يقدر النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفعهم عن نفسه، ولا عن أصحابه، كما قال تعالى:: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله ورسالاته} ٢. بل لجأ صلى الله عليه وسلم إلى ربه المالك القادر على النفع والضر وإهلاكهم، ودعا عليهم صلى الله عليه وسلم في الصلاة المكتوبة جهرا، وخلفه سادات الأولياء يؤمنون على دعائه، ومع هذا كله ما استجاب الله له فيهم، بل تاب عليهم وآمنوا، فلو كان عنده صلى الله عليه وسلم من النفع والضر شيء لكان يفعل بهم ما يستحقونه على هذه الأفعال العظيمة، ولكن الأمر كما قال تعالى: {هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب} ٣. فأين هذا مما يعتقده عباد القبور في الأولياء والصالحين بل في الطواغيت الذين يسمونهم المجاذيب والفقراء أنهم ينفعون من دعاهم، وينصرون من لاذ بحماهم، ويدعونهم برا وبحرا في غيبتهم وحضرتهم.

[إنذاره عليه الصلاة والسلام لأقاربه وعشيرته]

قال: وفيه عن أبي هريرة قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله عليه" {وأنذر عشيرتك الأقربين} ٤. قال: يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا".

---

١ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٢ سورة الجن آية: ٢١-٢٣.

٣ سورة إبراهيم آية: ٥٢.

٤ سورة الشعراء آية: ٢١٤. البخاري: الوصايا (٢٧٥٣) ، ومسلم: الإيمان (٢٠٦) ، والنسائي: الوصايا (٣٦٤٦، ٣٦٤٧) ، وأحمد (٣٥٠/٢، ٣٩٨/٢) ، والدارمي: الرقاق (٢٧٣٢) .." (١)

"اعتقدوا ما حكى الله عنهم في قوله: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} أفلا نهيتم عن هذا الاعتقاد. وأنكرتموه على معتقديه حتى لا تكون فتنة ولا في الدين فساد. بل من نهى عنه أو عن منكر أقل منه نسب ذلك الناهي إلينا. وحصرت عقيدته علينا. فقيل له أو عنه وهابي أو عارضي أو شرقي. وإن كان نائيا عنا ولم يعرفنا. أفلا أجبتم الداعي حين دعاكم إلى سبيل الرشاد. فإن القرآن ينادي وبآياته للسبيل المطلوب يهدي ويبدي وعلى المختلفين يحكم ويقضي. والسنة الغراء بما حكم به القرآن تحكم. ولمعانيه المرادة منه تعطي مبتغيها وتتم. ومن استمسك بالكتاب والسنة فقد غنم وسلم قال سبحانه وتعالى لحبيبه أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم معلما له أن يقول ما يدل على أن الخير والشر من عند الله، وأنه لا يقدر على جلبهما أو دفعهما إلا الله وحده: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا * قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا * إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله} الآية وقال تعالى: {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون} وقال تعالى: {له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال} وقال تعالى: {قل إن الأمر كله لله} وقال تعالى: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله} وقال تعالى: {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين} وقال تعالى: {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين} وقال تعالى لصفوة خلقه: {إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين * وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم * ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين * **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} وفي البخاري "أنه صلى الله عليه وسلم قنت على حي من العرب المشركين يدعو عليهم شهرا" فأنزل الله: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٢١٣

ظالمون} وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه مبلغ عن الله تجب محبته في القلوب على الأهل والنفس والمال والولد، وعلامتها اتباع شرعه وما جاء به، لا عبادته وجعله بمنزلة." (١)

"وفي (ص ١٧٥) نقل عن الطبري والبغوي والقرطبي أن معاد الضمير في قوله: "يصيب به" إلى الضر والخير. وذكر رحمه الله في (ص ١٧٥ – ١٧٦) أن في هذه الآية لطيفتين: أحدهما: من قوله: {من عباده} حيث يفهم منها أن جميع الكائنات محتاجة إليه وأن جميع الممكنات مستندة إليه.

والثانية: من قوله: {وهو الغفور الرحيم} ١ حيث بين أن الله تعالى رجح جانب الخير على جانب الشر؛ لأنه قد ذكر أن الضر لا كاشف له إلا هو، وأن الخير لا راد له غيره ثم عقب ذلك بقوله: {وهو الغفور الرحيم} ٢ مما يؤكد الفضل والخير الذي يفيضه على عباده.

وفسر رحمه الله في (ص ١٧٧) قوله تعالى: {فابتغوا عند الله الرزق} ٣ بحديث ابن عباس حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله "٤.

وتحت قوله تعالى: {أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض} ٥ الآية.

وفي (ص ١٧٩) فسر قوله تعالى {ويجعلكم خلفاء} ٦ بأن الله يجعل أولادهم خلفاء لهم أو جعلهم خلفاء الجن في الأرض.

وفي باب قول الله تعالى: {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون} ٧ الآية:

تحت حديث أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم "٨ فأنزل الله: **{ليس لك من الأمر شيء}** ٩.

ذكر الشارح من (ص ١٨٢ – ١٨٥) الخلاف في نزول هذه الآية متى وأين كان؟ هل كان يوم أحد أو كان في بئر معونة؟ وذكر الخلاف في سبب نزولها على القولين الماضيين.

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/١٤٥

(٤) الترمذي: صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، وأحمد (١/٢٩٣، ١/٣٠٣) .

(٥) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٦) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٩١.

(٨) مسلم: الجهاد والسير (١٧٩١) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٢) ، وأحمد (٣/٢٥٣) .

(٩) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.." [1]

"وتحت حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم العن فلانا وفلانا" ١ بعد أن قال: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأنزل الله **{ليس لك من الأمر شيء}** ٢ ذكر الشارح من (ص ٨٥ - ١٨٩) أن من فوائد هذا الحديث استحباب القنوت في الصلاة للنوازل.

ثم ذكر بعد ذلك الخلاف في جواز لعن المعين ممن اتصف بشيء من المعاصي كيهودي أو نصراني أو ظالم أو زان أو مصور أو سارق أو آكل ربا، ورجح جواز اللعن واستدل عليه ببعض الأحاديث الصحيحة.

وبين رحمه الله في (ص ١٩٠) معنى قوله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** ٣والحكمة في منع الله تعالى لنبيه من الدعاء على من كان يدعو عليهم. وتحت حديث أبي هريرة لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه قوله

تعالى: {أنذر عشيرتك الأقربين} ٤ الآية ... الحديث.

بذكر الشارح في (ص ١٩١) أن ذلك يفيد أن الإنسان إذا بدأ بنفسه أولا ثم الأقرب فالأقرب من أهله لم يكن لأحد عليه طعن، وكان قوله أنفع وكلامه أنجع. وأن ذلك يفيد جده صلى الله عليه وسلم تشميره إلى ما أمره الله به.

وفي باب قول الله تعالى: {إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير} ٥ الآية. تحت حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عنه وسلم " اذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها ... " ٦ الحديث.

ذكر الشارح في (ص ١٩٧) في معنى هذا الحديث أثرا عن وهب بن

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ١/١٠٤

(١) البخاري: المغازي (٤٠٧٠) ، والنسائي: التطبيق (١٠٧٨) ، وأحمد (١٤٧/٢) .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

(٦) البخاري: تفسير القرآن (٤٧٠١) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٢٢٣) ، وابن ماجه: المقدمة (١٩٤)

.." (١)

"**{ليس لك من الأمر شيء}** إلى ... فإنهم ظالمون}

{ليس لك من الأمر شيء} ١ إلى ... فإنهم ظالمون} ٢. ٣ .

واختلفوا في٤ نزولها، فقيل: نزلت يوم أحد٥.

واختلفوا في سببها، فقيل: إن عتبة بن أبي وقاص٦ شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم [وكسر] ٧، رباعيته، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله تعالى فأنزل الله **{ليس لك من الأمر شيء}** ٨. ٩.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٢) قوله: (إلى فإنهم ظالمون) جيء بها في ((الأصل)) ، وليست في بقية النسخ ولا ((المؤلفات)) .

(٣) [٨٧ ح] ((صحيح البخاري مع الفتح)) : (٣٦٥/٧، ح ٤٠٧٠) ، كتاب المغازي، باب **ليس لك من الأمر شيء**. و ((صحيح مسلم مع شرح النووي)) : (٣٩١/١٢، ح ١٧٩١/١٠٤) ، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد. انظر بقية التخريج في الملحق.

(٤) زيد هنا كلمة: (سبب) في ((الأصل)) و ((ع)) ، و ((ش)) ، ولعله سبق نظر من الناسخ إلى ما بعد ذلك.

(٥) يعني به: يوم غزوة أحد.

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ١٠٥/١

(٦) هو: عتبة بن أبي وقاص بن أهيب، أخو سعد بن أبي وقاص، وهو الذي شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسر رباعيته، وقد اختلف في إسلامه أو موته على الكفر، لم يذكره المتقدمون في الصحابة، وذكره المتأخرون. انظر ترجمته في: ((الإصابة)) : (٨/٤-٥) ، ((أسد الغابة)) : (٣/٤٦٧-٤٦٨) ، ((تهذيب التهذيب)) : (٧/١٠٣) .

(٧) في ((الأصل)) : (كسرت) ، وهو خطأ، والصواب المثبت من بقية النسخ.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٩) انظر: ((أسباب النزول)) للواحدي: (ص ٨٦، ٨٧) ، و ((أسباب النزول)) للسيوطي: (ص ٥٧) ، و ((الصحيح المسند من أسباب النزول)) لمقبل بن هادي: (ص ٤٨-٤٩) . انظر تخريج الحديث الماضي في الملحق.." (١)

"عن ابن عمر -رضي الله عنهما- ((أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله)) (١) {ليس لك من الأمر شيء} (٢) .

فقتلهم عامر بن الطفيل (٣) فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا، وقنت شهرا في الصلاة كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل (٤) .

(٥) {عن ((ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة (٦) من الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله {ليس لك من الأمر شيء} (٧) (٨) فيه استحباب القنوت للنوازل، وجواز لعن المعين

---

(١) البخاري: المغازي (٤٠٧٠) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٥) ، والنسائي: التطبيق (١٠٧٨) ، وأحمد (٢/٩٣، ٢/١٠٤، ٢/١١٨، ٢/١٤٧) .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٣) هو: عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، كان سيد بني عامر في الجاهليه. اختلف

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ١/١٨٣

في إسلامه فأورده بعضهم في الصحابة وأنه أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم، ورجح ابن الأثير الجزري في ((أسد الغابة)) موته على الكفر، توفي سنة ١١ هـ. انظر ترجمته في: ((الإصابة)) : (٢٩٤/٧) ، ((الأعلام)) : (٢٥٢/٣) ، ((أسد الغابة)) : (٢٣/٣) .

(٤) انظر: ((تفسير ابن الجوزي)) : (٤٥٦/١) ، و ((تفسير الرازي)) : (٢١٨/٨) بألفاظ مقاربة.

(٥) في ((المؤلفات)) : (وفيه عن ابن عمر) ، ووقع في ((ر)) : (عن عمر) وهو خطأ يرده ما في النسخ الأخرى والأصول.

(٦) في ((المؤلفات)) : (الأخيرة) ، والمثبت هو الموافق للأصول الحديثية.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٨) [٨٨ ح] ((صحيح البخاري مع الفتح)) : (٣٦٥/٧، ح ٤٠٦٩) ، كتاب المغازي، باب **ليس لك من الأمر شيء**، و (٢٢٥/٨-٢٢٦، ح ٤٥٥٩) ، كتاب التفسير، باب **ليس لك من الأمر شيء**. ((سنن النسائي)) : (٢٠٣/٢، ح ١٠٧٨) ، كتاب التطبيق، باب القنوت في صلاة المغرب.

انظر لزيادة تخريجه في الملحق.." [١]

"وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: {**ليس لك من الأمر شيء**} .

....

وسهيل بن عمرو (١) ، والحارث بن هشام (٢) ، فنزلت: {**ليس لك من الأمر شيء**} (٣) (٤) } ومع ذلك تاب الله على كثير منهم، وآمنوا: كصفوان بن

---

(١) هو: سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري أحد أشراف قريش وخطبائهم- وهو الذي أقبل في شأن الصلح، وتأخر إسلامه إلى يوم الفتح ثم أسلم وحسن إسلامه، توفي سنة ١٨ هـ.

انظر ترجمته في: ((الإصابة)) : (٢٨٧/٤-٢٨٩) ، ((أسد الغابة)) : (٣٢٨/٢-٣٢٩) ، ((شذرات الذهب)) : (٣٠/١) .

(٢) هو: الحارث بن هشام بن المغيرة - أبو عبد الرحمن - القرشي المخزومي - أخو أبي جهل - شهد

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ١٨٥/١

بدرا كافرا، وأسلم يوم الفتح، وكان قد استجار بأم هانئ بنت أبي طالب ولما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: قد أجرنا من أجرت، استشهد يوم اليرموك سنة ١٥ هـ، وقيل: مات في طاعون عمواس سنة ١٧ هـ.

انظر ترجمته في: ((أسد الغابة)) : (١/٤٢٠-٤٢١) .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٤) ((صحيح البخاري مع الفتح)) : (٧/٣٦٥، ح ٤٠٧٠) ، كتاب المغازي، باب **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم. و ((سنن الترمذي)) : (٥/٢٢٧، ح ٣٠٠٤) ، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة آل عمران.

والحديث عن ابن عمر –رضي الله عنهما–.." (١)

"ربيعة، (١) والمستضعفين بمكة، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف)) (٢) زاد في رواية: ((اللهم العن فلانا وفلانا لأحياء من العرب حتى أنزل الله)) **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} (٣) سماهم في رواية [أنس] ، (٤) " اللهم العن رعل وذكوان وعصية عصت الله ورسوله " (٥) (٦) قال (٧) ثم بلغنا أنه ترك

---

(١) هو: عياش بن أبي ربيعة واسم أبي ربيعة عمرو بن المغيرة، يكنى: أبا عبد الرحمن، وقيل: أبو عبد الله، وهو أخو أبي جهل لأمه، كان إسلامه قديما، وهاجر إلى الحبشة ثم عاد وهاجر هو وعمر بن الخطاب إلى المدينة، فقدم أخواه لأمه: أبو جهل والحارث ابنا هشام فذكرا له أن أمه حلفت أن لا يدخل رأسها دهن ولا تستظل حتى تراه فرجع معهما فحبساه بمكة، فكان ممن يدعو لهم النبي صلى الله عليه وسلم.

انظر ترجمته في: ((أسد الغابة)) : (٤/٢٠-٢١) .

(٢) [٨٩ ح] ((صحيح البخاري مع الفتح)) : (٦/٤١٨، ح ٣٣٨٦) ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى /٤ لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين /٤. ((صحيح مسلم مع شرح النووي)) : (٥/١٨٢-١٨٣، ح ٢٩٤/٦٧٠) ، كتاب المساجد، باب استحباب القنوت. انظر زيادة التخريج في الملحق.

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ١٨٧/١

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٤) صحفت في جميع النسخ إلى: (يونس) ، وقد أثبت الصواب من أصل الحديث.

(٥) البخاري: الجهاد والسير (٢٨١٤) ، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٧٧) ، والنسائي: التطبيق (١٠٧٠) ، وأحمد (١١٦/٣، ١٦٢/٣) .

(٦) [٩٠ ح] ((صحيح مسلم مع شرح النووي)) : (١٨٥/٥-١٨٧، ح ٢٩٩، ح ٦٧٧/٣٠٣، ح ٣٠٧، ح ٦٧٩/٣٠٨) ، كتاب المساجد، باب استحباب القنوت. ((صحيح ابن حبان)) : ((الإحسان)) : (٢١٩/٣، ح ١٩٨١) . انظر زيادة التخريج في الملحق.

(٧) أي: أبو هريرة -رضي الله عنه- راوي الحديث المتقدم كما يتضح من السياق.." [١]

"اللعن لما أنزل الله {ليس لك من الأمر شيء} ١ معنى الآية: ليس لك من أمر مصالح٢ عبادي شيء إلا ما أوحي إليك، وأن الله تعالى هو مالك أمرهم،٣ فإما أن يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا أو يهلكهم ويعذبهم إن أصروا على الكفر، وقيل: ليس لك مسألة هداهم والدعاء عليهم؛ لأنه تعالى أعلم بمصالحهم، فربما تاب على من يشاء منهم، وقيل: معناه ليس لك من أمر خلقي شيء إلا ما وافق أمري إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم٤.

قال بعض العلماء: والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم أن الله تعالى علم من حال بعض الكفار أنه سيسلم٥ فيتوب عليهم، أو سيولد منهم ولد يكون مسلما برا تقيا، فلأجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم؛ لأن دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة، فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا٦.

ولكن اقتضت حكمة الله وما سبق في علمه إبقاءهم ليتوب على بعضهم ويستخرج من بعضهم ذرية مؤمنة صالحة، ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله تعالى: {أو يعذبهم فإنهم ظالمون} ٧.

[وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم " اللهم إني لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٢) في ((ر ((: (ليس لك من الأمر من مصالح عبادي ...) ، وكذا في النسختين الأخريين مع إسقاط

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ١٨٩/١

كلمة: (من) الثانية، والأحسن من أثبت من ((الأصل)).

(٣) قوله: (هو مالك أمرهم) سقط من ((ش)).

(٤) انظر: ((تفسير الزمخشري)): (٤٦٢/١) ، و ((تفسير الرازي)): (٢١٩/٨) .

(٥) في بقية النسخ: (أنه يسلم) .

(٦) انظر: ((تفسير الفخر الرازي)): (٢١٩/٨) .

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.." [1]

"قال ابن كثير: أمرا لله نبيه أن يخبر بتفويض الأمور إليه، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل إلا ما أطلعه الله عليه كما قال تعالى: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول} [الجن: ٢٦،٢٧] . فإنه يطلعه على من يشاء من غيبه. قال: والأحسن في قوله: {ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير} [الأعراق:١٨٨] . ما رواه الضحاك عن ابن عباس "لا ستكثرت من الخير " أي من المال، وفي رواية لعلمت إذا اشتريت رخيصا ما أربح فيه فلا أبيع شيئا إلا ربحت فيه ولا يصيبني الفقر. وقال ابن جرير – رحمه الله تعالى -: وقال آخرون معنى ذلك ولوكنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة من السنة المخصبة ولوقت الغلاء من الرخيص. وقال ابن زيد-رحمه الله-: {وما مسني السوء} لا اجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون واتقيته ١. وقال تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران:١٢٨] .

قال المعترض على ما كتبناه على قول الناظم: ومن علومك علم اللوح والقلم. فقال: قد قال الشراح: المراد باللوح ما يكتب فيه الناس، وبالقلم ما يكتبون به. قال: ويحتمل أن يكون المراد باللوح اللوح المحفوظ ولا يلزم على هذا الاعتراض الذي قاله هذا الرجل لأن مراده علم اللوح غير الفواتح الخمس. قال على أن قوله علم اللوح، الإضافة فيه جنسية أي بعض علم ما في اللوح، والجنس يصدق على بعض الأفراد -إلى أن قال-: بل ولو لم نقل هذا لم يلزم هذا الاعتراض؛ لأن فواتح الغيب الخمس لا يلزم أنها في اللوح المحفوظ، بل هي في أم الكتاب وهي غير اللوح -إلى أن قال-: فتبين من هذا أن أم الكتاب غير اللوح المحفوظ بل هي أصل اللوح. انتهى.

قوله: إن الشراح قالوا المراد باللوح ما يكتب فيه الناس وبالقلم مايكتبون به.

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ١٩٠/١

١ انتهى كلام ابن كثير رحمه الله.." (١)

"لهذا المتخرص: إنما تكون الشفاعة لمن أراد الله رحمته وإن كان قد عذبه قبل ذلك، فإذا أراد الله سبحانه رحمة إنسان قد استجوب العذاب أو قد دخل النار أخرجه منها برحمته، أو أذن لمن يشاء من عباده أن يشفع فيه كما في بعض أحاديث الشفاعة "أن الله سبحانه إذا أراد رحمة من شاء ممن في النار أذن في الشفاعة فيه} ١ وأما من أراد الله ضره في الآخرة أو في الدنيا فلا منقذ له ولا شفيع، قال الله تعالى: {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو} [الأنعام: ١٧] .

وقوله: لا شك أن الله أراد بضر ونفعه شفاعة الشافعين.

فنقول لا شك في بطلان هذا الكلام، بل هو كفر، لأن حقيقة كلامه هذا أن شفاعة الشافعين منعت من نفوذ إرادة الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

قال المعترض: وأما استدلاله بقول الله سبحانه وتعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران ١٢٨] . فيقال هذه نازلة في أناس مخصوصين من الكفار آذوا النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم بالهلاك وكان علم الله فيهم من يؤمن فقال: **{ليس لك من الأمر شيء}** فهذه الآية في أناس مخصوصين، ونحن كلامنا في نفع النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالشفاعة فقد أخبره الله بقوله: {ولسوف يعطيك ربك فترضى} وأنزل له جبريل يقول الله٢ {نرضيك في أمتك ولا نسوءك} ٣ ولم يقل هنا **ليس لك من الأمر شيء**. انتهى.

يزعم المعترض أن قوله سبحانه: **{ليس لك من الأمر شيء}** في أناس مخصوصين، ونحن كلامنا في نفع النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالشفاعة وقد أخبره بقوله: {ولسوف يعطيك ربك فترضى} ولم يقل هنا **ليس لك من الأمر شيء**.

{١} أخرجه الإمام أحمد في المسند "٣ / ٥".

{٢} في "ب" "وأنزل له جبريل بقوله".

---

(١) تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس عبد الله أبا بطين ص/62

{٣} أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته وبكائه شفقة عليهم، حديث رقم ٤٩٨.." (١)

"فيقال وهل في قوله سبحانه: {ولسوف يعطيك ربك فترضى} معارضة لقوله: **{ليس لك من الأمر شيء}** فالأمر كله له وحده ووعد نبيه أنه سيرضيه، وقوله إن الآية في أناس مخصوصين، مراده أن حكمها لا يتعداهم، ليس مراده أنهم سبب النزول فهو يقول إن غير هؤلاء المخصوصين للنبي من أمرهم شيء، فيكون شريكا لله في أمر غير هؤلاء المخصوصين، ولهذا احتج بقوله سبحانه: {ولسوف يعطيك ربك فترضى} قال: ولم يقل هنا **ليس لك من الأمر شيء**. فجعل قوله سبحانه: {ولسوف يعطيك ربك فترضى} معارضا لقوله: **{ليس لك من الأمر شيء}** لأنه عارض هذه الآية بتلك الآية وضرب كلام الله ورسوله بعضه ببعض، مع أنه ليس بين الآيتين ما يوهم التعارض فالذي له الأمر كله وعد نبيه أن يعطيه فيرضى، وإنما مراده بإيراد الآية التلبيس والإيهام للجهال، والله سبحانه لم يقل ليس لك من أمر هؤلاء المخصوصين شيء وإنما قال: **{ليس لك من الأمر شيء}** والألف واللام تفيد العموم عند الأصوليين، وقال تعالى: {لله الأمر من قبل ومن بعد} وقال تعالى: {قل إن الأمر كله لله} وقال: {بل لله الأمر جميعا} .

قال ابن كثير على قول سبحانه: **{ليس لك من الأمر شيء}** بعد الكلام على أول الآية قال: ثم اعترض بجملة دالة على أن الحكم في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له فقال:

{ليس لك من الأمر شيء} بل الأمر كله لي كما قال تعالى١: {فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب} وقال: {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء} قال محمد بن إسحاق: **{ليس لك من الأمر شيء}** أي ليس لك شيء من الحكم في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم. انتهى.

قال تعالى: {ألا له الخلق والأمر} أورد ابن جرير عند تفسير هذه

---

١ في "ط" و "ب" سقطت "تعالى".." (٢)

"هذا المعنى كثيرة.

وقول المعترض: ورد في الحديث:"لولا حبيبي محمد ما خلقت سمائي ولا أرضي ولا جنتي ولا ناري"١

---

(١) تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس عبد الله أبا بطين ص/٧١

(٢) تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس عبد الله أبا بطين ص/٧٢

فيقال: أولا هذا حديث باطل. هؤلاء الذين صنفوا في معجزاته وفضائله وخصائصه، كصاحب الشفا أين ذهب عنهم هذا الحديث فلم يذكروه مع أنه لا حجة فيه للمبطل ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خليل الله وحبيبه وأقرب الناس إليه وسيلة وأعظمهم عنده منزلة صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين وقد قال الله له: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] ، والله سبحانه قد بين الحكمة في خلق السموات والأرض وما بينهما فقال: {الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما} [الطلاق:١٢]

"١" لم أقف عليه بهذا اللفظ، لمن ذكر الديلمي في الفردوس "٨٠٣١" نحوه من حديث ابن عباس بلفظ "يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت الدنيا".

قلت هذان الحديثان وما على شاكلتهما من الأحاديث علامات البطلان والكذب ظاهرة عليها، فإنها تناقض صراحة قوله تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} وكذا قوله تعالى: {تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا} . فإن الله تبارك وتعالى خلق الدنيا وما فيها من جن وإنس وسماء وأرض وموت وحياة من أجل أن يعبد وحده سبحانه، ويدعى وحده، ويذبح له وحده، ويتقرب إليه وحده بكل ما يحب ويرضى، وهذا هو معنى كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله"، أي لا معبود بحق إلا الله.." (١)

"وقال: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقير: عبد الله ورسوله" ١، ٣، ٤، ٥.

وقال: "يأيها الناس ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله" ١.

وقال: "لا تتخذوا قبري عيدا. ٢

وقال: "اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد" ٤.

وقد قال الله سبحانه: **{ليس لك من الأمر شيء}** .

وقال: {قل إن الأمر كله لله} .

وقال: {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله} .

وقال: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا، قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا}

---

(١) الرد على البردة عبد الله أبا بطين ص/٣٥

[الجن:٢١:٢٢] . أي لن أجد من دونه من ألتجئ إليه وأعتمد عليه، وقال لابنته وعمهم عباس وعمته صفية: "لا أملك لكم من الله شيئا" ٥.

وفي لفظ: "لا أغني عنكم من الله شيئا".

"١"، "٣"، "٤"، "٥" تقدم تخريجهم.

"٢" صحيح: أخرجه أحمد في مسنده "٣/ ١٥٣، ٢٤٩"، والنسائي في الكبرى "٦/ ٧٠،٧١"، وعبد بن حميد "٦٣٣٧" من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مرفوعا.

- وهذا إسناد صحيح.." (١)

"استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا} ١ إلى قوله: {قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير} ٢. وعن أنس مرفوعا: "الدعاء مخ العبادة"٣ رواه الترمذي.

تفسير قوله " {يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله} "

وقوله:

فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

إن لم تكن في معادي آخذا بيدي

المنافي لقوله تعالى: {وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله} ٤. وقوله: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا} ٥. وقوله: {قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا} ٦ الآية، وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة وأحب الناس إليه: "يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا"٧.

فتأمل ما بين هذا وبين قول الناظم من التضاد والتباين، ثم المصادمة منه لما ذكره الله -تعالى- وذكره رسوله صلى الله عليه وسلم كقوله: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} ٨. وتأمل ما ذكره العلماء في سبب نزول هذه الآية، وأمثال هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغير، ومن ادعى ذلك فقد افترى على الله كذبا، وأضل الناس بغير علم كقوله تعالى: {ولله غيب السماوات والأرض

---

(١) الرد على البردة عبد الله أبا بطين ص/٥٨

وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون} ٩.

وبهذا يعلم أن الناظم قد زلت قدمه، اللهم إلا أن يكون قد تاب قبل الوفاة، والله أعلم.

لا شريك لله في ملكه كما لا شريك له في إلهيته وربوبيته

وأما قوله:

....

فإن من جودك الدنيا وضرتها

فمن المعلوم أن الجواد لا يجود إلا بما يملكه، فمقتضى ذلك: الدنيا والآخرة ليست لله بل لغيره، وأن أهل الجنة من الأولين والآخرين لم يدخلهم الجنة الرب الذي خلقهم وخلقها لهم، بل أدخلهموها غيره {سبحان ربك رب العزة

---

١ سورة الأنعام آية: ٧١.

٢ سورة الأنعام آية: ٧٣: ٧٥.

٣ الترمذي: الدعوات (٣٣٧١) .

٤ سورة الانفطار آية: ١٧.

٥ سورة الجن آية: ٢١.

٦ سورة يونس آية: ٤٩.

٧ البخاري: الوصايا (٢٧٥٣) وتفسير القرآن (٤٧٧١) ، ومسلم: الإيمان (٢٠٦) ، والنسائي: الوصايا (٣٦٤٦) ، والدارمي: الرقاق (٢٧٣٢) .

٨ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٩ سورة هود آية: ١٢٣.." (١)

"وفي " الصحيح " عن أنس قال: " شج النبي صلي الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت

....

---

(١) بيان المحجة في الرد على اللجة (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٢٣٢

..

ولو سمعوا ما استجابوا لكم} ١إلى قوله- {ولا ينبئك مثل خبير} ٢ ابتدأ تعالى هذه الآيات بقوله: {ذلكم الله ربكم له الملك} ٣ يخبر الخبير أن الملك له وحده والملوك وجميع الخلق تحت تصرفه وتدبيره، ولهذا قال: {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير} ٤ فإن من كانت هذه صفته فلا يجوز أن يرغب في طلب نفع أو دفع ضر إلى أحد سوى الله تعالى وتقدس، بل يجب إخلاص الدعاء له الذي هو من أعظم أنواع العبادة، وأخبر تعالى أن ما يدعوه أهل الشرك لا يملك شيئا وأنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو فرض أنهم يسمعون فلا يستجيبون لداعيهم، وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم أي ينكرونه ويتبرءون ممن فعله معهم، فهذا الذي أخبر به الخبير {إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء} ٥ وأخبر أن ذلك الدعاء شرك به وأنه لا يغفره لمن لقيه به، فأهل الشرك ما صدقوا الخبير ولا أطاعوه فيما حكم به وشرع، بل قالوا: إن الميت يسمع، ومع سماعه ينفع، فتركوا الإسلام والإيمان رأسا كما ترى عليه الأكثرين من جهلة هذه الأمة.

قوله في الصحيح عن أنس قال: " شج النبي صلي الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ "٦ فنزلت **{ليس لك من الأمر شيء}** ٧ الآية وفيه عن ابن عمر رضي الله عنه أنه " سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد "فأنزل الله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** ٨ الآية. وفي رواية: " يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام "فنزلت **{ليس لك من الأمر شيء}** وأسلم هؤلاء وحسن إسلامهم.

قوله: "في الصحيح " أي الصحيحين علقه البخاري عن حميد عن ثابت عن أنس، ووصله أحمد والترمذي والشافعي عن حميد عن أنس، وقد قال تعالى: {قل إن الأمر كله لله} ٩، وقال تعالى: {ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين} ١٠. والآيات في هذا المعنى كثيرة، والمقصود أن الذي له الأمر كله والملك كله لا يستحق غيره شيئا من العبادة، ولهذا المعنى قال لنبيه صلي الله عليه وسلم: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين} ١١، فالذي ليس له من الأمر شيء هو وخيرة الله من خلقه ما زال يدعو الناس أن يخلصوا العبادة للذي له الأمر كله وهو الله تعالى، فهذا دينه صلي الله عليه وسلم الذي بعث به وأمر أن يبلغه أمته ويدعوهم إليه، كما تقدم في باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله

إلا الله، فإياك أن تتبع سبيلا غير سبيل المؤمنين الذي شرعه الله ورسوله لهم وخصهم به.

---

١ سورة آية: ١٣-١٤.

٢ سورة فاطر آية: ١٤.

٣ سورة فاطر آية: ١٣.

٤ سورة فاطر آية: ١٣.

٥ سورة آل عمران آية: ٥.

٦ مسلم: الجهاد والسير (١٧٩١) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٢، ٣٠٠٣) ، وابن ماجه: الفتن (٤٠٢٧) ، وأحمد (٣/٩٩، ٣/١٧٨، ٣/٢٠١، ٣/٢٠٦، ٣/٢٥٣، ٣/٢٨٨) .

٧ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٨ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٩ سورة آل عمران آية: ١٥٤.

١٠ سورة الأعراف آية: ٥٤.

١١ سورة القصص آية: ٥٦.." (١)

"رباعيته، فقال: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ "١ فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}** ٢ ٣.

و"فيه" عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه " سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: " اللهم العن فلانا وفلانا" بعدما يقول: " سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد " "٤ فأنزل الله: **{ليس لك من الأمر شيء}** . وفي رواية: " يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت **{ليس لك من الأمر شيء}** ٥

و"فيه" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلي الله عليه وسلم حين أنزل عليه: {وأنذر عشيرتك الأقربين} ٦ قال: " يا معشر قريش- أو

....

..

---

(١) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٨٨

قوله: "وفيه عن أبي هريرة " أي في صحيح البخاري، واختلف في اسم أبي هريرة وصححه النووي أن اسمه عبد الرحمن بن صخر، وهو دوسي من حفاظ الصحابة، حفظ من الحديث ما لم يحفظه غيره، كما في صحيح البخاري عن وهب بن منبه عن أخيه: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: " ما من أحد من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم أكثر حديثا عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب "٧ مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة. وهذا الحديث له طرق كثيرة في الصحيحين والمسند والسنن وغيرها.

قوله "يا معشر قريش" أو كلمة نحوها "اشتروا أنفسكم "،

---

١ مسلم: الجهاد والسير (١٧٩١) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٢، ٣٠٠٣) ، وابن ماجه: الفتن (٤٠٢٧) ، وأحمد (٣/٩٩، ٣/١٧٨، ٣/٢٠١، ٣/٢٠٦، ٣/٢٥٣، ٣/٢٨٨) .

٢ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٣ رواه البخاري معلقا ٧/ ٣٦٥ في المغازي: غزوة أحد ، باب قوله تعالى: (**ليس لك من الأمر شيء**) ، قال البخاري: قال حميد وثابت عن أنس: شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم " فنزلت (**ليس لك من الأمر شيء**) . أما حديث حميد فوصله أحمد والترمذي والنسائي من طرق عن حميد ، وأما حديث ثابت فوصله مسلم (١٧٩١) في الجهاد والسير: باب غزوة أحد من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه. قوله: " شج: أي حصل جرح في رأسه الشريف ، والجراحة إذا كانت في الوجه أو الرأس تسمى شجة.

٤ البخاري: المغازي (٤٠٧٠) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٤، ٣٠٠٥) ، والنسائي: التطبيق (١٠٧٨) ، وأحمد (٢/١٤٧) .

٥ البخاري رقم (٤٠٦٩- ٤٠٧٠) في المغازي: باب قوله تعالى: (**ليس لك من الأمر شيء**) ، ورقم (٤٥٥٩) في التفسير: باب (**ليس لك من الأمر شيء**) ، ورقم (٧٣٤٦) في الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول الله تعالى: (**ليس لك من الأمر شيء**) .

٦ سورة الشعراء آية: ٢١٤.

٧ البخاري رقم (٦١٣) في العلم: باب كتابة العلم ، والترمذي (٢٦٧٠) .." (١)

"فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار. منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك **{ليس لك من الأمر شيء}** ١

السابعة: قوله: {أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} ٢ فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعنة المعين في القنوت.

....

..

قوله: "سليني من مالي ما شئت " لأن هذا هو الذي يقدر عليه صلي الله عليه وسلم وما كان أمره إلى الله سبحانه فلا قدرة لأحد عليه كما في هذا الحديث. ولما مات أبو طالب وكان يحوط رسول الله صلي الله عليه وسلم ويحميه ولم ينكر ملة عبد المطلب من الشرك بالله. وقال صلي الله عليه وسلم: " لأستغفرن لك ما لم أنه عنك "٣، فأنزل الله تعالى: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم} ٤، فأخبر أن أبا طالب من أصحاب النار لما مات على غير شهادة أن لا إله إلا الله فلم ينفعه حمايته النبي صلي الله عليه وسلم من أن يكون من المشركين ولا الاعتراف بأن النبي صلي الله عليه وسلم على الحق بدون البراءة من الشرك؛ لأنه لم يبرأ من ملة أبيه، فكل تعلق على

---

(١) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٨٩

غير الله من طلب لشفاعة أو غيرها شرك بالله يكون عليه وبالا في الدنيا والآخرة، والشفاعة لا تكون إلا لأهل الإخلاص خاصة كما قال تعالى: {وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع} ٥ والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكذلك الأحاديث.، والله أعلم، وسيأتي في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.

---

١ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٢ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٣ البخاري: الجنائز (١٣٦٠) ، ومسلم: الإيمان (٢٤) ، والنسائي: الجنائز (٢٠٣٥) ، وأحمد (٤٣٣/٥) .

٤ سورة التوبة آية: ١١٣.

٥ سورة الأنعام آية: ٥١.." (١)

"الكمال، ولا يقول المثبت للنافي: إنك كفرت، فإن الكمال الثابت ليس محدودا يعلمه الناس كلهم، والكمال المطلق الذي لا غاية فوقه لله تبارك وتعالى، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قال: "كمل من الرجال كثير" (١) وهؤلاء الكاملون بعضهم أكمل من بعض.

فإذا قال قائل: إذا كان الرسول الذي هو أفضل الخلق لا يضر ولا ينفع، فكيف بمن دونه؟، ونحو ذلك، فهذا مثل (٢) قوله: لا يضر ولا ينفع (٣) إلا الله، وهو نظير أن يقال: الرسول لا يستغاث به وإنما يستغاث بالله، والمراد به (٤) بعد وفاته؛ كما قال تعالى: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا. قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا. إلا بلاغا من الله ورسالاته} (٥) ، فأخبر أنه لا يملك من الله لا ضرهم ولا رشدهم.:وقال تعالى: {ليس لك من الأمر شيء} (٦) ، وقد ثبت في الصحيحين أنه قال: "يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا" (٧) ، فهذا تخصيص له بنفي ذلك، وهو الصادق

---

(١) أخرجه البخاري في "الأنبياء" باب قول الله تعالى: {إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله ... }

---

(١) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٩١

(ح/٣٤٣٣) ، ومسلم في "فضائل الصحابة"باب فضائل خديجة أم المؤمنين (ح/٢٤٣١) من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعا.

(٢) سقطت من (المطبوعة) : "مثل".

(٣) في "ش": "لا ينفع ولا يضر".

(٤) سقطت من (المطبوعة) : "به".

(٥) سورة الجن، الآيات: ٢١-٢٣.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٧) أخرجه البخاري في "الشروط"باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب (ح/٢٧٥٣) ، وأيضا في "التفسير": (ح/٤٧٧١) ، ومسلم في "الإيمان"باب في قوله تعالى" {وأنذر عشيرتك الأقربين} (ح/٢٠٤و ٢٠٦) من حديث أبي هريرة مرفوعا، وبنحوه أخرجه مسلم في المصدر السابق: (ح/٢٠٥) من حديث عائشة مرفوعا.." (١)

"عليهم ضدا} ١ وقوله تعالى: {ويوم القيامة يكفرون بشرككم} ٢. قال ابن كثير: يتبرأون منكم، كما قال تعالى: {ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين} ٣.

قال وقوله: {لا ينبئك مثل خبير} ٤ أي ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه مثل خبير بها. قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالى. فإنه أخبر بالواقع لا محالة.

قلت: والمشركون لم يسلموا للعليم الخبير ما أخبر به عن معبوداتهم فقالوا: تملك وتسمع وتستجيب وتشفع لمن دعاها ٥، ولم يلتفتوا إلى ما أخبر به الخبير من أن كل معبود يعادي عابده يوم القيامة ويتبرأ منه، كما قال تعالى: {ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون} ٦ أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: قال مجاهد: {إن كنا عن عبادتكم لغافلين} ٧. قال يقول ذلك كل شيء كان يعبد من دون الله.

فالكيس يستقبل هذه الآيات التي هي الحجة والنور والبرهان بالإيمان والقبول والعمل، فيجرد أعماله لله

---

(١) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٢٤

وحده دون كل ما سواه ممن لا يملك لنفسه نفعا ولا دفعا، فضلا عن غيره.

قوله: "وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: شج النبي صلي الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته. فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت **{ليس لك من الأمر شيء}** ٨".

---

١ سورة مريم آية: ٨١-٨٢.

٢ سورة فاطر آية: ١٤.

٣ سورة الأحقاف آية: ٥-٦.

٤ سورة فاطر آية: ١٤.

٥ يعني قالوا ذلك بلسان حالهم؛ لأنهم أصروا على دعائهم والاستغاثة بهم بعد أن وبخهم الله بأن الذي يستغاث به ويدعى لا بد أن يكون سميعا بصيرا بيده الخير. والذي يدل على أنهم لم يكونوا يقولون ذلك بصريح القول: ما حكى الله من جواب قوم إبراهيم وأبيه لما سألهم (هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون) فإنهم أعرضوا عن الجواب الصريح عن السؤال. وقالوا: (بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) فجوابهم هذا حيدة عن الجواب المطابق للسؤال.

٦ سورة يونس آية: ٢٨-٢٩-٣٠.

٧ سورة يونس آية: ٢٩.

٨ سورة آل عمران آية: ١٢٨.." (١)

"قوله: "في الصحيح" أي الصحيحين. علقه البخاري. قال: وقال حميد وثابت عن أنس. ووصله أحمد والترمذي والنسائي عن حميد عن أنس. ووصله مسلم عن ثابت عن أنس. وقال ابن إسحاق في المغازي: حدثنا حميد الطويل عن أنس قال: "كسرت رباعية النبي صلي الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله الآية "١.

قوله: "شج النبي صلي الله عليه وسلم" قال أبو السعادات: الشج في الرأس خاصة في الأصل، وهو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه، ثم استعمل في غيره من الأعضاء، وذكر ابن هشام من حديث أبي سعيد

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٨٤

الخدري أن عتبة ابن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي صلي الله عليه وسلم السفلى وجرح شفته العليا٢. وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في وجهه، وأن عبد الله بن قمئة جرحه في وجنته، فدخلت حلقتان من حلق

يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}** .

المغفر في وجنته٣وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وازدرده. فقال له " لن تمسك النار "

قال القرطبي: "والرباعية بفتح الراء وتخفيف الياء – وهي كل سن بعد ثنية – قال النووي رحمه الله: وللإنسان أربع رباعيات".

قال الحافظ: "والمراد أنها كسرت، فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها".

قال النووي: وفي هذا وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – لينالوا بذلك جزيل الأجر والثواب. ولتعرف الأمم ما أصابهم ويأتسوا بهم".

قال القاضي: "وليعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ

---

١ رواه البخاري معلقا (٧/ ٢٨١) في المغازي: غزوة أحد باب قول الله تعالى: (**ليس لك من الأمر شيء**) . حديث حميد فوصله أحمد والترمذي والنسائي من طرق عن حميد كما في الفتح (٧/ ٣٦٥) . أما حديث ثابت فوصله مسلم (١٧٩١) في الجهاد والسير، باب غزوة أحد من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه.

٢ روى ابن إسحاق من حديث سعد بن أبي وقاص قال: "فما حرصت على قتل رجل قط حرصي على قتل أخي عتبة لما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد".

٣ في الطبراني من حديث أبي أمامة قال: "رمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشج وجهه وكسرت رباعيته فقال: خذها وأنا ابن قمئة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه: مالك أقمأك الله. فسلط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة".. (١)

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٨٥

"على أجسام البشر ليتيقن أنهم مخلوقون مربوبون. ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم" انتهى.

قلت: يعني من الغلو والعبادة.

قوله: "يوم أحد" هو شرقي المدينة. قال صلي الله عليه وسلم: " أحد جبل يحبنا ونحبه " ١ ٢ وهو جبل معروف كانت عنده الواقعة المشهورة. فأضيفت إليه.

وفيه عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول – إذا رفع رأسه من الركوع قي الركعة الأخيرة من الفجر –: " اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول: سمع لله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأنزل الله {ليس لك من الأمر شيء} ٣ " الآية. ٤

قوله: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم" زاد مسلم: "كسروا رباعيته وأدموا وجهه " ٥.

قوله: "فأنزل الله {ليس لك من الأمر شيء} ٦"٧ قال ابن عطية: كأن النبي صلي الله عليه وسلم لحقه في تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش؛ فقيل له بسبب ذلك: {ليس لك من الأمر شيء} أي عواقب الأمور بيد الله، فامض أنت لشأنك، ودم على الدعاء لربك.

وقال ابن إسحاق: {ليس لك من الأمر شيء} ٨ في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم. قوله: "وفيه عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول – إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: – " اللهم العن فلانا وفلانا " بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد. فأنزل الله {ليس لك من الأمر شيء} ٩ وفي رواية. " يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام " فنزلت {ليس لك من الأمر شيء} ".

---

١ رواه البخاري كتاب الزكاة (١٤٨١) : باب خرص الثمر. ومسلم: كتاب الحج (١٣٩٢) (٥٠٣) : باب أحد جبل يحبنا ونحبه من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه وللبخاري: كتاب الاعتصام (٧٣٣٣) : باب ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحض على اتفاق أهل العلم، ومسلم: كتاب الحج (١٣٦٥) (٤٦٢) : باب فضل المدينة: وكتاب الحج (١٣٩٣) (٥٠٤) : باب أحد جبل يحبنا ونحبه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

٢ رواه البخاري في الصحيح عن أنس.

٣ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٤البخاري: كتاب المغازي (٤٠٦٩) : باب قوله تعالى: (**ليس لك من الأمر شيء**) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ومسلم: النذر (١٦٤١) ، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٣١٦) ، وأحمد (٤/٤٣٠) ، والدارمي: السير (٢٥٠٥) .

٥

٦ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٧ في قرة العيون: وقد قال تعالى: (قل إن الأمر كله لله) وقال تعالى: (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) . والآيات في هذا المعنى كثيرة، والمقصود أن الذي له الأمر كله والملك كله لا يستحق غيره شيئا من العبادة، ولهذا المعنى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) . فالذي ليس له من الأمر شيء وهو خيرة الله من خلقه ما زال يدعو الناس أن يخلصوا العبادة للذي له الأمر كله وهو الله تعالى، فهذا دينه صلى الله عليه وسلم الذي بعث به، وأمر أن يبلغه أمته ويدعوهم إليه كما تقدم في باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فإياك أن تتبع سبيلا غير سبيل المؤمنين الذي شرعه الله ورسوله لهم وخصهم به.

٨ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٩ سورة آل عمران آية: ١٢٨.." (١)

"وكذا قال ابن القيم: وفرق بينه وبين المدح بأن الإخبار عن محاسن الغير إما أن يكون إخبارا مجردا عن حب وإرادة، أو يكون مقرونا بحبه وإرادته. فإن كان الأول فهو المدح، وإن كان الثاني فهو الحمد. فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه. ولهذا كان خبرا يتضمن الإنشاء بخلاف المدح، فإنه خبر مجرد. فالقائل إذا قال: "الحمد لله" أو قال: "ربنا ولك الحمد" تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه تعالى باسم جامع محيط متضمن لكل فرد من أفراد الجملة المحققة والمقدرة، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى، ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه ولا تنبغي إلا لمن هذا شأنه، وهو الحميد المجيد.

وفيه: التصريح بأن الإمام يجمع بين التسميع والتحميد، وهو قول الشافعي وأحمد وخالف في ذلك مالك

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٨٦

وأبو حنيفة، وقالا: يقتصر على "سمع الله لمن حمده".

قوله: "وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام".

وذلك لأنهم رءوس المشركين يوم أحد، هم وأبو سفيان ابن حرب، فما استجيب له صلي الله عليه وسلم فيهم بل أنزل الله: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم} ٢ فتاب عليهم فأسلموا وحسن إسلامهم. وفي كله معنى شهادة أن لا إله إلا الله الذي له الأمر كله، يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته.

وفي هذا من الحجج والبراهين ما يبين بطلان ما يعتقده عباد القبور في الأولياء والصالحين. بل في الطواغيت من أنهم ينفعون من دعاهم، ويمنعون من لاذ بحماهم. فسبحان من حال بينهم وبين فهم الكتاب. وذلك عدله سبحانه، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه، وبه الحول والقوة.

قوله: وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم حين أنزل الله عليه {وأنذر عشيرتك الأقربين} ٣ قال: " قام رسول الله صلي الله عليه وسلم حين أنزل عليه {وأنذر عشيرتك الأقربين} فقال:

يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم

---

١ البخاري: المغازي (٤٠٧٠) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٥) ، وأحمد (١١٨/٢) .

٢ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٣ سورة الشعراء آية: ٢١٤.." (١)

"قوله: "سليني من مالي ما شئت". ١ بين رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه لا ينجي من عذاب الله إلا الإيمان والعمل والصالح.

وفيه: أنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا ما يقدر عليه من أمور الدنيا. وأما الرحمة والمغفرة والجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يطلب إلا منه تعالى؛ فإن ما عند الله لا ينال إلا بتجريد التوحيد، والإخلاص له بما شرعه ورضيه لعباده أن يتقربوا إليه به، فإذا كان لا ينفع بنته ولا عمه ولا عمته ولا قرابته إلا ذلك، فغيرهم أولى وأحرى. وفي قصة عمه أبي طالب معتبر.

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٨٨

فانظر إلى الواقع الآن من كثير من الناس من الالتجاء إلى الأموات والتوجه إليهم بالرغبات والرهبات، وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا فضلا عن غيرهم يتبين لك أنهم ليسوا على شيء {إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون} ٢ أظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين، وكل صالح يبرأ إلى الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. ولاريب أن محبة الصالحين إنما تحصل

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين ٣.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله. ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك **{ليس لك من الأمر شيء}** ٤.

السابعة: قوله: {أو يتوب عليهم أو يعذبهم} ٥ فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعن المعين في القنوت.

الحادية عشرة: قصته صلي الله عليه وسلم لما أنزل عليه: {وأنذر عشيرتك الأقربين} ٦.

الثانية عشرة: جده صلي الله عليه وسلم بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: لا أغني عنك من الله شيئا حتى قال: يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا. فإذا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه صلي الله عليه وسلم لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم، تبين له التوحيد وغربة الدين.

١ في قرة العيون: لأن هذا هو الذي يقدر عليه صلى الله عليه وسلم، وما كان أمره إلى الله سبحانه فلا قدرة لأحد عليه كما في هذا الحديث، ولما مات أبو طالب وكان يحوط رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحميه ولم ينكر ملة عبد المطلب من الشرك بالله، وقال صلى الله عليه وسلم: "لأستغفرن لك ما لم أنه عنك "، فأنزل الله تعالى: (٩: ١١٣) (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) فأخبر أن أبا طالب من أصحاب النار لما مات على غير شهادة أن لا إله إلا الله، فلم ينفعه حمايته النبي صلى الله عليه وسلم من أن يكون من المشركين، ولا الاعتراف بأن النبي صلى الله عليه وسلم على الحق بدون البراءة من الشرك؛ لأنه لم يبرأ من ملة أبيه، فكل تعلق على غير الله من طلب شفاعة أو غيرها شرك بالله يكون عليه وبالا في الدنيا والآخرة، والشفاعة لا تكون إلا لأهل الإخلاص خاصة، كما قال تعالى: (٦: ٥١) (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) . والآيات في هذا المعنى كثيرة وكذلك الأحاديث والله أعلم. وسيأتي في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.

٢ سورة الأعراف آية: ٣٠.

٣ يعني قوله تعالى: (لا يستطيعون لهم نصرا) وقوله: (ما يملكون من قطمير) ؛ لأنه إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم لا يغني عن قرابته شيئا. فغيره أولى ان يعجز عن ضر أو نفع لنفسه أو لغيره.

٤ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٥ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٦ سورة الشعراء آية: ٢١٤.." (١)

"وهذه الأقسام الثلاثه هي التي تحصل مع المخلوقين، إما أن يكون لغيره ملك دونه، أو يكون شريكا له، أو يكون معينا وظهيرا له، والرب تعالى ليس من خلقه مالك، ولا شريك، ولا ظهير له١، لم يبق إلا الشفاعة، وهو دعاء الشافع وسؤاله لله في المشفوع له، فقال: {ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له} . [سبأ:٢٣] .

ثم إنه خص بالذكر الملائكة والأنبياء في قوله: {ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة -إلى

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٩١

قوله- بعد إذ أنتم مسلمون} . [آل عمران:٧٩-٨٠] بين أن اتخاذهم أربابا كفر.

وقال تعالى: {لقد كفر الذين قآلوا إن الله هو المسيح ابن مريم -إلى قوله - والله على كل شيء قدير} . [المائدة:١٧] . وقد بين أن من دعا المسيح وغيره، فقد دعا ما لا يملك له ضرا ولا نفعا.

وقال لخاتم الرسل: {قل لا أقول لكم عندي خزآئن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك} . [الأنعام: ٥٠] ، وقال: {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير} . الآية [الأعراف:١٨٨] . وقال: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا} . [الجن:٢١] . وقال: {ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا **خآئبين*ليس لك من الأمر شيء**} . [آل عمران:١٢٧-١٢٨] . وقال: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} . [القصص:٥٦] .

---

١ سقطت: "له" من "أ" و"ج".." (١)

"من ذلك وأرفع، ولكن هذا لا لدل على صحة دعوى هذا (١) الرجل: من أنهم يقصدون للدعاء والاستعانة والاستغاثة، فإن فضلهم وحياتهم وكرامتهم ونبوتهم ورسالتهم لا تقضي صرف حق الله إليهم، وتنزيلهم منزلته تعالى في القصد والدعاء، والخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، ولا يوجب ذلك صرف الوجوه إليهم بشيء من المطالب والمقاصد التي [١٥١] بيده تعالى، ومنه عطاؤها وقسمها ومنعها، وتدبيرها وتيسيرها.

وقد قال تعالى (٢) {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل} [آل عمران: ١٤٤] [آل عمران - ١٤٤] .

قال بعض الأفاضل: نزل استعظام موته منزلة جعله إلها، ولذلك قال: {أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم} [آل عمران: ١٤٤] (٣) [آل عمران -١٤٤] . وقال تعالى: {قل (٤) إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا} [الجن: ٢١] [الجن -٢١] . وقال تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} [القصص: ٥٦] [القصص -٥٦] .

وقد قال لابنته (٥) وبضعته: " «يا فاطمة بنت محمد (٦) لا أغني عنك

---

(١) تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس عبد اللطيف آل الشيخ ص/١٣٥

(١) ساقطة من (ق) .

(٢) في (م) و (ح) و (المطبوعة) زيادة: "لأكرم خلقه وأفضل رسله (**ليس لك من الأمر شيء**) ، وقال تعالى" .

(٣) في (ق) زيادة: ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا الآية.

(٤) ساقطة من (ق) .

(٥) في (ح) و (المطبوعة) : "لبنته".

(٦) في (المطبوعة) : "اعملي فلن".." (١)

"{إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين} (١) فقف عند هذه الآية وتدبر فيها من العلوم والمعارف فإنها أصل عظيم وبرهان ظاهر مستقيم يكفي من أراد الله هدايته، قال بعض السلف وهو ابن سميط: دلنا ربنا على نفسه بهذه الآية يشير إلى أن أفعاله شاهدة بربوبيته وألهيته دالة على ذلك ولو لم يكن في هذه الآية إلا قوله: {ألا له الخلق والأمر} لكان كفيفا في رد قول هؤلاء الملاحدة وقال تعالى لنبيه: {**ليس لك من الأمر شيء**} وقال جل شأنه: {لله الأمر من قبل ومن بعد} وألا (٢) للاستغراق المفيد لعدم خروج فرد من الأفراد لسواه وقال تعالى: {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم} (٣) وقال تعال لنبيه: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا} (٤) ، وقال تعالى: {قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون} (٥) وقال جلت قدرته: {قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون} (٦) فهذه الآيات تقطع أصول شجرة الشرك والإلحاد وترد مذهب أهله القائلين بأن لأرواح المشايخ تصرفا وتدبيرا في الكون، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، وفي الحديث القدسي الذي رواه أبو

---

(١) سورة الأعراف: رقم الآية ٥٤.

---

(١) مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام عبد اللطيف آل الشيخ ٣٨٦/٣

(٢) والصواب والله أعلم (وال للاستغراق المفيد الخ) .

(٣) سورة يونس: رقم الآية ١٠٧.

(٤) سورة الجن: رقم الآية ٢١.

(٥) سورة يونس: رقم الآية ٤٩.

(٦) سورة الأنعام: رقم الآية ٥٠.." (١)

"وهذا جهل عظيم ومع هذا فلا يجوز أن يطلب منهم كل شيء ويقصدوا بما لا يقدر عليه إلا الله، وأما قوله: والأنبياء والأولياء في صدور التصرفات والكرامات عنهم في الظاهر مظاهر لتصرفاته تعالى كالمرآة المجلوة المتصلة إذا استنارت من الشمس صارت منورة للأجسام المظلمة، فهذه العبارة تمويه وترويج للباطل، وحقيقتها أن العباد يتصرفون في العالم ويدبرون أمره وتصدر الأمور عنهم لأنهم مظاهر، والقائلون بأن الخلق مظاهر لذاته هم أهل الحلول المعطلة لوجود الصانع وربوبيته ومباينته لمخلوقاته وهم من أكفر خلق الله وأضلهم سبيلا فإنهم يعبدون كل ما استحسنوه ومالت نفوسهم إليه لظنهم أنه من مظاهر الحق.

والقائلون بأن لأرواح الأولياء في صدور التصرفات عنهم مظاهر لتصرفاته تعالى فيهم مشابهة قوية للحلولية ولعل هذه العبارة إنما أخذت عنهم يبين ذلك أنهم إن أراد الأسباب العادية الحسية فهذا لا يختص بالأنبياء والأولياء وإن أراد ما هو أعم من ذلك من الأمور الباطنية والتدبير بالقوة المؤثرة فهو شبيه بالقول الأول مشتق منه {كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون} (١) .

وقوله: ويجوز أن تكون حالهم بعد مفارقة أرواحهم عن الأبدان في التصرفات كحالهم قبلها بل أتم وأصفى: فجوابه أن حالهم قبل المفارقة حال عبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موت ولا حياة ولا نشورا كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا} (٢) وقال له أيضا: **{ليس لك من الأمر شيء}** (٣) وقال تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين} (٤) .

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١١٨.

(٢) سورة الجن: رقم الآية ٢١.

---

(١) البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية عبد اللطيف آل الشيخ ص/٩٥

(٣) سورة آل عمران: رقم الآية ١٢٨.

(٤) سورة القصص: رقم الآية ٥٦.." (١)

"بالنسبة إلى الحفظ والإعانة والنصرة والتأييد والتسديد، والملائكة لهم قرب أخص والأرواح الطيبة كذلك، ومع هذا فقد قيل لأفضلهم وسيدهم (**ليس لك من الأمر شيء**) (إن عليك إلا البلاغ) وتقدم ما فيه كفاية لأهل الحق.

وأما علم الأرواح بالزائرين وأحوالهم فلا دليل فيه لأن كونه يعلم الزائر ويرد عليه سلامه لا يدل على أنه يعلم حاله مطلقا ويتصرف ويدبر الأمر هذا لا مناسبة بينه وبين ما قبله بوجه من الوجوه وأي تلازم بينهما؟ وقد يعرف الكافر من يزوره وهو فيما هو فيه من العذاب.

وأما قوله: هكذا في شرح المشكاة فقد تقدم أن الحجة ليست في قول مثل هذا.

وأما قوله: وليت شعري ما أراد المنكرون للاستمداد إن أرادوا أن الأولياء لا تصرف لهم أصلا (لا) في الحياة ولا في الممات فهو بعينه مذهب أهل الاعتزال، والجواب أن يقال: قد تقدم أن الرجل لا يعرف معنى الاعتزال، ويسمي المؤمنين الذين يعتزلون الشرك وأهله ويجتنبون الأقوال المكفرة الشركية معتزلة لجهله بالاعتزال. والقول بأن الأولياء لا تصرف لهم أصلا لا في الحياة ولا في الممات بغير الأسباب العادية الحسية هو مذهب أهل الإسلام قاطبة الذين اعتزلوا الشرك وأهله.

وقوله: وإن أرادوا أن لا تصرف لهم حقيقة في الحالتين بل المتصرف والمؤثر حقيقة هو الله تعالى، وينسب إليهم مجازا فهو بعينه اعتقادنا، والجواب أن يقال: لا تصرف لأحد من الخلق بدون الأسباب العادية لا حقيقة ولا مجازا، وهذا هو الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم من الآيات والأحاديث.

وأما الأسباب العادية الحسية فهي تضاف إلى العبد حقيقة بمعنى أنها صدرت منه وقامت به وحصلت بمشيئته وكسبه ولا يمنع من إطلاق هذه الأفعال حقيقة عليه وإن كان الله هو الخالق له ولعمله كما قال تعالى: {والله ." (٢)

---

(١) البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية عبد اللطيف آل الشيخ ص/٩٨

(٢) البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية عبد اللطيف آل الشيخ ص/١٠٥

"متن الباب ١٤

باب قول الله تعالى: {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا} . [الأعراف: ١٩٠- ١٩١] . وقوله: {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير} . [فاطر: ١٣] .

وفي "الصحيح" عن أنس قال: شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم"؟ فنزلت: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨] . وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: "اللهم العن فلانا وفلانا" بعدما يقول: "سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد" فأنزل الله تعالى: {ليس لك من الأمر شيء} . وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت {ليس لك من الأمر شيء} . وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٤] . قال: "يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا".." (١)

"فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار. منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك {ليس لك من الأمر شيء} .

السابعة: قوله: {أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] . فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد حامد بن محسن ص/٢٤٥

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعنه المعين في القنوت.

الحادية عشرة: قصته صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٤] .

الثانية عشرة: جده صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر، بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: "لا أغني عنك." (١)

"الظلماء، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون سبحانه وتعالى عما يشركون أيشركون خلقا ما أو يشركون به مخلوقا من ماء مهين مدبرا في الرحم من حال إلى حال نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يكسو العظام لحما ثم ينفخ فيه ويرزق من دم الحيض غذاء وشرابا إلى حد معلوم عنده ثم أخرجه متلوثا بما تكرهه النفوس فيعطف الله عليه الأبوين ويشفقهما عليه فيربيانه بأمر الله وهو يتقلب في القاذورات ويرضع ثدي أمه إلى حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة ثم يخلق له أسنانا نوعين نوع للقطع ونوع للمضغ والطحن وخلق له كل شيء من النعم قال تعالى: {وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها} . [إبراهيم: ٣٤] . {وما بكم من نعمة فمن الله} [النحل: ٥٣] . فالإنسان مدبر مقهور لولا فضل الله ورحمته لكان من الهالكين لا يعلم مصالح نفسه ولا مفاسده، قال تعالى: {وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون} . [البقرة: ٢١٦] . بل إنه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه يمينا وشمالا وهو لا يشعر لو يأتيه أدنى مصيبة من المصائب عجز عن دفعها ورفعها، ضعيف نحيف لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يملك موتا ولا حياة ولا نشورا ولا يملك في الكون مثقال ذرة ملكا حقيقيا ولا نقيرا ولا قطميرا ولا فتيلا، فمن كان هذا حاله فكيف يتصور أنه ينفع أو يضر أو يعطي أو يمنع أو يخذل أو يعز أو يذل أو يقدر على أمر من الأمور الكونية، وقد قال الله لأفضل الخلق أجمعين وسيد الأنبياء والمرسلين وحبيبه وصفوته من خلقه: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] .

وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال: شج النبي صلى الله عليه وسلم." (٢)

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد حامد بن محسن ص/٢٤٦

(٢) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد حامد بن محسن ص/٢٤٩

"وعن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج رأسه صلى الله عليه وسلم فجعل يسلت الدم عن وجهه فقال: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم" فنزلت **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] . أخرجه مسلم والترمذي١.

وفيه أي في الصحيح٢: عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: "اللهم العن فلانا وفلانا" بعدما يقول: "سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد" فأنزل الله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** . وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام٣، فنزلت **{ليس لك من الأمر شيء}** . وفيه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٤] . صعد الصفا وقال: "يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا" ٤.

---

١ أخرجه مسلم (١٧٩١) والترمذي (٣٠٠٢) من حديث أنس مرفوعا.

٢ أخرجه البخاري (٤٠٦٩) من حديث ابن عمر مرفوعا.

٣ هذه الرواية عند الترمذي (٣٠٠٤) .

٤ أخرجه البخاري (٢٧٥٣ و٣٥٢٧ و٤٧٧١) ومسلم (٢٠٤) وأحمد (٣٦٠/٢) والنسائي (٢٤٩/٦) والدارمي (٢٧٣٥) .." (١)

"اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني، فهو باعتبار ما قام به من العلم، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركا كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعه لم تحصل الإجابة من الله لهم ولا سكت النبي صلى الله عليه وسلم عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم، ولهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل إلى الله بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد حامد بن محسن ص/٢٥١

زلفى} . ونحو قوله تعالى: {فلا تدعو مع الله أحدا} . ونحو قوله تعالى: {له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء} . ليس بوارد، بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه، فإن قولهم: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} . مصرح بأنهم عبدوهم لذلك، والمتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك، وكذلك قوله تعالى: {فلا تدعو مع الله أحدا} . فإنه نهي أن يدعى مع الله غيره، كأن يقول يا الله ويا فلان، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع إلا الله، وإنما وقع منه التوسل إليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطلقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم، وكذلك قوله: {والذين يدعون من دونه} . الآية، فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستحبب لهم، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه.

"فإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجا زائدا على ما ذكرنا كاستدلالهم بقوله تعالى: {وما أدراك ما يوم الدين. ثم ما أدراك ما يوم الدين. يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله} . فإن هذه الآية الشريفة ليس فيها إلا أنه تعالى المنفرد بالأمر في يوم الدين، وأنه ليس لغيره من الأمر شيء، والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركته جل جلاله في أمر يوم الدين، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيا أو غير نبي فهو في ضلال مبين، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى: {ليس لك من الأمر شيء} ، {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا} . فإن هاتين." (١)

"القلوب، ومغفرة الذنوب والإنقاذ من النار ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله الواحد القهار؛ فهذا إنما يليق بمقام الربوبية، قال تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} ١. وقال: {ومن يغفر الذنوب إلا الله} ٢. وقال تعالى: {أفأنت تنقذ من في النار} ٣. وقال تعالى: {ليس لك من الأمر شيء} ٤. وقال رجل: أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد، فقال صلى الله عليه وسلم: "عرف الحق لأهله"٥.

وأما قوله: وقد ذكر المجوزون أن جعل النبي صلى الله عليه وسلم متسببا لا مانع من ذلك شرعا وعقلا. فيقال: هذه العبارة ركيكة التركيب، والمجوزون للاستغاثة الله بغير فيما لا يقدر عليه إلا الله هم خصومنا

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان محمد بشير السهسواني ص/١٥٦

فلا حجة في كلامهم، بل الشرع والعقل يرد مذهبهم ويبطله كما مر تقريره عن ابن القيم. وأما الأسباب العادية فإنها قد تجب، وقد تستحب، وقد تباح، وقد تكره، وليس الكلام، فيها والمستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله لا ينجيه مجرد اعتقاده أن ذلك بإذن الله، بل لا بد من إخلاص الدعاء والاستغاثة، ودعاء المستغيث من أجل العبادات، فيجب إخلاصه لله.

وقول الغلاة: ومن أقر بالكرامة وأنها بإذن الله لم يجد بدا من اعترافه بجواز ذلك.

---

١ سورة القصص: ٥٦.

٢ سورة آل عمران: ١٣٥.

٣ سورة الزمر: ١٩.

٤ سورة آل عمران: ١٢٨.

٥ حديث ضعيف. أخرجه أحمد (٤٣٥/٣) أو رقم (١٥٦٢٩- قرطبة) والحاكم (٢٥٥/٤) والطبراني في " الكبير" (١/رقم: ٨٣٩، ٨٤٠) والبيهقي في "شعب الإيمان" (٤٢٢٥/١٠٣/٤) والدينوري في "المجالسة" (٣٨٧/٢- ٥٦٢/٣٨٨) . وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي.

وانظر: "مجمع الزوائد" (١٩٩/١٠) و"ضعيف الجامع" (رقم: ٣٧٠٥) .." (١)

"فتأمل ما بين هذه النصوص وبين قول هذا الملحد من التضاد والتباين ثم الصادمة منه لما ذكره الله تعالى وذكره رسوله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: آية ١٢٨] وتأمل ما ذكر العلماء في سبب نزولها١ وأمثال هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغير؛ ومن ادعى ذلك فقد افترى على الله كذبا وأضل الناس بغير علم.

= الآية: {وأنذر عشيرتك الأقربين} دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعم وخص. فقال: "يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد الشمس أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري ٣٦٧/١

لكم من الله شيئا. غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها" هذا لفظ مسلم. وللحديث ألفاظ عندهما.

وأخرجه مسلم من حديث عائشة ولفظه: "يا فاطمة بنت محمد. يا صفية بنت عبد المطلب. يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم".

١قال السيوطي في الدر المنثور [٣١١/٢] . أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه والبيهقي في الدلائل عن أنس أن النبي – صلى الله عليه وسلم– كسرت رباعيه يوم أحد؛ وشيخ في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال:"كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ "

فأنزل الله: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} .

وفي سبب النزول هذه الآية أحاديث كثيرة في الصحاح والسنن والمسانيد.." (١)

"مسلم؛ فاللائق بمنصبه الشريف أن يطلب منه ما يستطيعه ويقدر عليه .كالدعاء وسائر الأسباب العادية ونحو ذلك ،. وأما ما لا يقدر عليه إلا الله .كهداية القلوب، والمغفرة للذنوب، والإنقاذ من النار، ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله الواحد القهار ،؛ فهذا إنما يليق بمقام الربوبية؛ قال . تعالى .: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} ، وقال: {ومن يغفر الذنوب إلا الله} ، وقال . تعالى .: {أفأنت تنقذ من في النار} ، وقال . تعالى .: {ليس لك من الأمر شيء} ، وقال رجل: أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «عرف الحق لأهله» .

وأما قول العراقي: «وقد ذكر المجوزون أن جعل النبي صلى الله عليه وسلم متسببا لا مانع من ذلك شرعا وعقلا» ؛ فهذه العبارة ركيكة التركيب! والمجوزون للاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله هم خصومنا؛ فلا حجة في كلامهم؛ بل الشرع والعقل يرد مذهبهم ويبطله .كما مر تقريره عن شمس الدين ابن القيم .، وأما الأسباب العادية؛ فإنها قد تستحب وقد تباح وقد تكره، وليس الكلام فيها.

والمستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله لا ينجيه مجرد اعتقاده أن ذلك بإذن الله؛ بل لا بد من إخلاص الدعاء والاستغاثة، ودعاء المستغيث من أجل العبادات؛ فجيب إخلاصه لله.

وقول العراقي: «ومن أقر بالكرامة وأنها بإذن الله؛ لم يجد بدا من اعترافه بجواز ذلك» ؛ يقال له: بل البد والسعة واليسر في القول بأنه: لا يستغاث بالمخلوق فيما يختص بالخالق، ولو كان المخلوق قد ثبت له

---

(١) الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية سليمان بن سحمان ص/١٦

من الكرامة ما ثبت؛ فالكرامة فعل الله لا من فعل غيره، والمستغاث هو الله لا غيره، ولم يكن الصحابة يستغيثون." (١)

"المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجا زائدا على ما ذكرناه؛ كاستدلالهم بقوله ـ تعالى ـ: {وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله} ؛ فإن هذه الآية الشريفة ليس [فيها] إلا أنه ـ تعالى ـ المنفرد بالأمر في يوم الدين، وأنه ليس لغيره من الأمر شيء، والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله ـ جل جلاله ـ في أمر يوم الدين، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد ـ سواء كان نبيا أو غير نبي ـ فهو في ضلال مبين. وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله: **{ليس لك من الأمر شيء}** ، {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا} ؛ فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الله شيء، وأنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا؛ فكيف يملك لغيره؟! وليس فيها منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء، وقد جعل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم المقام المحمود ـ مقام الشفاعة العظمى ـ، وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه، وقال له: «سل تعط، واشفع تشفع» ، وقيد ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه، ولا تكون إلا لمن ارتضى. ولعله يأتي تحقيق هذا المقام ـ إن شاء الله تعالى ..

وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وسلم، لما نزل قوله ـ تعالى ـ: {وأنذر عشيرتك الأقربين} : «يا فلان بن فلان؛ لا أملك لك من الله شيئا، يا فلانة بنت فلان؛ لا أملك لك من الله شيئا» ؛ فإن هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم لا يستطيع نفع من أراد الله ـ تعالى ..." (٢)

"اعتقدوا في الأوثان والشياطين!

وهذه الشبهة داحضة، تنادي على صاحبها بالجهل؛ فإن الله ـ سبحانه ـ لم يعذر من اعتقد في عيسى ـ عليه السلام ـ، وهو نبي من الأنبياء؛ بل خاطب النصارى بتلك الخطابات القرآنية؛ ومنها: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله} ، وقال لمن كان يعبد الملائكة: {ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة

---

(١) الكشف المبدي محمد بن حسين الفقيه ٢٩٦/١

(٢) الكشف المبدي محمد بن حسين الفقيه ٣٢١/١

أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم} ، ولا شك أن عيسى والملائكة أفضل من هؤلاء الأولياء والصالحين الذين صار هؤلاء القبوريون يعتقدونهم ويغلون في شأنهم، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أكرم الخلق على الله، وسيد ولد آدم؛ وقد نهى أمته أن يغلو فيه كما غلت النصارى في عيسى [ـ عليه السلام ـ] ، ولم يتمثلوا [أمره، ولم يمتثلوا] ما ذكره الله في كتابه العزيز من قوله: {ليس لك من الأمر شيء} ، ومن قوله: {وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله} ، وما حكاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، وما قاله صلى الله عليه وسلم لقرابته الذين أمره الله بإنذارهم بقوله: {وأنذر عشيرتك الأقربين} ؛ فقام داعيا لهم ومخاطبا لكل واحد منهم؛ قائلا: «يا فلان بن فلان؛ لا أغني عنك من الله شيئا. يا فلانة بنت فلان؛ لا أغني عنك شيئا. يا بني فلان؛ لا أغني عنكم من الله شيئا» .

فانظر ـ رحمك الله ـ ما وقع من كثير من هذه الأمة من الغلو المنهي عنه، المخالف لما في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كما يقول صاحب «البردة» ـ رحمه الله تعالى ـ ما." (١)

"باب: قول الله تعالى: {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون} ١.

وقوله: {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير} ٢.

وفي الصحيح٣ عن أنس رضي الله عنه قال: "شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته. فقال: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ "فنزلت: {ليس لك من الأمر شيء} ٤.

وفيه٥ عن ابن عمر – رضي الله عنهما –: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول – إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: "اللهم العن فلانا وفلانا".

بعدما يقول: "سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد"، فأنزل الله: {ليس لك من الأمر شيء} ٦ الآية.

---

١ سورة الأعراف آية: ١٩١-١٩٢.

٢ سورة فاطر آية: ١٣-١٤.

---

(١) الكشف المبدي محمد بن حسين الفقيه ٣٥١/١

٣ رواه البخاري معلقا: كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: (**ليس لك من الأمر شيء**) . (٤ / ١٤٩٣) . ورواه مسلم: كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد (٣ / ١٤١٧) حديث رقم (١٧٩١) . ولفظه: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله؟ فأنزل الله ...) الحديث.

٤ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٥ رواه البخاري: كتاب المغازي باب قوله تعالى: (**ليس لك من الأمر شيء**) (٤ / ١٤٩٣- ١٤٩٤) حديث رقم (٣٨٤٢) .

٦ سورة آل عمران آية: ١٢٨.." (١)

"وفي رواية ١: "يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت: {**ليس لك من الأمر شيء**} ٢.

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: {وأنذر عشيرتك الأقربين} ٣. فقال: "يا معشر قريش- أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب: لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد: سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا" ٤.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: {**ليس لك من الأمر شيء**} ٥.

السابعة: قوله: {أو يتوب عليهم أو يعذبهم } ٦ فتاب عليهم فآمنوا.

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط النفائس عبد الرحمن السعدي ص/٦٢

١ رواه البخاري: مع فتح الباري ٧ / ٣٦٥ حديث رقم (٤٠٧٠) كتاب المغازي باب قوله تعالى: {ليس لك من الأمر شيء} وهو مرسل؛ لأنه من رواية سالم بن عبد الله بن عمر وقد وصلها أحمد (٢ / ٩٣) . والترمذي: كتاب تفسير القرآن باب من سورة آل عمران (٥ / ٢١٢) حديث رقم (٣٠٠٤) . وقال: (هذا حديث حسن غريب) . اهـ.

٢ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٣ سورة الشعراء آية: ٢١٤.

٤ رواه البخاري: كتاب التفسير تفسير سورة الشعراء باب قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) (٤ / ١٧٨٧- ١٧٨٨) حديث رقم (٤٤٩٣) . ومسلم: كتاب الإيمان باب قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) (١ / ١٩٢- ١٩٣) حديث رقم (٢٠٦) .

٥ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٦ سورة آل عمران آية: ١٢٨.." (١)

"وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته. فقال: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم» ؟ فنزلت: {ليس لك من الأمر شيء}

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن فلانا وفلانا» . بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد» ، فأنزل الله: {ليس لك من الأمر شيء} الآية.." (٢)

"وفي رواية: «يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت: {ليس لك من الأمر شيء} » .

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: {وأنذر عشيرتك الأقربين} فقال: «يا معشر قريش- أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب: لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية." (٣)

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط النفائس عبد الرحمن السعدي ص/٦٣

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط الوزارة عبد الرحمن السعدي ص/٦٩

(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط الوزارة عبد الرحمن السعدي ص/٧٠

"عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا» .

فيه مسائل: الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: **{ليس لك من الأمر شيء}**

السابعة: قوله: {أو يتوب عليهم أو يعذبهم} فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.." (١)

". . . . .

فإن المسلم يقاتل في سبيل الله ويقتله الكافر، فيكرم الله المسلم بالشهادة، ثم يمن الله على ذلك الكافر والقاتل فيهديه للإسلام، فيدخلان الجنة جميعا، وهذا من تفريع جوده المتتابع على عباده من كل وجه، والضحك يكون من الأمور المعجبة التي تخرج عن نظائرها، وهذه الحالة المذكورة كذلك، فإن تسليط الكافر على قتل المسلم في بادئ الأمر أمر غير محبوب، ثم هذا المتجرئ على القتل يتبادر لأذهان كثير من الناس أنه يبقى على ضلاله ويعاقب في الدنيا والآخرة، ولكن رحمة الله وإحسانه فوق ذلك كله، وفوق ما يظن الظانون ويتوهم المتوهمون. وكذلك لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على أناس من رؤساء المشركين لعنادهم وأذيتهم بالطرد عن رحمة الله أنزل الله قوله: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم} [آل عمران: ١٢٨] الآية، فتاب عليهم بعد ذلك وحسن إسلام كثير منهم.

وهذا العجب الذي وصف الرسول به ربه من آثار رحمة الله، وهو من كماله تعالى، والله تعالى ليس كمثله شيء في جميع نعوته. فإذا تأخر الغيث عن العباد مع فقرهم وشدة حاجتهم استولى عليهم اليأس والقنوط،

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط الوزارة عبد الرحمن السعدي ص/٧١

وصار نظرهم قاصرا على الأسباب الظاهرة، وحسبوا أن لا يكون وراءها فرج من القريب المجيب، فيعجب الله منهم، وهذا محل عجب، كيف يقنطون ورحمته وسعت كل شيء، والأسباب لحصولها قد توفرت، فإن حاجة العباد وضرورتهم من الأسباب لرحمته والدعاء لحصول الغيث، والرجاء لله من الأسباب، ووقوع الغيث بعد امتناعه مدة طويلة وحصول الضرورة يعجب أن يكون الفضل لله وإحسانه موقع كبير وأثر عجيب، كما قال تعالى: {فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون - وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين} [الروم: ٤٨ - ٤٩] الآيات. والله تعالى قدر من." (١)

"وتعالى قد بين ما يجب اعتقاده في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنه هو تصديق خبرهم وامتثال أمرهم واجتناب نهيهم واتباعهم على شريعتهم ومحبتهم هم وأتباعهم وتوابع ذلك، وهذا هو الذي دعوا إليه؛ لم يدع أحد منهم الربوبية ولا دعوا إلى عبادة أنفسهم ولا ينبغي لهم ذلك، كما قال تعالى: {ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون} [آل عمران: ٧٩، ٨٠] وقال تعالى: {لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا} [النساء: ١٧٢] الآيات، وقال: {ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام} [المائدة: ٧٥] الآية، وقال تعالى: {إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل} [الزخرف: ٥٩] وقال تعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير} [المائدة: ١٧] وقال تعالى: {وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون، ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين} [الأنبياء: ٢٦-٢٩] وقال تعالى عن نوح عليه السلام: {قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك} [الأنعام: ٥٠] وقال لصفوة خلقه وخاتم رسله وسيد ولد آدم أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم: {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير}

(١) التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة عبد الرحمن السعدي ص/٦٠

[الأعراف: ١٨٨] وقال تعالى له: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] وقال تعالى: {قل إنما أدعو ربي." (١)

"وكسرت رباعيته (١) ، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ (٢) فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}** " (٣) .

= وذكر ابن هشام من حديث أبي سعيد أن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في وجهه، وأن عبد الله بن قميئة جرحه في وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وازدرده، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " لن تمسك النار".

(١) الرباعية بفتح الراء وتخفيف الباء كل سن بعد ثنية، وللإنسان أربع رباعيات، قال الحافظ: كسرت فذهب منها فلقة، ولم تقلع من أصلها، وذكر ابن هشام أيضا أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي صلى الله عليه وسلم السفلى، وجرح شفته السفلى، وجزم به غيره، وقال عليه السلام: " اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا " فما حال عليه الحول حتى مات كافرا إلى النار.

وروى الطبراني من حديث أبي أمامة قال: " رمى عبد الله بن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فشج وجهه، وكسر رباعيته، فقال: خذها وأنا ابن قميئة، فقال له: "مالك أقماك الله " فسلط عليه تيس الجبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة ". وفي الحديث إثبات وقوع الابتلاء والأسقام بالأنبياء لينالوا جزيل الثواب، ولتعرف الأمم من أصابهم، فيتأسوا بهم، وليتيقنوا أنهم مخلوقون مربوبون، فلا يفتتن بهم، ويغلى فيهم، فيعبدون من دون الله.

(٢) أي كيف يحصل لهم الظفر والفوز والسعادة، مع فعلهم هذا بنبيهم، زاد مسلم: "كسروا رباعيته، وأدموا وجهه ".

(٣) أي ليس لك من الحكم في عبادي شيء، وإنما أنت عبد مأمور بإنذارهم وجهادهم، وليس لك إلا ما أمرتك به فيهم، وليس ذلك بهوان بالنبي صلى الله عليه وسلم على الله، فإنه أكرم خلق الله عليه، وأفضلهم

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٢/٥٣٣

على الإطلاق، ولكن ليتبين نزول قدره صلى الله عليه وسلم عن مقام الربوبية، فإنما هو عبد الله ورسوله.." (١)

"وفيه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- (١) " أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا (٢) بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: **{ليس لك من الأمر شيء}** (٣) " ١.

---

(١) أي في صحيح البخاري، ورواه النسائي وغيره عن عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابي الجليل، الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاح، ففي الصحيح أنه قال لحفصة: " إن أخاك، أو إن عبد الله رجل صالح " ٢. وهو معروف بالورع، ليس في زمانه له نظير في ذلك، أسلم مع أبيه وهو صغير، وكان من أهل العلم، كثير الإتباع، شديد التحري والاحتياط، أجيز يوم الخندق، وأفتى ستين سنة، وبلغ ستا وثمانين.

(٢) هذا القنوت على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، كما بينه في الرواية الآتية، وذلك بعد ما شج رأسه، وكسرت رباعيته يوم أحد، وأصل اللعن الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السب، وتقدم.

(٣) أي يدعو عليهم بعد التسميع، فأخبره الله أنه ليس له من الأمر شيء إلا ما أمر به، ومعنى "سمع الله لمن حمده" استجاب دعاء الحامدين له وقبله، فاستجب يا ربنا، ولك الحمد على ذلك، والحمد ضد الذم، ويكون على محاسن المحمود مع المحبة له، وفرق بينه وبين المدح بأن الإخبار عن محاسن الغير إما أن يكون إخبارا مجردا عن حب وإرادة، وهو المدح، أو يكون مقرونا بحبه وإرادته فهو الحمد.

---

١ البخاري: المغازي (٤٠٧٠) ، والنسائي: التطبيق (١٠٧٨) ، وأحمد (٢/٩٣، ٢/١٤٧) .

٢ مسلم: فضائل الصحابة (٢٤٧٨، ٢٤٧٩) ، والترمذي: المناقب (٣٨٢٥) ، وابن ماجه: تعبير الرؤيا (٣٩١٩) ، وأحمد (٢/٥) .." (٢)

---

(١) حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص/١٢٠

(٢) حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص/١٢١

"وفي رواية: " يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام (١) ، فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}** (٢) " ١. وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه (٣) .

---

(١) إنما دعا عليهم لأنهم رؤوس المشركين يوم أحد، هم وأبو سفيان بن حرب، وأشد الناس عداوة له صلى الله عليه وسلم وهم السبب في غالب ما جرى عليه، ومع ذلك ما استجيب له صلى الله عليه وسلم فيهم.

(٢) (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) فتاب عليهم فأسلموا، وحسن إسلامهم، والمقصود أنه صلى الله عليه وسلم دعا في الصلاة، وهو أشرف الخلق، وخلفه الصحابة يؤمنون على دعائه، وهم صفوة الخلق بعد الرسل، ومع ذلك أنزل الله هذه الآية، فلا يبقى في قلب أحد شيء من التعلق بغير الله عز وجل، فإن في هذا كله أكبر دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم لا يملك ولا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه، فبطل ما يعتقده فيه المشركون أنه ينفع دعاؤه بعد موته صلى الله عليه وسلم أو دعاء أحد من سائر الأنبياء والصالحين بهذه البراهين. قال المصنف: ((وفيه القنوت في النوازل وتسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم، ولعن المعين في القنوت)) اهـ.

وفيه إثبات التسميع والتحميد للإمام، ومحل القنوت بعده، وآكديته في الفجر، وإن كان قد ورد في غيره فهذا الحديث أصح.

(٣) أي في صحيح البخاري، وله طرق كثيرة في الصحيحين والمسانيد والسنن وغيرها، عن أبي هريرة وغيره، واسم أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر، قال النووي: ((على الأصح من ثلاثين قولا، كني بهريرة كانت له في صغره، وهو أول من كني بهذا)) اهـ.

وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن، وهو ابن عامر بن عبد ذي الشرى بن طريف ابن عتاب الدوسي، من حفاظ الصحابة وفضلائهم وأكابرهم، لم يحفظ عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أحد منهم أكثر منه، مات سنة ٥٧ هـ، وله ٧٨.

---

١ البخاري: المغازي (٤٠٧٠) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٥) ، والنسائي: التطبيق (١٠٧٨) ، وأحمد (٩٣/٢، ١٠٤/٢، ١١٨/٢، ١٤٧/٢) .." (١)

---

(١) حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص/١٢٢

"قال المفسرون في هذه الآية وهي قوله {أيشركون ... } فيها توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئا وهو مخلوق، والمخلوق لا يكون شريكا للخالق في العبادة التي خلقهم لها، وبين أنهم لا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون، فكيف يشركون من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه، وهذا برهان ظاهر ودليل باهر على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله. وهذا وصف كل مخلوق حتى الملائكة والأنبياء والصالحين وأشرف الخلق محمد – صلى الله عليه وسلم – كان يستنصر ربه على المشركين ويقول: "اللهم أنت عضدي وأنت نصيري، بك أجول وبك أصول، وبك أقاتل" (١).

وفي الصحيح عن أنس قال: شج النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزل {**ليس لك من الأمر شيء**} الحديث رواه البخاري تعليقا ووصله مسلم والنسائي والترمذي والإمام أحمد بن حنبل، قال ابن اسحاق في المغازي: حدثنا حميد الطويل عن أنس قال: كسرت رباعية النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم أحد وشج وجهه، وجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله الآية.

وذكر ابن هشام في السيرة من حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي – صلى الله عليه وسلم –، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في وجهه، وأن عبد الله بن قميئة جرحه في وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بيد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورفعه طلحة ابن عبيد الله حتى استوى قائما، ومسح مالك بن سنان أبو سعيد الخدري

---

(١) رواه أبو داود (في الجهاد). والترمذي (في الدعوات). ورواه أحمد في مسنده– وإسناده صحيح– وحسنه الترمذي–." (١)

"باب قول الله تعالى { {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون} وتفسيرها

...

باب

---

(١) كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد عمر العرباوي ص/٩٣

قول الله تعالى:

{أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون * ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون} الآية. "٤٥"

وقوله: {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير} "٤٦" الآية.

وفي "الصحيح" عن أنس قال: شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم "؟ فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}** "٤٧" وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: "اللهم العن فلانا وفلانا" بعدما يقول:"سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد" فأنزل الله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** "٤٧" الآية وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت **{ليس لك من الأمر شيء}** وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: {وأنذر عشيرتك الأقربين} قال:"يا." (١)

"معشر قريش" . أو كلمة نحوها ." اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا".

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار. منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك **{ليس لك من الأمر شيء}** "٤٨" .

السابعة: قوله: {أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} ٤٩" فتاب عليهم فآمنوا.

---

(١) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد عبد الله الدويش ص/٩٣

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعنه المعين في القنوت.." (١)

"فيه مسائل:

الأولى "تفسير الآيتين" أي قوله تعالى: {أيشركون ما لا يخلق شيئا} ففيه الإنكار على من عبد أي معبود كان لأنه لا يخلق شيئا وقوله: {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير} فيها إبطال عبادة كل ما سوى الله لأنه لا يملك القطمير فكيف بما هو أعظم.

الثانية "قصة أحد" أي غزوة أحد التي شج فيها وكسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وقتل فيها من قتل من الصحابة ففيها أنهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا بل الأمر كله لله وحده.

الثالثة "قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون" أي إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة من صلاة الفجر دعا وأمن الصحابة خلفه.

الرابعة "أن المدعو عليهم كفار" أي في ذلك الوقت.

الخامسة "أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم" أي أنهم فعلوا هذه الخصال التي هي من أسباب الدعاء عليهم ولكن أمر الله غالب وهو المتصرف في عباده دون خلقه.

السادسة "أنزل الله عليه في ذلك: **{ليس لك من الأمر شيء}** " أي عواقب الأمور بيدي فامض أنت لشأنك ودم على عبادة ربك، قاله ابن عطية. كما أشار إليه في الشرح.

السابعة "قوله: {أو يتوب عليهم أو يعذبهم} فتاب عليهم فآمنوا" أي صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام وأمثالهم ومنهم من قتل شهيدا.." (٢)

"[الأعراف: ١٨٨] .

٧٠ - وقال تعالى: {قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله} [يونس:٤٩] .

٧١ - وقال جل وعلا: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا} [الجن: ٢١] .

---

(١) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد عبد الله الدويش ص/٩٤

(٢) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد عبد الله الدويش ص/٩٦

٧٢ - وقال سبحانه: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨] .
٧٣ - وقال عز وجل: {ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا} [المائدة:٤١] .
٧٤ - وقال سبحانه: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} [القصص: ٥٦] .
٧٥ - وقال جل شأنه: {أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار} [الزمر:١٩] .
٧٦ - وقال سبحانه: {وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا} [الإسراء ٩٠-٩٣] .
٧٧ - وقال جل وعلا: {قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم} [الأنعام: ٥٧-٥٨] .." (١)

"الخامسة: لعن من آوى محدثا وهو الرجل يحدث شيئا يجب فيه حق الله، فيلتجئ إلى من يجيرة من ذلك.

السادسة: لعن من غير منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك من الأرض، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم.

الثاني: سبه وشتمه، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم فسره بقوله: " يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه " ١.

الخامسة: لعن من آوى محدثا: وقد سبق أنه يشمل الإحداث في الدين والجرائم، فمن آوى محدثا ببدعة، فهو داخل في ذلك، ومن آوى محدثا بجريمة، فهو داخل في ذلك.

السادسة: لعن من غير منار الأرض.... وسواء كانت بينك وبين جارك، أو بينك وبين السوق مثلا، لأن الحديث عام.

---

(١) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية شمس الدين الأفغاني ٢/٩٤٥

السابعة: الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم: فالأول ممنوع، والثاني جائز، فإذا رأيت من آوى محدثا، فلا تقل: لعنك الله، بل قل: لعن الله من آوى محدثا على سبيل العموم، والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صار يلعن أناسا من المشركين من أهل الجاهلية بقوله: "اللهم! العن فلانا وفلانا وفلانا " نهي عن ذلك بقوله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم

---

١ سبق (ص ٢٢٢) .." (١)

"فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء**} ١ "٢.

قوله: " فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ "٣ الاستفهام يراد به الاستبعاد، أي: بعيد أن يفلح قوم شجوا نبيهم صلى الله عليه وسلم قوله: "يفلح" من الفلاح، وهو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب.

قوله: " فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء**} ٤ أي: نزلت هذه الآية، والخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم و (شيء) : نكرة في سياق النفي، فتعم.

قوله: (الأمر) أي: الشأن، والمراد: شأن الخلق، فشأن الخلق إلى خالقهم، حتى النبي صلى الله عليه وسلم ليس له فيهم شيء. ففي الآية خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقد شج وجهه، وكسرت رباعيته، ومع ذلك ما عذره الله- سبحانه- في كلمة واحدة: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ "٥ فإذا كان الأمر كذلك؟ فما بالك بمن سواه؟ فليس لهم من الأمر شيء" كالأصنام، والأوثان، والأولياء، والأنبياء، فالأمر كله لله وحده، كما أنه الخالق وحده، والحمد لله الذي لم يجعل أمرنا إلى أحد سواه، لأن المخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فكيف يملك لغيره؟ ! ونستفيد من هذا الحديث أنه يجب الحذر من إطلاق اللسان فيما إذا رأى الإنسان مبتلى بالمعاصي، فلا نستبعد رحمة الله منه، فإن الله تعالى قد يتوب عليه. فهؤلاء الذين شجوا نبيهم لما استبعد النبي صلى الله عليه وسلم فلاحهم، قيل له: **{ليس لك من الأمر شيء**} ٦.

---

١ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٢٢٦/١

٢ رواه: البخاري معلقا بصيغة الجزم (كتاب المغازي، باب **ليس لك من الأمر شيء** ، ١٠٨/٣) ، ومسلم موصولا (كتاب الجهاد، باب غزوة أحد، ١٤١٧/٣) .

٣ مسلم: الجهاد والسير (١٧٩١) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٢) ، وابن ماجه: الفتن (٤٠٢٧) ، وأحمد (٢٥٣/٣) .

٤ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٥ مسلم: الجهاد والسير (١٧٩١) ، والترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٢) ، وابن ماجه: الفتن (٤٠٢٧) ، وأحمد (٢٥٣/٣) .

٦ سورة آل عمران آية: ١٢٨.." [1]

"اللهم العن فلانا وفلانا، بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: **{ليس لك من الأمر شيء}** " ١.

وفي رواية: " يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}** " ٢.

قوله: "يقول: اللهم العن فلانا وفلانا ": اللعن: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، أي: أبعدهم عن رحمتك، واطردهم منها.

و"فلانا وفلانا": بينه في الرواية الثانية أنهم: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام.

قوله: "بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد": أي: يقول ذلك إذا رفع رأسه وقال: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد.

قوله: "فأنزل الله: **{ليس لك من الأمر شيء}** هنا قال: "فأنزل"، وفي الحديث السابق قال: "فنزلت"، وكلها بالفاء، وعلى هذا يكون سبب نزول الآية دعوة النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء، وقوله: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ " ولا مانع أن يكون لنزول الآية سببان.

وقد أسلم هؤلاء الثلاثة وحسن إسلامهم رضي الله عنهم، فتأمل الآن أن العداوة قد تنقلب ولاية؛ لأن القلوب بيد الله- سبحانه وتعالى-، ولو أن الأمر كان على ظن النبي صلى الله عليه وسلم لبقي هؤلاء على الكفر

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٢٩٠/١

حتى

---

١ رواه: البخاري (كتاب المغازي، باب ليس لك من الأمر شيء، ٣/١٠٨) .

٢ رواها: البخاري (كتاب المغازي، باب ليس لك من الأمر شيء، ٣/١٠٨) - وهي مرسلة عن سالم بن عبد الله، وقد وصلها أحمد؛ كما في "المسند" (٢/٩٣) -، والترمذي (رقم ٣٠٠٤) ، وابن جرير في "تفسيره" (٤/٥٨) ؛ من طريق عمر بن حمزة، عن سالم، عن ابن عمر. وعمر ضعيف؛ كما في "التقريب" (٢/٥٣) .." (١)

"الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها: شجهم نبيهم، وحرصهم على قتله، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: {ليس لك من الأمر شيء}

السابعة: قوله: {أو يتوب عليهم أو يعذبهم} ، فتاب عليهم فآمنوا.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار ... : أي: إنهم مع كفرهم كانوا معتدين، ومع ذلك قيل له في حقهم: {ليس لك من الأمر شيء} وإلا، فهم شجوا النبي صلى الله عليه وسلم ومثلوا بالقتلى مثل حمزة بن عبد المطلب، وكذلك أيضا حرصوا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم مع أن كل هؤلاء فيهم من بني عمهم، وفيهم من الأنصار.

السادسة: أنزل الله صلى الله عليه وسلم في ذلك: {ليس لك من الأمر شيء} ١ أي: مع ما تقدم من الأمور التي تقتضي أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم حق بأن يدعو عليهم أنزل الله: {ليس لك من الأمر شيء} ٢ فالأمر لله وحده، فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قطع عنه هذا الشيء، فغيره من باب أولى.

السابعة: قوله: {أو يتوب عليهم} ٣ فتاب عليهم، فآمنوا: وهذا دليل على كمال سلطان الله وقدرته، فهؤلاء الذين جرى منهم ما جرى تاب الله عليهم وآمنوا، لأن الأمر كله بيده سبحانه، وهو الذي يذل من يشاء ويعز من يشاء، ومن ذلك ما جرى من عمررضي الله عنهقبل إسلامه من العداوة الظاهرة للإسلام، وما جرى

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ١/٢٩٢

منه بعد إسلامه من الولاية والنصرة لدين الله تعالى، فرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن دونه لا يستطيعون أن يغيروا شيئا من أمر الله.

---

١ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٢ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٣ سورة آل عمران آية: ١٢٨.." (١)

"باب قول الله تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت}

...

باب قول الله تعال: {إنك لا تهدي من أحببت} ١ الآية.

مناسبة هذا الباب لما قبله

مناسبته أنه نوع من الباب الذي قبله، فإذا كان لا أحد يستطيع أن ينفع أحدا بالشفاعة والخلاص من العذاب، كذلك لا يستطيع أحد أن يهدي أحدا؛ فيقوم بما أمر الله به.

قوله تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت} الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يحب هداية عمه أبي طالب أو من هو أعم فأنت يا محمد المخاطب بكاف الخطاب، وله المنزلة الرفيعة عند الله لا تستطيع أن تهدي من أحببت هدايته، ومعلوم أنه إذا أحب هدايته؛ فسوف يحرص عليه، ومع ذلك لا يتمكن من هذا الأمر، لأن الأمر كله بيد الله، قال تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم} ٢، وقال تعالى: {ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر} ٣ ؛ فأتى ب "أل" الدالة على الاستغراق؛ لأن "أل" في قوله: "الأمر" للاستغراق؛ فهي نائبة مناب كل؛ أي: وإليه يرجع كل الأمر، ثم جاءت مؤكدة بكل، وذلك توكيدان.

والهداية التي نفاها الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم هداية التوفيق، والتي أثبتها له هداية الدلالة والإرشاد ولهذا أتت مطلقة لبيان أن الذي بيده هو هداية الدلالة فقط، لا أن يجعله مهتديا، قال تعالى: {وإنك لتهدي إلى صراط

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٢٩٩/١

١ سورة القصص آية: ٥٦.

٢ سورة آل عمران آية: ١٢٨.

٣ سورة هود آية: ١٢٣.." (١)

"التوسل بالأعمال الصالحة توسل مشروع

قال رحمه الله تعالى: [وكذلك السؤال بالشيء قد يراد به التسبب به لكونه سببا في حصول المطلوب، وقد يراد به الإقسام به.

ومن الأول: حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار، وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما، فإن الصخرة انطبقت عليهم فتوسلوا إلى الله بذكر أعمالهم الصالحة الخالصة، وكل واحد منهم يقول: فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه.

فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون.

فهؤلاء دعوا الله بصالح الأعمال؛ لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله ويتوجه به إليه ويسأله به؛ لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله.

فالحاصل أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر؛ فإن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفعه في الطلب، بمعنى أنه صار به شفعا فيه بعد أن كان وترا، فهو أيضا قد شفع المشفوع إليه وبشفاعته صار فاعلا للمطلوب، فقد شفع الطالب والمطلوب منه، والله تعالى وتر لا يشفعه أحد، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فالأمر كله إليه، فلا شريك له بوجه، فسيد الشفعاء يوم القيامة إذا سجد وحمد الله تعالى فقال له الله: (ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع) فيحد له حدا، فيدخلهم الجنة، فالأمر كله لله، كما قال تعالى: {قل إن الأمر كله لله} [آل عمران:١٥٤] ، وقال تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران:١٢٨] ، وقال تعالى: {ألا له الخلق والأمر} [الأعراف:٥٤] .

فإذا كان لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه لمن يشاء ولكن يكرم الشفيع بقبول شفاعته كما قال صلى الله عليه وسلم: (اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء) .

وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا بني عبد مناف! لا أملك لكم من الله من شيء، يا

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٣٤٨/١

صفية عمة رسول الله! لا أملك لك من الله من شيء، يا عباس عم رسول الله! لا أملك لك من الله من شيء) .

وفي الصحيح أيضا: (لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء أو شاة لها يعار أو رقاع تخفق فيقول: أغثني أغثني! فأقول: قد أبلغتك، لا أملك لك من الله من شيء) .

فإذا كان سيد الخلق وأفضل الشفعاء يقول لأخص الناس به: (لا أملك لكم من الله من شيء) فما الظن بغيره؟! وإذا دعاه الداعي وشفع عنده الشفيع فسمع الدعاء وقبل الشفاعة، لم يكن هذا هو المؤثر فيه كما يؤثر المخلوق في المخلوق؛ فإنه سبحانه وتعالى هو الذي جعل هذا يدعو ويشفع، وهو الخالق لأفعال العباد، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، وهذا مستقيم على أصول أهل السنة المؤمنين بالقدر، وأن الله خالق كل شيء] .

الكلام الأول يتعلق بقول الإنسان: أسألك بكذا، فإذا كان الذي سألت به عملا صالحا فهو وسيلة والله تعالى قد أمر بها، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة} [المائدة:٣٥] أي: اجعلوا بينكم وبينه وسيلة، والوسيلة ما يوصل إليه، وقد فسرت بأنها الأعمال الصالحة يتوصل بها العبد إلى ثواب ربه وإلى جزيل وعظيم أجره.

فإذا قلت مثلا: أسألك يا رب بحق أعمالي أو بحق إيماني أو بحق تصديقي، فستجعل ذلك وسيلة تقربك إلى رضا الله، فهذا جائز.

وإذا قلت مثلا: أسألك بإيماني بنبيك، أو: بمحبتي لك، أو: بمحبتي لعبادك الصالحين، فأنت تتوسل بأعمالك الصالحة، فهذا توسل بأعمال صالحة عملتها تكون سببا في فوزك وسعادتك.

أما إذا توسلت بمخلوق بأن قلت: أسألك بحق عبدك، أو: بحق رسولك، أو: بحق آبائي أو أجدادي أو أسلافي، فهذا توسل بمخلوق.

فالتوسل الذي أمر الله به في قوله: {وابتغوا إليه الوسيلة} [المائدة:٣٥] هو السؤال بالأعمال الصالحة.

ومن هذا قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار، فانحدرت صخرة فسدت باب الغار عليهم، فعرفوا أنه لا ينجيهم إلا التوسل بأعمالهم الصالحة ودعاء الله فتوسلوا.

توسل أحدهم بكونه برا بوالديه، وقال بعد ذلك: (اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك -يعني: مخلصا لك- فأفرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج) .

وتوسل الثاني بعفافه، بكونه تمكن من فعل الحرام ولكنه تركه خوفا من الله، وذهب ما دفعه من المال، وقال بعد ذلك: (إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك أو ابتغاء مرضاتك فأفرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة قليلا) .

وتوسل الثالث بأمانته، وبكونه مؤتمنا على مال غيره بحيث لم يأخذ من أجرة ذلك الأجير شيئا رغم أنه تصرف فيها، فدفعها إلى أهلها أو إلى صاحبها، وذلك دليل الأمانة، وقال: (إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون) .

ففي هذا أجاب الله دعاءهم لما توسلوا، فهل قالوا: نسألك بحق أوليائك؟! وهل قالوا: نسألك بحق عبدك فلان؟! وبينهم عباد صالحون ورسل وأنبياء كموسى وعيسى وأيوب وهارون، فما سألوا الله إلا بحق أعمالهم. فيجوز أن تسأل الله بإيمانك وبتصديقك وما أشبه ذلك، هذا هو التوسل المطلوب أو التوسل المشروع، وأما التوسل بحق مخلوق أو بجاه مخلوق –ولو كان نبيا أو وليا– فهو ممنوع، وهو من وسائل الشرك.." (١)

"الشفاعة كلها لله فلا تطلب من غيره

والحاصل أن الشفاعة ملك لله كما عرفنا، وإذا كانت ملكا لله فلا تطلب من مخلوق، فلا تطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره، فنبينا صلى الله عليه وسلم هو سيد الشفعاء، ومع ذلك لا يشفع أولا حتى يستأذن على ربه فيسجد ويطيل سجود، فيقال له: (ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع) . فيبدأ بحمد الله كما تقدم في حديث أنس، فيحمده بمحامد يفتحها الله تعالى عليه، فذلك لا شك أنه لأجل أن يمجد ربه، فيبدأ بتمجيد الله تعالى حتى يأذن له.

ومرت بنا الأدلة التي تدل على أن الملك ملك الله، وأنه عليه الصلاة والسلام –مع ما خصه الله به– ليس له ملك وليس له تصرف، ومن ذلك الاستدلال بقوله سبحانه وتعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران:١٢٨] نزلت لما أنه صلى الله عليه وسلم شج وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه فقال: (كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم؟!) فأنزل الله: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران:١٢٨] يعني: أن الأمر ليس لك، وإذا لم يكن له من الأمر شيء في الدنيا، فكذلك الأمر في الآخرة. وكذلك قوله تعالى في الآية الثانية ردا على المنافقين الذين يقولون: {لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ١٢/٢٥

هاهنا} [آل عمران:١٥٤] قال الله: {قل إن الأمر كله لله} [آل عمران:١٥٤] ، فالأمر كله لله، ليس لمحمد ولا لـ حسن ولا لـ عيدروس ولا لغيرهم من المخلوقين، الأمر كله لله، وإذا كان لله فليطلب ممن هو له.

كذلك أيضا الاستدلال بهذه الأحاديث في أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يغني عن أقاربه شيئا، يقول في هذا الحديث لـ عباس ولـ فاطمة ولـ صفية ولبني هاشم ولبني عبد مناف: أنقذوا أنفسكم من النار، لا أغني عنكم من الله شيئا، لا أملك لكم من الله من شيء، يقول لابنته: (يا فاطمة بنت محمد! أنقذي نفسك من النار، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا) .

إذا كان لا يغني عنهم من الله شيئا، وإذا كان لا يملك لعمه ولا لعمته ولا لأعمامه ولا لأعمام أبيه أو أبناء أعمامه ولا لابنته من الله شيئا، وأن الملك كله لله، فكيف يطلب وكيف يدعى؟! وإذا بطل هذا في حق النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالـ عباس؟! وكيف بـ علي؟! وكيف بـ ابن عباس؟! وكيف بفلان وفلان ممن هم دونهم ودونهم بمراتب؟! فإذا: الملك لله، وطلب الشفاعة من الله، وطلب الوسيلة وطلب الملك كله من الله، فإذا طلب العبد ربه عند ذلك أجاب الله تعالى دعوته.." (١)

"الله العزيز الحكيم * ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين * **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون * ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم} [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٩].

ثالثا: تفسير مفردات هذا الموضع من الآيات

بدر: هي اليوم مدينة على ساحل البحر الأحمر بين مكة والمدينة، وكانت قديما بئرا يستقى منها الماء.

اتقوا الله، أي: خافوه، واعملوا بطاعته بفعل أمره واجتناب نهيه.

منزلين، أي: منزلين من عند الله تعالى.

مسومين، أي: معلمين، أي: أعلموا أنفسهم وخيولهم بعلامات واضحات.

ليقطع طرفا: جزءا أو جانبا منهم، والقطع القتل أو الأسر.

يكبتهم، أي: يهزمهم، ويغلبهم، ويصرعهم.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ١٣/٢٥

رابعا: شرح الآيات التي عرفنا فيها ربنا بنفسه

هذه الآيات الكريمات عرفنا ربنا - تبارك وتعالى - فيها بنصره لرسوله - صلى الله عليه وسلم - ولأصحابه في غزوة بدر، وكيف أمدهم بالملائكة، وقد جعل الله تعالى إمدادهم بالملائكة بشرى للمؤمنين، ولتطمئن قلوبهم به، وإلا فإنه سبحانه قادر على نصر المؤمنين بكلمة واحدة منه، فهو على كل شيء قدير.." [1]

"[باب قول الله تعالى أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون. . .]

باب قول الله تعالى: {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون - ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون} [الأعراف: ١٩١ - ١٩٢] وقول الله تعالى: {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير - إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير} [فاطر: ١٣ - ١٤] [فاطر: ١٣ - ١٤] .

وفي الصحيح (١) عن أنس - رضي الله عنه - قال: «شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم " فنزلت {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨] » [آل عمران: ١٢٨] ، وفيه عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه «سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: " اللهم العن فلانا وفلانا " بعدما يقول: " سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد " فأنزل الله {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨] » (٢) .

وفي رواية " يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو،

Q. . . . .

---

(١) علقه البخاري، ووصله أحمد في "المسند" ٣ / ٩٩ و ١٧٨ و ٢٠٦ والترمذي (٢٠٠٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٠٩) و (٤٠٧٠) و (٤٥٥٩) و (٧٣٤٦) .." [2]

---

(١) الله يحدث عباده عن نفسه سليمان الأشقر، عمر ص/٦٦

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/١٩١

"والحارث بن هشام، فنزلت {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨] (١) "، وفيه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٤] فقال: " يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، ويا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا» (٢) .

فيه مسائل: الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء، يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار؛ منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله. ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨]

ـــــــQ. . . . .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٠) معلقا، ووصله الترمذي (٣٠٠٧) وأحمد ٢ / ٩٣ وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٥٣) و (٣٥٢٧) و (٤٧٧١) .." [1]

". . . . .

ـــــــQإلهيته هو: ما ركز في الفطر من أنه - جل وعلا - واحد في ربوبيته، وقد أقر بهذا، وسلم به المشركون، بل كل أحد على الإقرار بهذا، والاعتراف به؛ فهي البرهان على أن المستحق للعبادة هو: من توحد في الربوبية، فهذا الباب، والباب الذي بعده أيضا: برهان لاستحقاق الله العبادة وحده دون ما سواه بدليل فطري، ودليل واقعي، ودليل عقلي.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/١٩٢

ومن المعلوم أن الأدلة العقلية عندنا - أهل السنة والجماعة - تؤخذ من الكتاب والسنة؛ لأن في الكتاب والسنة من الأدلة العقلية ما يغني عن تكلف أدلة عقلية أخرى كما هو ظاهر لمن تأمل نصوص الوحيين.

فهذا الباب فيه بيان أن الذي يخلق هو الله وحده، والذي يرزق هو الله وحده، والذي يملك هو الله وحده، وأن غير الله - جل وعلا - ليس له نصيب من الخلق، وليس له نصيب من الرزق، وليس له نصيب من الإحياء، وليس له نصيب من الإماتة، وليس له نصيب من الأمر، وليس له ملك حقيقي في أمر من الأمور حتى أعلى الخلق مقاما، وهو النبي - عليه الصلاة والسلام - قال له الله جل وعلا: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨] [آل عمران: ١٢٨] يعني: لست مالكا لشيء من الأمر، وليس من الأمر شيء تملكه، فـ (اللام) هنا لام الملك. فمن الذي يملك إذا؟ ! الذي يملك هو: الله جل وعلا. فإذا كان النبي - عليه الصلاة والسلام - ينفى عنه ذلك الأمر فإنه منفي عمن هو دونه من باب أولى.

والمتوجهون إلى أصحاب القبور أو إلى الصالحين والأولياء والأنبياء يعتقدون بأن هؤلاء المتوجه إليهم يملكون شيئا من الرزق، أو التوسط أو." (١)

". . . . .

ـــــQوقوله: {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير - إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم} [فاطر: ١٣ - ١٤] [فاطر: ١٣ - ١٤] الآيات، وموطن الشاهد من هذه الآيات قوله: {ما يملكون من قطمير} [فاطر: ١٣] فحتى هذا القطمير وهو غلاف النواة أو الحبل الواصل من أعلى النواة إلى ظاهر الثمرة لا يملكونه.

فغيره مما هو أعلى منه من باب أولى وأولى، وإذا كانوا لا يملكون هذا الشيء الحقير، وهو مما لا يحتاجه الناس، ولا يطلبونه، فكيف إذا يطلبون منهم أشياء لا يملكونها وقوله - جل وعلا - هنا: {والذين تدعون من دونه} [فاطر: ١٣] (الذين) هذا اسم موصول، يعم كل من دعي من دون الله من الملائكة، أو الأنبياء والرسل، أو الصالحين من الأموات أو الطالحين، أو الجن أو الأصنام، أو الأشجار، أو الأحجار، فكل من دعي وما دعي فإنه لا يملك ولو قطميرا، فإذا كانوا لا يملكون هذا الشيء مع حقارته، فلم يسألون؟ ! فالواجب أن يتوجه بالسؤال لمن يملك ذلك.

ثم ذكر الشيخ - رحمه الله - بعد ذلك عدة أحاديث في هذا الباب، وهذه الأحاديث مدارها على بيان

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/١٩٤

قول الله – جل وعلا: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] ووجه الاستدلال من هذه الأحاديث، وإيراد هذه الآية هنا: أن النفي توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم.." (١)

". . . . .

ـــــQفقوله: {ليس لك} [آل عمران: ١٢٨] أي: يا محمد {من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨] واللام في قوله: (لك) هي لام الاستحقاق، أو لام الملك، يعني: لا تستحق شيئا، أو لا تملك شيئا، يعني: لا تستحقه بذاتك، وإنما بما أمر الله – جل وعلا – وبما أذن به، فتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته فرع عن محبة الله، وتعظيمه جل وعلا، فليس له صلى الله عليه وسلم وراء ذلك شيء إلا ما أذن به؛ كما قال تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] ولو كان له عليه الصلاة والسلام من الأمر شيء لنصر نفسه وأصحابه يوم أحد، ولكن حصل في يوم أحد ما حصل، فأنزل الله قوله: **{ليس لك من الأمر شيء}** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨]

وكذلك الحديث الآخر: لما لعن النبي صلى الله عليه وسلم في قنوت الفجر فلانا وفلانا من الناس الذين آذوا المؤمنين أنزل الله قوله: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] (١) يعني: لست تملك شيئا من الأمر. وهكذا الحديث الذي بعده.

وهذه الأحاديث تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك شيئا من ملكوت الله. وهو عليه الصلاة والسلام قد بلغ ذلك وبينه، فمن هم دونه عليه الصلاة والسلام منفي عنه هذا الأمر من باب أولى، فالملائكة، والأنبياء والصالحون من أتباع الرسل وأتباعه عليه الصلاة والسلام: أولى بأن ينفى عنهم ذلك، فإذا كان

---

(١) تقدم.." (٢)

". . . . .

ـــــQبهم. ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو أفضل الخلق، وسيد ولد آدم قد نفى الله عنه أن يملك الهداية – وهي نوع من أنواع المنافع – دل ذلك على أنه عليه الصلاة والسلام، ليس له من الأمر

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/٢٠٢

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/٢٠٣

شيء، كما جاء فيما سبق في باب قول الله تعالى: {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون} [الأعراف: ١٩١] [الأنعام: ١٩١] في سبب نزول قول الله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] [آل عمران: ١٢٨] ، فإذا كان النبي – عليه الصلاة والسلام – ليس له من الأمر شيء، ولا يستطيع أن ينفع قرابته، كما جاء في قوله: " يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا " (١) أقول: إذا كان هذا في حق المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يغني من الله – جل وعلا – عن أحبابه شيئا، وعن أقاربه شيئ، ولا يملك شيئا من الأمر، وليست بيده هداية التوفيق، فإنه أن ينتفي ذلك، وما دونه، عن غير النبي صلى الله عليه وسلم من باب أولى.

فبطل – إذا – كل تعلق للمشركين – من هذه الأمة – بغير الله جل وعلا؛ لأن كل من تعلقوا به هو دون النبي عليه الصلاة والسلام بالإجماع، فإذا كانت هذه حال النبي عليه الصلاة والسلام، وقد نفى الله عنه ملك هذه الأمور، فإن نفي ذلك عن غيره من باب أولى.

قال هنا: " باب قول الله تعالى {إنك لا تهدي من أحببت} [القصص: ٥٦] (لا) هنا نافية، وقوله " تهدي " الهداية المنفية هنا: هي هداية التوفيق، والإلهام الخاص، والإعانة الخاصة، وهي التي يسميها العلماء: هداية التوفيق

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠) ومسلم (٢٠٨) .." (١)

"مسائل على الباب

– المسألة الأولى) زعم بعض المبتدعة أن دعاء الأولياء الأموات جائز؛ لأنه من باب سؤال العبد ما يقدر عليه؛ وأن الله تعالى أكرمهم بذلك – وأهل السنة يثبتون الكرامات –!!

والجواب هو من أوجه:

١) أن دعاء الأموات على كل حال هو من أعمال المشركين، قال تعالى عنهم: {والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون، أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون} (النحل:٢١).

٢) أن أصل شرك المشركين هو التعلق بالصالحين وجعلهم وسائط بين الناس وبين الله تعالى، وأن أصنام قوم نوح (ود – سواع – يغوث – يعوق – نسر) هم رجال صالحون.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/٢٢٨

كما في صحيح البخاري عن ابن عباس موقوفا – يخبر عنها –، فقال: (أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت). (1) (٢)

٣) دعوى أن الله تعالى أقدرهم على إجابة الدعاء كذب على الشريعة، وحمق في العقل. فالله تعالى لم يجعل قضاء الحاجات لهم، بل أخبر أنهم أموات لا يسمعون، وأنهم لو سمعوا ما استجابوا. كما في قوله تعالى {ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين} (الأحقاف:٦). (٣)

٤) الاحتجاج بأن أهل السنة يثبتون الكرامات لا دلالة له هنا، لأن ما يزعمونه هو تكذيب للشريعة، وليس إثباتا للكرامة، وفي الحديث عن ابن مسعود مرفوعا (إن الله لا ينال فضله بمعصية). (٤) (٥)

---

(١) البخاري (٤٩٢٠).

(٢) قال الإمام العز بن عبد السلام في رسالة (الواسطة) (ص٥):

(ومن أثبت الأنبياء وسواهم من مشايخ العلم والدين وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته؛ بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله تعالى حوائج خلقه؛

وأن الله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم؛ بمعنى أن الخلق يسألونهم؛ وهم يسألون الله؛ كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملك حوائج الناس لقربهم منهم؛ والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك؛

ولأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطلب!

فمن أثبتهم وسائط على هذه الوجوه؛ فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب؛ فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا الخالق بالمخلوق، وجعلوا لله أندادا). مستفاد من كتاب (التوسل) (ص١٣٣) للشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) وهو حمق في العقل؛ أرأيت لو أن مغسلا – يغسل ميتا – فذهب يستأذنه في أن يغسله بماء بارد أو حار؛ ألا يكون عند جميع الناس أحمقا؟! فكيف إذا طلب منه أن يقضي حاجته؛ وهو في هذه الحال ميت بين يدي مغسل!!

(٤) صحيح. الحاكم (٢١٣٦). صحيح الترغيب والترهيب (١٧٠٠).

(5) فالله تعالى يقول: {ومن أضل} وهم يقولون: (ومن أفضل)!

والله تعالى يقول: {أموات غير أحياء} (النحل:٢١) وهم يقولون: (أحياء غير أموات)!

والله تعالى يقول: {لله الشفاعة جميعا} (الزمر:٤٤) وهم يقولون: (يملكون شفاعة)!

والله تعالى يقول عن دعائهم: {وكانوا بعبادتهم كافرين} (الأحقاف:٦) وهم يقولون: (الدعاء ليس بعبادة)!

والله تعالى يقول: {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم} (الأنفال:٩) وهم يقولون: (مدد يا رسول الله)!

والله تعالى يقول: **{ليس لك من الأمر شيء}** (آل عمران:١٢٨) وهم يقولون: (إن لم تكن في معادي آخذا بيدي فضلا وإلا فقل يا زلة القدم)!

والله تعالى يقول عن نبيه: {ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير} (الأعراف:١٨٨) وهم يقولون: (ومن علومك علم اللوح والقلم)!

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لابن عباس رضي الله عنه: (إذا استعنت فاستعن بالله) وهم يقولون: (بالولي؛ وهو توسل مستحب)!

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لابنته عليها السلام: (لا أغني عنك من الله شيئا) وهم يقولون: (فإن من جودك الدنيا وضرتها - يعني الآخرة -)!

قلت: وختاما أقول كما قال تعالى: {والله يقول الحق وهو يهدي السبيل} (الأحزاب:٤)، ولكن كما قال تعالى أيضا: {ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور} (النور:٤٠).." (١)

"باب قول الله تعالى {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون، ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون} (الأعراف:١٩٢).

وقوله {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير} (فاطر:١٣).

وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه؛ قال: شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكسرت رباعيته، فقال: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟)، فنزلت **{ليس لك من الأمر شيء}** (آل عمران:١٢٨). (١)

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ١٠٠/١

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الآخرة من الفجر - يقول: (اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا - بعدما يقول سمع الله لمن حمده؛ ربنا ولك الحمد -). فأنزل الله **{ليس لك من الأمر شيء}** (آل عمران:١٢٨). (٢)

وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}** (آل عمران: ١٢٨). (٣)

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين أنزل عليه {وأنذر عشيرتك الأقربين} (الشعراء:٢١٤) -، فقال: (يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم؛ لا أغني عنكم من الله شيئا. يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا. يا عباس بن عبد المطلب؛ لا أغني عنك من الله شيئا. يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا. يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي؛ لا أغني عنك من الله شيئا). (٤)

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين، وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها شجهم نبيهم، وحرصهم على قتله، ومنها التمثيل بالقتلى - مع أنهم بنو عمهم -.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك **{ليس لك من الأمر شيء}**.

السابعة: قوله {أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعن المعين في القنوت.

الحادية عشرة: قصته صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه {وأنذر عشيرتك الأقربين}.

الثانية عشرة: جده صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر؛ بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب (لا أغني عنك من الله شيئا) حتى قال: (يا فاطمة بنت محمد! لا أغني عنك من الله شيئا) فإذا صرح - وهو سيد المرسلين - بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان بأنه لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم، تبين له ترك التوحيد وغربة الدين.

---

(١) علقه البخاري (٥ /٩٩)، وهو في مسلم (١٧٩١).

(٢) البخاري (٤٥٥٩).

(٣) البخاري (٤٠٧٠).

(٤) رواه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦).." [1]

"- قوله (شج): الشجة: الجرح في الرأس خاصة.

- قوله (وكسرت رباعيته): الرباعية ما بين الثنية والناب.

- قوله (شج النبي): إذا كان هذا أفضل الخلق وأقرب الناس منزلة إلى الله تعالى وأفضل الأنبياء؛ لم يستطع أن يدفع عن نفسه الضر ولا عن أصحابه - وهم خير القرون - فصار في الحديث الدلالة على أنه - ومن هو دونه من سادة الأولياء من باب أولى - لا يستحقون أن يعبدوا، ويتعلق بهم في كشف الضر. (١)

- قوله تعالى **{ليس لك من الأمر شيء}**: نكرة في سياق النفي فتعم كل شيء، فصار فيها الدلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك النفع - ومن هو دونه من سادة الأولياء من باب أولى - فبطل بذلك التعلق به صلى الله عليه وسلم في جلب النفع، وهو مصداق قوله تعالى {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون} (الأعراف:١٨٨).

وأيضا في قوله صلى الله عليه وسلم (سليني ما شئت من مالي؛ لا أغني عنك من الله شيئا) أنه لا يملك النفع لغيره، وهي رضي الله عنها من أقرب الناس إليه، فكيف بغيرها؟

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ١/ ١١٠

- قوله (اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا)؛ فأنزل الله تعالى {ليس لك من الأمر شيء} (٢): فيه دلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك الضر لأحد، حيث نهي عن الدعاء عليهم وعن لعنهم، فصار من باب أولى أن غيره لا يملك الضر، فبطل بذلك التعلق به - ومن هو دونه من سادة الأولياء من باب أولى - في الضر والنفع. (٣)

---

(١) قال النووي رحمه الله في شرح مسلم (١٤٨/ ١٢): (وفي هذا وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لينالوا بذلك جزيل الأجر والثواب، ولتعرف الأمم ما أصابهم ويأتسوا بهم. وقال القاضي رحمه الله: (وليعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على البشر)).

(٢) قال ابن جرير الطبري رحمه الله في التفسير (١٩٥/ ٧): (وذكر أن الله عز وجل إنما أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لما أصابه بأحد ما أصابه من المشركين، قال -كالآيس لهم من الهدى أو من الإنابة إلى الحق -: (كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم!!)).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه (فتح الباري) (٣٦٦/ ٧): (والثلاثة الذين سماهم قد أسلموا يوم الفتح، ولعل هذا هو السر في نزول قوله تعالى {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم}).

قلت: ففيه فائدة من جهة أنك إذا رأيت إنسانا غارقا بالمعاصي؛ فلا تستبعد رحمة الله له، فإن الله تعالى قد يتوب عليه، لذلك فإن من منهج أهل السنة والجماعة أن لا يشهدوا لأحد بجنة ولا بنار إلا من شهد له النص، كما في العقيدة الطحاوية: (ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا).." (١)

"- المسألة الثالثة) ما صحة زعم بعضهم في أن ما جاء في الحديث من كونه صلى الله عليه وسلم لا يملك لأهله وللناس شيئا؛ أنه لا يعني عدم نفعه لهم في الآخرة، لأن من نفي عنهم النفع هم الذين لم يؤمنوا به أصلا، فالمقصود بالحديث هو (لا أغني عنكم من الله شيئا إذا لم تؤمنوا، أما إذا آمنتم فإني أغني عنكم)!

الجواب: هذا الزعم ليس بصحيح، فهنا نفي مطلق؛ ولا يختص بالكفار فقط - كما يزعمه أرباب التعلق بالصالحين -؛ بل أيضا أهل الإيمان، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا يغني عنهم شيئا، وبيان ذلك من

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ١١٢/١

أوجه:

أ) أن هذا نفي مطلق؛ فيشمل الجميع، ولا دليل هنا على التخصيص.

ب) أنه مؤيد بعموميات الشريعة، كما قال تعالى: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} (آل عمران:١٢٨).

وقال تعالى أيضا: {ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم} (آل عمران:١٢٩).

وقال تعالى أيضا: {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون} (الأعراف:١٨٨).

ج) أن قوله صلى الله عليه وسلم (لا أغني عنك من الله شيئا) يدل على ذلك صراحة؛ فإن فاطمة رضي الله عنها مؤمنة (١)؛ ومع ذلك خوطبت بهذا الخطاب.

د) أن الله تعالى قد أخبر أن يوم القيامة لا يملك أحد لأحد شيئا، قال تعالى: {يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله} (الانفطار:١٩)، وتأمل كون النفس في الآية جاءت نكرة في الموضعين! الأمر الذي يدل على أنه أيا كان الشافع؛ وأيا كان المشفوع فيه؛ فلا يملك أحد لأحد شيئا إلا بإذن الله تعالى.

هـ) أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين في بعض أحاديثه الشريفة أنه لا يغني عن أمته نفسها شيئا إذا جاءوه بالمعاصي - وليس بالكفر فقط -، كما في الحديث (إن أوليائي يوم القيامة المتقون - وإن كان نسب أقرب من نسب - فلا يأتيني الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم، فتقولون: يا محمد، فأقول: هكذا وهكذا؛ لا) وأعرض في كلا عطفيه). (٢)

وأما الشفاعة فهي ليست ملكا للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكنها ملك لله تعالى، لذلك فإن الله تعالى هو الذي يأذن لمن شاء وفيمن شاء أن يشفع فيه، كما قال تعالى: {وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى} (النجم:٢٦). وسيأتي قريبا - إن شاء الله تعالى - في باب الشفاعة.

---

(١) وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنها بأنها (سيدة نساء المؤمنين). رواه البخاري (٦٢٨٥)، ومسلم

(٢٤٥٠) عن فاطمة عليها السلام.

(٢) حسن. الأدب المفرد (٨٩٧) عن أبي هريرة. الصحيحة (٧٦٥).." [1]

"١١) (ولن يضيق – رسول الله – جاهك بي ... إذا الكريم تحلى باسم منتقم)

التعليق: في هذا البيت غلو فيه عليه الصلاة والسلام، وأيضا تنقص لربوبية الله تعالى، والرد عليه هو من جوانب عدة:

أ) أن الله تعالى قال للنبي عليه الصلاة والسلام: {**ليس لك من الأمر شيء**} فبطل بذلك التعلق به صلى الله عليه وسلم في جلب النفع ودفع الضر، وهو أيضا مصداق قوله تعالى {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون} (الأعراف:١٨٨).

وأيضا في قوله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضي الله عنها (سليني ما شئت من مالي؛ لا أغني عنك من الله شيئا) (١) بيان أنه لا يملك النفع لغيره – وهي رضي الله عنها من أقرب الناس إليه – فكيف بغيرها؟

ب) أن الله تعالى قد أخبر أن يوم القيامة لا يملك أحد لأحد شيئا، قال تعالى: {يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله} (الانفطار:١٩)، وتأمل كون النفس في الآية نكرة في الموضعين؛ الأمر الذي يدل على أنه أيا كان الشافع؛ وأيا كان المشفوع؛ فلا يملك له شيئا إلا بإذن الله تعالى.

ج) زعم الناظم أن جاه النبي صلى الله عليه وسلم ينفع (إذا الكريم تحلى باسم منتقم) مردود، وذلك أن الله تعالى إذا تحلى – كما زعم الناظم – باسم منتقم؛ فإنه تعالى لا يقوم لغضبه شيء؛ إلا ما أذن به من عمل صالح مقبول (٢)؛ أو شفاعة مقبولة مأذون فيها (٣)، وأما على سبيل هذا الإطلاق وبمعنى المقابلة؛ فليس بصحيح، قال تعالى: {أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار} (الزمر:١٩).

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦).

(٢) كما في الحديث (صدقة السر تطفئ غضب الرب). صحيح. البيهقي في الشعب (٣١٦٨) عن أبي سعيد الخدري مرفوعا. الصحيحة (١٩٠٨).

---

[1] التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ١١٦/١

(٣) كما في قوله تعالى {يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا} (طه:١٠٩).." (١)

"- الشبهة الخامسة) إن الكفار لم تنفعهم الشفاعة - كما في الآية الكريمة {أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون} (يس:٢٣) - لكونهم يرجونها من الأصنام، وهل هي إلا حجارة صماء عمياء!

فكيف يقاس سيد الأنام بهذه الأصنام؛ فيقال: إنه لا يملك لأمته ضرا ولا نفعا!

أليس هذا إنكارا للشفاعة؛ لأن الشفاعة فيها إثبات النفع من النبي صلى الله عليه وسلم!

فظهر بذلك بطلان حشرهم الأنبياء والصالحين مع زمرة الأصنام في عدم جواز الاستشفاع بهم!!

والجواب من أوجه:

١) أن هذا الإيراد فيه حق وفيه باطل، لأن الآية عامة في كل ما دعي من دون الله تعالى، فإن الأصنام - وهي حجارة بلا ريب - لم تعبد على اعتبار أنها حجارة صماء؛ بل على اعتبار أنها ترمز إلى أصحابها من الأولياء والصالحين حيث جعلها المشركون شفعاء عند الله تعالى (١)؛ فلم يعتقدوا أصلا فيهم الخلق أو الضر أو النفع، قال تعالى: {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون} (العنكبوت:٦١).

وتأمل التعبير بـ (من) الدالة على أن المدعو من دون الله عاقل وليس بجماد أصم في قوله تعالى: {ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون} (الأحقاف:٥).

٢) أن شرك المشركين أصلا هو في دعاء الصالحين والاستغاثة والاستشفاع بهم عند ربهم، قال تعالى: {ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون} (يونس:١٨).

٣) أن إثبات الشفاعة لا يعني إثبات النفع من النبي صلى الله عليه وسلم للناس - من جهة أمر الجنة والنار طبعا؛ وما لا يقدر عليه إلا الله -، وإنما هو سبب جعله الله لرحمة من رضي عنه، وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم لابنته (يا فاطمة بنت رسول الله: سليني بما شئت؛ لا أغني عنك من الله شيئا) متفق عليه. (٢)

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٥٦٠/١

وتأمل قوله تعالى {وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى} (النجم:٢٦)، وكقوله تعالى أيضا **{ليس لك من الأمر شيء}** (آل عمران:١٢٨).

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى {فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين} (الأنعام:٧٦) (٢٩٢/ ٣): (والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظرا لقومه؛ مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية التي هي على صور الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم – الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه –؛ وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر وغير ذلك مما يحتاجون إليه).

(٢) ومثل قوله تعالى أيضا **{ليس لك من الأمر شيء}** (آل عمران:١٢٨).." (١)

"– الشبهة السادسة) إن الله تعالى بشر نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه لن يخزيه في أمته؛ فقال له: {ولسوف يعطيك ربك فترضى} (الضحى:٥)، فهل يرضى النبي صلى الله عليه وسلم بعذاب أمته؟! أو أن يكون أحد منهم قد أخطأ السبيل فاستغاث به – على فرض خطئه – أن يكون في النار؟! فشفاعته صلى الله عليه وسلم إذا نائلة جميع أمته بغض النظر عن أخطائهم.

والجواب هو من أوجه:

١) أن الذي بشره بـ {ولسوف يعطيك ربك فترضى} هو الذي أخبر عنه بأنه **{ليس لك من الأمر شيء}** (آل عمران:١٢٨)، فلا تعارض بينهما، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يرضى ما لا يرضى الله تعالى عنه.

فنقول: هل يرضى النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعى مع الله؟ أليس هو الذي قال لابن عمه معلما إياه كلمات جامعات نافعات: (إذا سألت فاسأل الله). (١)

٢) أن من بدل في دينه وغير وحرف، واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير من أمته صلى الله عليه وسلم؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرضى عنه بل يباعده عن نفسه، كما في حديث الورود على الحوض الشريف ((ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم)؛ قال: (إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا؛ لمن بدل بعدي)). (٢)

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٥٧٠/١

(١) صحيح. أحمد (٢٨٠٣)، والترمذي (٢٠١٦). صحيح الترمذي (٢٠١٦).

(٢) البخاري (٦٥٨٤)، ومسلم (٢٦) من حديث أبي سعيد مرفوعا.." (١)

"داود حيا لوجب أن يتبع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يجوز له أن يعلم الناس شيئا من الدين لم يعلمه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وقد جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمع رجلا يدعو قائلا: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله (رواه أحمد (٥/٣٤٩ ـ ٣٥٠) وأبو داود (١٤٩٩٣) وغيرهما عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه) الذي لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

فقال: ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (قد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سأل به أعطى، وإذا دعي به أجاب) فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبر أن اسم الله الأعظم في هذا الدعاء، وأن الله ـ تبارك وتعالى ـ إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، ولم يقل ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إن هذا الاسم من دعا به أتاه الخضر في التو والحال، وقال: سل تعطه! ! هكذا على الإطلاق: اسأل ما بدا لك. . ما أشبه هذا الكلام بالقصص الخرافي الذي يزعم بأن سليمان نبي الله ـ عليه السلام ـ كان له خاتم إذا حركه أتاه عفريت من الجان! ! . ثم لو فرضنا صحة الحكاية، أليس لنا أن نسأل: لما خص داود ـ عليه السلام ـ إبراهيم بن أدهم باسم الله الأعظم، ولم يخص به أحدا قبله من الصحابة والتابعين؟ .

ثم لماذا يقول الخضر لإبراهيم بن أدهم ـ كما جاء في الحكاية ـ: لقد تعلمت اسم الله الأعظم، فلا تدع به على أحد بينك وبينه شحناء، فتهلكه هلاك الدنيا والآخرة، هكذا وإبراهيم بن أدهم ليس معصوما، فربما تخاصم مع رجل مسلم، فإذا دعا باسم الله الأعظم على هذا الرجل هلك هلاك الدنيا والآخرة، وحرم جنة الله، وباء بالنار، لأنه خاصم إبراهيم بن أدهم فقط، وهذا ليس للرسول، لأن الرسول دعا على أناس فقال له الله: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] . (انظر حديث البخاري في شأن نزول هذه الآية) . هذا مع أن الحال في الخصومة بين النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين أعدائه إنما هو من أجل." (٢)

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ١/٥٧١

(٢) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٤٨

"فليس مخلوقا من نور كما زعموا بل من يقول هذا يجعل الرسول جزءا من الله وهذا كفر كما قال الله للمشركين {وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين} [الزخرف: ١٥] .

فمن قال إن الرسول خلق من نور الله فهو كافر، ومن قال أيضا خلق من نور عرش الله فهو كافر متقول على الله ما لم يقل، متقول على رسول الله ما لم يقله. وأما الحديث الموضوع المكذوب على رسول الله والذي فيه أن جابرا سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أول خلق الله؟ فقال: نور نبيك يا جابر، فهو حديث موضوع باتفاق أئمة الحديث جميعا على وضعه وأنه كذب محض مخالف لما صح عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - من حديث ابن عمر أن أول شيء خلقه الله سبحانه وتعالى هو القلم فقال له اكتب. قال وما أكتب؟ قال اكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. (متفق عليه) ، وأما قوله الأولياء قد خلقوا من نور الختم! ! يعني محمد عثمان الميرغني فهذا ليس كذبا فقط ولكنه كذب وصفاقة وسخافة تضحك العقلاء، فما النور الذي كان مع محمد عثمان حتى يخلق الله منه جميع الأولياء! ! ومتى كان الأولياء قد خلقوا من نور، والملائكة هم الذين خلقهم الله من النور! ! وأما الأولياء والأنبياء فبشر كالبشر فضلهم الله بعبادته وطاعته والإيمان به. وأما الإدعاء بأن الرسول قد أمر رضوان أن يبني لمحمد عثمان وأتباعه وذريته وأهل بيته. . الخ، هذه السخافات فشيء لم يدعيه الرسول لنفسه فضلا عن أن يجعلها لرجل كان أهم ما امتاز به هو أن مهد الطريق للاستعمار الإنجليزي في السودان، واستطاع أن يأكل أموال الناس بالباطل بما لا مثيل له فقد استحوذ على أموال البسطاء والمساكين والفقراء. . وأن يتزوج مئات النساء وينجب عشرات الأطفال! ! وأما أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يأمر مالكا خازن النار أن يعمر مساكن لأعداء محمد عثمان إلى يوم القيامة. . هكذا. . فالنبي لا يأمر ملائكة الله من عند نفسه بل قال له سبحانه: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] ! ! فلا يتصرف في الكون كما يزعمون، بل الرسول عبد كامل العبودية لربه سبحانه وتعالى يتصرف بأمر مولاه وهو أجل وأعظم - صلى الله عليه وسلم - أن يأتي لرجل في المنام ويعطيه الجنة كما يشاء له ولذريته وأتباعه، ويعطي." (١)

"تعالى يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، قال: ويدل لما قلناه ما ورد في بعض الكتب الإلهية يقول الله عز وجل (يا بني آدم أطيعوني أطعكم، واختاروني أختركم، وارضوا عني أرض عنكم وأحبوني أحبكم وراقبوني أراقبكم وأجعلكم تقولون لشيء كن فيكون، يا بني آدم من حصلت له حصل له كل شيء ومن فته فاته كل

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٢٦٢

شيء) " ا. هـ. (طبقات الشعراني ص١٤٢) .

ولا يخفى ما في هذا النص من الباطل لأن العبد مهما بلغ من منازل القرب مع الله يبقى عبدا محكوما بسنن الله الكونية مفتقرا إلى الله عز وجل كما كان أحوال الرسل وأولياء الله الصادقين فلم تكن الأرض كالخلخال برجل أحدهم بل كانوا يجوعون، ويمرضون، ويتألمون، ويهزمون أحيانا، ويسبون ويشتمون، وقد يتوب لله على من يؤذيهم فيكونون مسلمين، كما فعل الله سبحانه بمن قتلوا أفضل أوليائه في أحد وقال رسول الله فيهم (كيف يفلح قوم شجو وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله عز وجل. .) فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] . (رواه البخاري) .

وأما ما نقله الشعراني هنا عن الرفاعي، وما زعمه أن هذا مكتوب في بعض الكتب الإلهية فما هذه الكتب الإلهية؟ . . ولماذا نهتدي بغير هدي القرآن والسنة وقد نهينا عن ذلك، وهل أنزل الله في هذه الكتب الإلهية المزعومة: وأجعلكم تقولون للشيء كن فيكون. . وماذا بقي لله إذن إذا أصبح كل من أطاع الله إلها صغيرا يتصرف في الكون كما يتصرف الله. . ماذا بقي لله من دون صفاته. . لقد سلبوا منه كل صفاته وجعلوها لأنفسهم ولم يرضوا أن يكونوا عبيدا له سبحانه وتعالى كما أمرهم.

ومما يدلك على أن المتصوفة يريدون فعلا الوصول إلى هذا، أعني سلب صفات الله عنه وإلباسها لأنفسهم حتى يكونوا عند الناس آلهة من دون الله، ما نقل هنا الشعراني أيضا عن الرفاعي والله يعلم هل هذا النقل صحيح أم لا؟ : " إذا أراد الله عز وجل أن يرقي العبد إلى مقامات الرجال يكلفه بأمر نفسه." (١)

"مطمطم رباني، وكنز مطلسم سبحاني، أفيض له مددنا بواسطه (كذا والصواب: بوساطة) ، جده سر الوجود وبارقة النظم الأول في كيانتي النسقين الطموس والشهود (محمد) . صلى الله عليه وسلم . هذا سيد عشاق رسول الله، وسيد محابيب الله اليوم في ملك الله عليه سلام الله ورضوان الله. وهناك غبت عني، وأخذت مني، وذبت معنى، وترقرقت مهنى، وانطمست بوجودي وظهرت بمجدي " انتهى منه بلفظه (برقة البلبل من المجموعة النادرة ص٧٧ . ٧٩) .

ولا يكتفي الصيادي بهذا الكذب الأبلج على الله سبحانه وتعالى فإن الله لم يخاطب أحدا بمثل هذا الخطاب المزعوم، فخطاب الله لصفوة أوليائه وهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يكن فيه عشر

---

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٣٧١

معشار هذا المدح بل كان عامته تأديبا وعتابا؛ كمثل قوله لنوح: {يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين} [هود: ٤٦] . وذلك لمجرد قول نوح: {رب إن ابني من أهلي} [هود: ٤٦] . وكذلك قوله لإبراهيم: {لا ينال عهدي الظالمين} [البقرة: ١٢٤] . عندما طلب إبراهيم أن يكون من ذريته أئمة. . وقوله لمحمد . صلى الله عليه وسلم .: {إنك لا تهدي من أحببت} [القصص: ٥٦] . وقوله سبحانه وتعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] . وقوله: {عفا الله عنك لم أذنت لهم} [التوبة: ٤٣] . وقوله: {عبس وتولى} [عبس: ١] . وقوله: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه} [الأحزاب: ٣٧] . هذا بعض من خطاب الله في قرآنه لرسله فانظر كيف يزعم هذا الصيادي أن الله كتب في صحيفة له " هذا أبو البراهين، هذا سيف الرسالة المسلول على أهل الضلالة. . هذا الإمام الأوحد الرباني. . باني مباني الطريقة المرضية الرفاعية. . هذا شمس الإفاضة المصطفوية للذرات كلها. . ". . الخ، هذا الكفر والضلال وهذا الكذب الصريح. . ومثل هذا لو كان يسمى باللغة تجوزا مدحا فإن أسقط الساقطين ينزه أن يمدح غيره بمثل هذا الكلام فلو أن شاعرا متملقا كاذبا قام يمدح رجلا بمثل هذه الأوصاف لاستحق السقوط واللعنة، ولرمي بالتزلف والجهالة والمبالغة الممقوتة، ورفع الإنسان الحقير عن مكانته. فكيف يسوغ أن ينسب مثل هذا." (١)

"ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون} .
وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فبديهي أنه لا يملك ذلك لغيره وصرح بهذا المعنى في آيات أخر قال الله آمرا نبيه صلى الله عليه وسلم: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا}
.

{قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم} .

{ليس لك من الأمر شيء} .

وقال صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه {وأنذر عشيرتك الأقربين} : "يا معشر قريش –أو كلمة نحوها– اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا".

يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا،

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٣٨٢

يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا".

فإذا كان أكمل الخلق صلى الله عليه وسلم كذلك، فغيره أبعد عن ذلك وأبعد، فهذه البيانات الواضحة والتصريحات القوية التي تصدر عن أصدق القائلين الهدف الأصيل منها أن يقطع المؤمن الصادق كل أمل وكل رجاء من غير الله ويتجه بدعائه ورجائه ورغباته وكل مطالبه إلى الله وحده مباشرة.

ولذا قال عقب هذه الآية التي تلوناها عليكم من سورة يونس: {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده} .

وقال في سورة الأنعام مستعملا الأسلوب نفسه: {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير} .

٢_ وقال تعالى ضاربا مثلا لحال من يدعو غير الله: {قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته." (١)

"ب. اشرح الآيتين شرحا إجماليا.

ج. استخرج أربع فوائد من الآيتين مع ذكر المأخذ.

د. وضح مناسبة الآية لباب أيشركون ما لا يخلق شيئا ... الآية.

هـ. وضح مناسبة الآية للتوحيد.

وفي الصحيح١ عن أنس قال: " شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ " فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} ٢".

شرح الكلمات:

شج: الشجة: هي الجرح في الرأس والوجه خاصة.

أحد: هو جبل في المدينة معروف بهذا الاسم الآن، وقعت الغزوة المشهورة عنده في السنة الثالثة من الهجرة، فنسبت إليه.

كسرت رباعيته: هي كل سن بعد ثنية.

كيف يفلح: كيف يفوز.

---

(١) أضواء إسلامية على بعض الأفكار الخاطئة ربيع بن هادي المدخلي ص/٤٢

ليس لك من الأمر شيئ: ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم.

أو يتوب عليهم أو يعذبهم: إن أسلموا أو يعذبهم إن ماتوا على كفرهم.

فإنهم ظالمون: مشركون.

---

١ رواه البخاري معلقا (٧/ ٢٨١(في المغازي، غزوة أحد، باب قوله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** ، قال البخاري: قال حميد وثابت بن أنس وذكر الحديث. أما حديث حميد فوصله أحمد (٣/ ٢٠٦) . والترمذي والنسائي من طرق عن حميد. وأما حديث ثابت فوصله مسلم (١٧٩١) في الجهاد والسير، باب غزوة أحد من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس –رضي الله عنه–.

٢ سورة آل عمران آية: ١٢٨." (١)

"الشرح الإجمالي:

يخبرنا أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم جرح في رأسه جرحا سال منه الدم في غزوة أحد، وكسرت إحدى أسنانه، فاستبعد إسلام هؤلاء المشركين لما رآه من بغيهم وعدوانهم، فأنزل الله هذه الآية: **{ليس لك من الأمر شيء}** ١ تبين له الخط الذي ينبغي أن يسلكه، وأن التوبة على هؤلاء المشركين أو عذابهم موكول أمره إلى الله –سبحانه– دون من سواه.

الفوائد:

١. أن الأنبياء تجري عليهم الأمراض والأسقام مما يثبت بشريتهم.

٢. أن الأنبياء لا يقدرون على شيء إلا ما أقدرهم الله عليه، فكيف بحال من دونهم؟

٣. لا يعلم خواتيم الأعمال إلا الله.

٤. أن التوبة تمحو ما قبلها.

٥. أن الظلم سبب للعذاب.

مناسبة الآية للباب:

حيث دلت الآية على أن الأنبياء أصلح الناس لا يملكون نفعا ولا ضرا، فكيف بمن دونهم؟

مناسبة الآية للتوحيد:

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد محمد بن عبد العزيز القرعاوي ص/١٣٩

حيث دلت الآية على أن جلب النفع ودفع الضر من الأفعال الخاصة بالله، فيكون طلبها من غير الله شركا به.

---

١ سورة آل عمران آية: ١٢٨.." (١)

"المناقشة:

أ. اشرح الكلمات الآتية: شج، أحد، كسرت رباعيته، كيف يفلح، ليس لك من الأمر شيء، أو يتوب عليهم أو يعذبهم، فإنهم ظالمون.

ب. اشرح الآية شرحا إجماليا.

ج. استخرج أربع فوائد من الآية مع ذكر المأخذ.

د. وضح مناسبة الآية لباب أيشركون ما لا يخلق شيئا.... الآية.

هـ. وضح مناسبة الآية للتوحيد.

وفيه١ عن ابن عمر٢ -رضي الله عنهما-، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم -إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر- يقول: " اللهم العن فلانا وفلانا بعدما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: {ليس لك من الأمر شيء } "٣. وفي رواية: " (يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام) فنزلت: {ليس لك من الأمر شيء } " (" ٤.

---

١ أي في البخاري.

٢ هو عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- كان من أشد الناس اتباعا لسنة رسول الله -صلى الله عليہ وسلم-، وهو آخر صحابي توفي بمكة سنة (٧٣) هـ رضي الله عنه.

٣ رواه البخاري (الفتح ٧/ ٤٠٦٩) في المغازي، باب قوله تعالى: {ليس لك من الأمر شيء } .

٤ رواه البخاري (٧/ ٤٠٧٠) في المغازي، باب قوله تعالى: {ليس لك من الأمر شيء } . وهو مرسل؛ لأنه من رواية سالم بن عبد الله بن عمر، وقد وصلها أحمد والترمذي.." (٢)

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد محمد بن عبد العزيز القرعاوي ص/١٤٠

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد محمد بن عبد العزيز القرعاوي ص/١٤١

"شرح الكلمات:

اللعن: من الله الطرد والإبعاد من رحمته، ومن الناس السب والدعاء.

سمع الله: استجاب لمن دعاه وتقبل.

لمن حمده: الحمد هو ضد الذم، وحقيقة الحمد: الثناء على المحمود مع المحبة له والإجلال.

ليس لك من الأمر شيء: ليس لك شيء من التصرف في عبادي.

الشرح الإجمالي:

يخبرنا عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر، وبعد قوله: سمع الله لمن حمده يلعن بعض رؤساء المشركين، وربما سماهم بأسمائهم، فأنزل الله عليه آية تمنعه من ذلك، وذلك لما سبق في علم الله من أنهم سيسلمون وسيحسن إسلامهم.

الفوائد:

١. أن الإمام يجمع بين التسميع والتحميد.

٢. مشروعية القنوت في صلاة الفجر للحاجة.

٣. إثبات أن القرآن منزل غير مخلوق.

٤. بيان أن الأنبياء لا يملكون نفعا ولا ضرا ولا يعلمون الغيب.

مناسبة الآية للباب:

حيث دلت الآية على أن الأنبياء وهم أصلح الناس لا يملكون نفعا ولا ضرا فكيف بمن دونهم.." [١]

"مناسبة الآية للتوحيد:

حيث دلت الآية على أن جلب النفع ودفع الضر من الأفعال الخاصة بالله، فيكون طلبها من غير الله شركا به.

ملاحظة:

ثبت أن الثلاثة المذكورين في الحديث وهم: صفوان بن أمية، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو قد أسلموا.

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد محمد بن عبد العزيز القرعاوي ص/١٤٢

المناقشة:

أ. اشرح الكلمات الآتية: اللعن، سمع الله، لمن حمده، **ليس لك من الأمر شيء**.

ب. اشرح الآية شرحا إجماليا.

ج. استخرج خمس فوائد من الآية مع ذكر المأخذ.

د. وضح مناسبة الآية لباب أيشركون ما لا يخلق شيئا.... الآية.

هـ. وضح مناسبة الآية للتوحيد.

وفيه١ عن أبي هريرة٢ (رضي الله عنه) قال: " قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه {وأنذر عشيرتك الأقربين} فقال: يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا،

١ أي في صحيح البخاري.

٢ هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي من فضلاء الصحابة وحفاظهم، توفي –رضي الله عنه– سنة (٥٧) هـ.." (١)

"حسنة من حسناته صلى الله عليه وسلم.

أو أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتد على نفسه بالتقصير، ويعتبر ذنبا يستثقله ويستغفر منه، كما كان إذا خرج من الخلاء قال: «غفرانك» (١) .

ومعلوم أنه ليس من موجب للاستغفار، إلا ما قيل شعوره بترك الذكر في تلك الحالة، استوجب منه ذلك.

وقد استحسن العلماء قول الجنيد: حسنات الأبرار سيئات المقربين، أو أن المراد مثل ما جاء في القرآن من بعض اجتهاداته صلى الله عليه وسلم، وفي سبيل الدعوة، فيرد اجتهاده فيعظم عليه كقصة ابن أم مكتوم، وعوتب فيه {عبس وتولى أن جاءه الأعمى} ، ونظيرها ولو كان بعد نزول هذه السورة، إلا أنه من باب واحد كقوله: {عفا الله عنك لم أذنت لهم} ، وقصة أسارى بدر، وقوله: **{ليس لك من الأمر شيء}** ، واجتهاده في إيمان عمه، حتى قيل له: {إنك لا تهدى من أحببت} ، ونحو ذلك. فتحمل الآية عليه، أو أن للوزر بمعناه اللغوي، وهو ما كان يثقله من أعباء الدعوة، وتبليغ الرسالة، كما ذكر ابن كثير في سورة الإسراء عن الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد محمد بن عبد العزيز القرعاوي ص/١٤٣

كان ليلة أسري بي فأصبحت بمكة فظعت، وعرفت أن الناس مكذبي، فقعدت معتزلا حزينا، فمر بي أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، وقص عليه الإسراء» (٢) .

ففيه التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم فظع، والفظاعة: ثقل وحزن، والحزن: ثقل.

---

(١) - أخرجه أبو داود (١/١٥٥) (٣٠) ، والترمذي (١/١٢) (٧) ، وابن ماجه (١/١١٠) (٣٠٠) ، وأحمد (٦/١٥٥) ، والدارمي (١/١٨٣) (٦٨٠) من حديث عائشة - رضي الله عنها -، والحديث صححه الشيخ الألباني - رحمه الله -.

(٢) - أخرجه أحمد (١/٣٠٩) ، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.." (١)

"وأما من حيث معناها فهي ألفاظ مجملة قد يراد بها معنى صحيح وقد يراد بها معنى باطل، وقد سئل شيخ الإسلام - رحمه الله - عن لفظ القطب الغوث فأجاب بقوله: "وأما سؤال السائل عن القطب الغوث الفرد الجامع؛ فهذا قد يقوله طوائف من الناس ويفسرونه بأمور باطلة في دين الإسلام، مثل تفسير بعضهم أن الغوث هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم، حتى يقول إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته، فهذا من جنس قول النصارى في المسيح - عليه السلام -، والغالية في علي - رضي الله عنه -، وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه فإن تاب وإلا قتل..وأما إن قصد القائل بقوله القطب الغوث الفرد الجامع، أنه رجل يكون أفضل أهل زمانه، فهذا ممكن، لكن من الممكن أيضا أن يكون في الزمان اثنان متساويان في الفضل، وثلاثة، وأربعة، ولا يجزم بأن لا يكون في كل زمان أفضل الناس إلا واحدا، وقد تكون جماعة بعضهم أفضل من بعض من وجه دون وجه، وتلك الوجوه إما متقاربة وإما متساوية، ثم إذا كان في الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان، فتسميته بالقطب الغوث الجامع، بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، ولا تكلم بهذا أحد من سلف الأمة وأئمتها"١.

ومن المحاذير في لفظ القطب أنهم يدخلون في هذه الأسماء ما هو من خصائص الربوبية مثل كونه يعطي الولاية من يشاء، ويصرفها عن من يشاء، والله يقول لسيد ولد آدم: {إنك لا تهدي من أحببت} [القصص - ٥٦] وقال: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران - ١٢٨] ٢.

---

(١) الجموع البهية للعقيدة السلفية أبو المنذر المنياوي ٢/٤٧٥

وبعضهم يطلق لفظ القطب على كل من دار عليه أمر من أمور الدين، أو الدنيا باطنا أو ظاهرا، فهو قطب ذلك الأمر ومداره، سواء كان الدائر عليه أمر داره أو دربه أو قريته أو مدينته أمر دينها أو دنياها، باطنا أو ظاهرا ولا اختصاص لهذا المعنى بسبعة، ولا أقل، ولا أكثر، لكن الممدوح من ذلك من كان مدارا لصلاح الدنيا والدين، دون مجرد صلاح الدنيا، فقد يتفق في بعض الأعصار أن يكون شخص أفضل أهل عصره، وقد يتفق في عصر

---

١ - مجموع الفتاوى ٩٦/٢٧ - ١٠٢، وانظر: منهاج السنة ٩٥/١.

٢ - انظر: بغية المرتاد ص٣٩٣ - ٣٩٤.." (١)

"٢- القول الثاني: وهو الصحيح أن الكافر أيضا لا يلعن بعينه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما لعن أقواما نزل قول الله في حقهم {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران:١٢٨] ؛ ولأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يلعن؛ ولأن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة، يعني من جرى اللعن على ألسنتهم.

وكذلك يدل عليه أيضا -يعني على امتناع لعن الكافر المعين- أن السنة لم تأت به، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلعن كافرا بعينه إلا هؤلاء ونزل فيهم قول الله {ليس لك من الأمر شيء} ، لهذا قال طائفة من العلماء: إن لعن الكافر المعين منسوخ بهذه الآية.

ويلحق ببحث لعن الكافر لعن الشيطان أو لعن إبليس، وهذا أيضا اختلف فيه أهل العلم على قولين:

١- القول الأول: منهم من أجاز لعنه بعينه لقول الله {إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا (١١٧) لعنه الله} [النساء:١١٧-١١٨] ، وما جاء في الآيات في لعن إبليس وطرده عن رحمة الله .

٢- القول الثاني: أنه لا يلعن إبليس ولا الشيطان لما صح في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن الشيطان أو عن لعن إبليس وقال «لا تلعنوه فإنه يتعاظم» (١) رواه تمام في فوائده وغيره بإسناد جيد، قالوا: فهذا يدل على النهي عن اللعن، وهذا متجه في أن اللعن عموما في القاعدة الشرعية أن المسلم لا يلعن؛ لأن اللعن منهي عنه المؤمن بعامة، ومن أعظم ما يكون أثرا للعن أن اللعان لا يكون شفيعا ولا

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية آمال بنت عبد العزيز العمرو ص/٤٤٧

شهيدا يوم القيامة.

والمسألة فيها أيضا مزيد بحث فيما جرى من لعن يزيد، ولعن بعض المعينين؛ ولكن الإمام أحمد لما سئل عن حال يزيد قال: أليس هو الذي فعل بأهل المدينة يوم الحرة ما فعل، أليس هو كذا؟

فقال له: لم لا تلعنه؟

فقال: وهل رأيت أباك يلعن أحدا.

وهذا يدل على أن ترك اللعن من صفات الأتقياء، وأن اللعن من صفات من دونهم إذا كان في حق من يجوز لعنه عند بعض العلماء، أما لعن من لا يستحق اللعن فهذا يعود على صاحبه؛ يعني من لعن من لا يستحق اللعن عادت اللعنة؛ يعني الدعاء بالطرد والإبعاد من رحمة الله على اللاعن والعياذ بالله.

---

(١) المسند (٢٣١٤١) / شعب الإيمان (٥١٨٤)." (١)

"١٩٧٢ - أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة، قال: حدثنا حرملة بن يحيى، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب، وأبو سلمة، أنهما سمعا أبا هريرة، يقول: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر -[٣٠٧]- ويرفع رأسه: ﴿سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، يقول وهو قائم: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم كسني يوسف، اللهم العن لحيان، ورعلا، وذكوان، وعصية عصت الله ورسوله» ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] [٥: ١٠]

(Z (1969

L

صحيح - «صحيح أبي داود» (١٢٩٦): ق.

S

إسناده صحيح على شرط مسلم، حرملة بن يحيى: من رجال مسلم، ومن فوقه من رجال الشيخين.." (٢)

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٢١٤

(٢) شرح نظم عقيدة السفاريني عبد الكريم الخضير ٣٠٦/٥

"١٩٨٧ - أخبرنا ابن قتيبة، قال: حدثنا ابن أبي السري، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال في صلاة الفجر، حين رفع رأسه من الركوع: ﷺ «ربنا ولك الحمد» في الركعة الآخرة، ثم قال: «اللهم العن فلانا وفلانا» دعا على أناس من المنافقين، فأنزل الله: {ليس لك من الأمر -[٣٢٦]- شيء، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] [٥: ١٦]

(Z (1984

L________

صحيح - «صحيح سنن النسائي» (١٠٣٣).

S

ابن أبي السري وهو محمد بن المتوكل -وإن كان صاحب أوهام- وقد توبع عليه، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين.." (١)

"١٩٨٨ - أخبرنا أحمد بن يحيى بن زهير الحافظ، بتستر قال: حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي، قال: حدثنا خالد بن الحارث، عن ابن عجلان، عن نافع، -[٣٢٧]- عن ابن عمر: «أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان ﷺيدعو على أقوام في قنوته»، فأنزل الله: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] [٥: ١٦]

Z (١٩٨٥)

قال أبو حاتم رضي الله عنه: «هذا الخبر قد يوهم من لم يمعن النظر في متون الأخبار، ولا يفقه في صحيح الآثار، أن القنوت في الصلوات منسوخ، وليس كذلك؛ لأن خبر ابن عمر الذي ذكرناه، أن المصطفى صلى الله عليه وسلم، كان يلعن فلانا وفلانا فأنزل الله {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨] فيه البيان الواضح لمن وفقه الله للسداد، وهداه لسلوك الصواب، أن اللعن على الكفار والمنافقين في الصلاة غير منسوخ، ولا الدعاء للمسلمين، والدليل على صحة هذا قوله صلى الله عليه وسلم في خبر أبي هريرة: أما تراهم وقد قدموا؟ تبين لك هذه اللفظة أنهم لولا أنهم قدموا ونجاهم الله من أيدي الكفار -[٣٢٨]- لأثبت القنوت صلى الله عليه وسلم، وداوم عليه، على أن في قول الله جل وعلا: {ليس لك من الأمر شيء أو

(١) شرح نظم عقيدة السفاريني عبد الكريم الخضير ٣٢٥/٥

يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] ليس فيه البيان بأن اللعن على الكفار أيضا منسوخ، وإنما هذه آية فيها الإعلام بأن القنوت على الكفار ليس مما يغنيهم عما قضى عليهم أو يعذبهم يريد: بالإسلام يتوب عليهم، أو بدوامهم على الشرك يعذبهم، لا أن القنوت منسوخ بالآية التي ذكرناها»

L_______________

حسن صحيح - خ (٤٠٦٩ و ٤٠٧٠).

S

إسناده قوي على شرط مسلم.." (١)

"٥٧٤٧ - أخبرنا ابن قتيبة، قال: حدثنا ابن أبي السري، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم §قال في صلاة الفجر حين رفع رأسه من الركوع: «ربنا ولك الحمد» في الركعة الآخرة، ثم قال: «اللهم العن فلانا، وفلانا»، ودعا على أناس من المنافقين، فأنزل الله جل وعلا: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨]

(Z (5717

L_______________

صحيح: خ (٤٥٥٩).

S

حديث صحيح." (٢)

"٦٥٧٤ - أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي، حدثنا سريج بن يونس، حدثنا هشيم، ويزيد بن هارون، قالا: حدثنا حميد، عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم §كسرت رباعيته يوم أحد، وشج وجهه حتى سال الدم على وجهه، فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم إلى ربهم»، فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨]

(Z (6540

---

(١) شرح نظم عقيدة السفاريني عبد الكريم الخضير ٣٢٦/٥

(٢) شرح نظم عقيدة السفاريني عبد الكريم الخضير ٥٧/١٣

L________________

صحيح – «تخريج فقه السيرة» (٤٧): ق.." (١)

"٦٥٧٥ – أخبرنا الحسن بن سفيان، قال: حدثنا هدبة بن خالد، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوم أحد يسلت الدم عن وجه، وهو يقول: ﷺ «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله»، فأنزل الله: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨]

(Z (6541

L________________

صحيح – وهو مكرر ما قبله.." (٢)

"**{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] .

التعاليم الأساسية:

استفتح القرآن –في سورة "اقرأ"– باسم الإله الذي {خلق الإنسان} فهو الإله {الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم} [العلق: ٣–٥] .

ثم توالت آيات الله، وعلى هديها قام الرسول يدعو إلى ربه على بصيرة، وفي مواجهته قام المشركون من قريش والذين كفروا به من اليهود، يحاربونه ومن تبعه بكل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

وفي محاوراتهم معه قال المشركون: "انسب لنا ربك" وجاءه أناس من اليهود يقولون: "صف لنا ربك، فإن الله أنزل نعته في التوراة".

فأنزل الله –تعالى– سورة "الإخلاص" وهي نسبة خاصة لله؛ تقول: {قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد} .

ولقد علم الرسول أصحابه أنها "تعدل ثلث القرآن".

كان طبيعيا –إذن– أن تكون سورة "الإخلاص" من أوائل السور التي نزلت في صدر القرآن، إذ هي تضع الأساس الذي يقوم عليه الإسلام، فما اتفق معها يتفق والعقيدة الإسلامية، وما اختلفت معها استحال

---

(١) شرح نظم عقيدة السفاريني عبد الكريم الخضير ٥٣٦/١٤

(٢) شرح نظم عقيدة السفاريني عبد الكريم الخضير ٥٣٧/١٤

التوفيق بينه وبين أساسيات الإسلام، مهما اجتمع لذلك من فلاسفة العصر وقادة الفكر وشيوخ الأديان. وكان منطقيا أن يكون أساس العقيدة واضحا كل الوضوح بسيطا كل البساطة، يفهمه كل ذي عقل سواء من أوتي حظا من علم أو كان من الجهلة والأميين. فمن غير المعقول أن يكون أساس الدين –الذي يتوقف عليه المصير." (١)

"الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم} (١). وقوله تعالى: {وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم} (٢).

«وفي هاتين الآيتين تأكيد على أن النصر لا يكون إلا من عند الله عز وجل، والمعنى: ليس النصر إلا من عند الله دون غيره، و «العزيز» أي: ذو العزة التي لا ترام، و (الحكيم) أي: الحكيم فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته سبحانه وتعالى.

ويستفاد من هاتين الآيتين: تعليم المؤمنين الاعتماد على الله وحده، وتفويض أمورهم إليه مع التأكيد على أن النصر إنما هو من عند الله وحده، وليس من الملائكة أو غيرهم، فالأسباب يجب أن يأخذ بها المسلمون، لكن يجب أن لا يغتروا بها، وأن يكون اعتمادهم على خالق الأسباب حتى يمدهم الله بنصره وتوفيقه، ثم بين سبحانه مظاهر فضله على المؤمنين، وأن النصر الذي كان في بدر، وقتلهم المشركين، ورمي النبي – صلى الله عليه وسلم – المشركين بالتراب يوم بدر إنما كان في الحقيقة بتوفيق الله أولا وبفضله ومعونته. وبهذه الآية الكريمة يربي القرآن المسلمين ويعلمهم الاعتماد عليه، قال تعالى: {فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم} (٣). ولما بين سبحانه وتعالى أن النصر كان من عنده، وضح بعض الحكم من ذلك النصر، قال تعالى: {ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين * **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٧.." (٢)

(١) النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام أحمد عبد الوهاب ص/١٩٦

(٢) ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة محمد بن إبراهيم الرومي ص/١٢٢

"والآيات القرآنية تثبت بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم في مواقف كثيرة. وتوضح أنه بشر لم يخرج عن نطاق البشرية، وأن ما أتى به من وحي أو جرى على يديه من آيات فإنما هو بقدرة الله وحده، وأن الرسول لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا أن يشاء الله. قال تعالى: {وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين} [العنكبوت: ٥٠] (١) وقال تعالى {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون} [الأعراف: ١٨٨] (٢) . وكما أن الرسول لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فهو من باب أولى لا يملك لغيره الضر والنفع أو الهداية والصلاح، بل كل ذلك بيد الله وحده.

قال تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون – ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء} [آل عمران: ١٢٨ – ١٢٩] (٣) . وقال تعالى: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا} [الجن: ٢١] (٤) وقال تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين} [القصص: ٥٦] (٥) .

ولما طالب كفار قريش الرسول صلى الله عليه وسلم بمطالب تعجيزية ذريعة لهم للتكذيب والكفر، كان رد الله تعالى عليهم هو التأكيد على بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى: {وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا – أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا – أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا – أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا} [الإسراء: ٩٠ – ٩٣] (٦) .

---

(١) سورة العنكبوت، آية (٥٠) .

(٢) سورة الأعراف، آية (١٨٨) .

(٣) سورة آل عمران، آية (١٢٨-١٢٩) .

(٤) سورة الجن، آية (٢١) .

(٥) سورة القصص، آية (٥٦) .

(٦) سورة الإسراء، آية (٩٠-٩٣) .." [1]

"٣ - الرسول - صلى الله عليه وسلم - كامل القدرة.

يبن الشيخ أن مثل هذه العبارة تحتملا حقا وباطلا، فقال: "إن أريد بكمال قدرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الكمال النسبي بالنظر إلى بني جنسه من البشر فهو مسلم به، وإن أريد به الكمال المطلق فهو باطل، وغلو في الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتشبيه للمخلوق بالخالق؛ لأن الكمال المطلق في القدرة ونحوها من اختصاص الله جل شأنه، أما الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقدرته محدودة مستمدة من الله وليست له من ذاته؛ ولذا تفاوتت قوة وضعفا في صحته ومرضه، وأمره الله أن يقول للكفار حين طلبوا منه الآيات {إنما الآيات عند الله} العنكبوت: ٥٠، وأمره الله أن يقول لهم حينما استعجلوا العذاب: قال تعالى: {قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم} الأنعام: ٥٨، إلى غير ذلك مما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام ليس له الكمال المطلق قوة واقـتدارا وإنما ذلك إلى الله وحده، ومن ذلك الحديث الصحيح الذي فيه: إنه سقط عن فرسه وجحش شقه حتى صلى بالناس جالسا (١)، وحديث إصابته في غزوة أحد (٢)، وفي ذهابه للطائف قبل الهجرة للدعوة إلى التوحيد، فعن ابن عباس ن أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه نبي الله - صلى الله عليه وسلم -) (٣)،

وفيه عن سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تغسله وعلي يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم) (٤). وكسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه، فلو كان له - صلى الله عليه وسلم - كمال القدرة لما قدر أحد من أعدائه على إيذائه بجرح وجهه وكسر رباعيته وكسر البيضة على رأسه" (٥).

---

(١) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع عبد الرءوف محمد عثمان ص/١٧

(١) ينظر: الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب الصلاة في السطوح والمنبر الخشب برقم (٣٧٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب غزوة أحد برقم (١٧٩١)، والبخاري تعليقا في كتاب المغازي، باب {ليس لك من الأمر شيء} آل عمران: ١٢٨ (٣/ ١٢٤١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب ما أصاب النبي - صلى الله عليه وسلم - من الجرح يوم أحد، برقم (٤٠٧٤) ..

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب ما أصاب النبي - صلى الله عليه وسلم - من الجراح يوم أحد برقم (٤٠٧٥).

(٥) فتاوى اللجنة (١/ ٤٥٣ - ٤٥٥).." [1]

"ويقول الله تعالى: {وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم} .

يقول الشيخ: بعد أن أورد هذه الآية- ثم ذكر الدليل فقال: {إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب} ١ (البقرة: ١٦٣-١٦٥) .

هذا وقد عقد الشيخ بابا في كتاب التوحيد ترجم له بقوله: باب قول الله تعالى: {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون} أورد فيه من براهين التوحيد بيان عجز المخلوقات وكل ما سوى الله عن الخلق، وفقر العالمين جميعا إلى الله تعالى بالعقل والشرع- كما وردت في النصوص الموحى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قول الله تعالى: {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون} (الأعراف: ١٩١، ١٩٢) .

ومثل قوله تعالى: {والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير} .

وفي الصحيح عن أنس، قال: "شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكسرت رباعيته فقال: كيف يفلح

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين أحمد بن علي الزاملي ص/٤٥٠

قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: {ليس لك من الأمرشيء}

---

١ مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٦.." (١)

"(آل عمران: ١٢٨) .

وفيه عن ابن عمر رضى الله عنهما: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: "اللهم العن فلانا وفلانا، بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد " فأنزل الله **{ليس لك من الأمر شيء}** الآية.

وفي رواية: "يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت **{ليس لك من الأمر شيء}** .

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه {وأنذر عشيرتك الأقربين} (الشعراء: ٢١٤) فقال: يا معشر قريش (أو كلمة نحوها) اشتروا أنفسكم، لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا".

قال الشيخ في مسألة: قوله للأبعد والأقرب "لا أغني عنك من الله شيئا" فإذا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا الحق ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم تبين له التوحيد وغربة الدين١.

---

١ مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص٤٥-٤٧.." (٢)

"الضر عنكم ولا تحويلا (٥٦) أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا}.

فبين سبحانه: أن أولئك المدعوين هم من عباده الصالحين المحتاجين إليه، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا.

---

(١) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي صالح بن عبد الله العبود ٥٩٠/١

(٢) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي صالح بن عبد الله العبود ٥٩١/١

وإنما يبتغون إلى ربهم الوسيلة بالأعمال الصالحة، عسى أن ينالوا بها رحمته، وأن ينجوا بها من عذابه، فكيف يدعون من دونه! وكأنهم يملكون من الأمر شيئا؟!

وقد قال سبحانه لنبيه وخليله وصفوته من خلقه، وأفضل عباده محمد صلى الله عليه وسلم: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} فكيف بمن دونه؟!

وقال سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لما ألح واجتهد في هداية عمه أبي طالب، وعظم عليه موته دون توحيد ولا شهادة: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}.

فهذا حال سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم وأكرم نبي عند الله، وأحبهم إليه، وأعظمهم منزلة عنده، وأقربهم مكانا منه، فكيف بمن دونه صلى الله عليه وسلم؟! وهذا حاله صلى الله عليه وسلم مع من رغب هو في هدايته، وألح في طلبها له في حياته، فكيف بمن يتوسل إليه ويدعوه هو صلى الله عليه وسلم بعد موته؟!." (١)

"فصل وقد بين الله سبحانه لعباده أجمعين: أن أولئك المدعوين جميعا، من ملائكة، وأنبياء، وصالحين، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا غيا ولا رشدا، وليس لهم من الأمر شيء. بل لايسمعون دعاءهم ولا يعلمون به، ولو سمعوا لما استجابوا لهم {وما دعاء الكافرين إلا في ضلال}.

قال سبحانه لنبيه وصفيه وخليله وخيرته من خلقه محمد صلى الله عليه وسلم: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون}.

فإذا لم يملكوا لأنفسهم شيئا، فكيف يملكونه لغيرهم؟!

قال سبحانه: {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم}.

وقال سبحانه: {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون}.

وقال: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا}.

---

(١) مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور عبد العزيز بن فيصل الراجحي ص/٢٢٤

وقال: {عنكم ولا تحويلا (٥٦) أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا}.." [١]

"ثانيا: لا تسمع من دعاها.

وثالثا: لو سمعت فإنها لا تقدر على الإجابة.

- ففي قوله تعالى {ما يملكون من قطمير}: انتفى الشرط الأول.

- وفي قوله {إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم}: انتفى الشرط الثاني.

- وفي قوله {ولو سمعوا ما استجابوا لكم}: انتفى الثالث، إذن بطل دعاؤها.

ثم قال سبحانه وتعالى: {ويوم القيامة يكفرون بشرككم}: إذا جاء يوم القيامة يتبرؤون منكم. وكل المعبودات من دون الله تتبرأ ممن عبدها يوم القيامة) اه كلام شيخنا الفوزان.

قلت: والقطمير: شق النواة، أو القشرة التي فيها.

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٩٩) من حديث هشيم أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في جبهته الغراء صلى الله عليه وسلم، حتى سال دمه الطاهر على وجهه الكريم، فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك : «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم»؟!

فنزلت هذه الآية {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون}.." [٢]

"وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، وهو من ثلاثيات الإمام أحمد، ورواه ثلاثيا أيضا عن شيخيه ابن أبي عدي وسهل بن يوسف كلاهما عن حميد عن أنس به.

ورواه:

مسلم في «صحيحه» (١٧٩١)،

والترمذي في «جامعه» (٣٠٠٢).

وعلقه البخاري في «صحيحه» مجزوما به، في «كتاب المغازي»، «باب {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون}».

---

(١) مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور عبد العزيز بن فيصل الراجحي ص/٢٣٥

(٢) مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور عبد العزيز بن فيصل الراجحي ص/٢٣٨

وروى البخاري في «صحيحه» (٢٧٥٣)، (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله عز وجل {وأنذر عشيرتك الأقربين} قال: «يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا.

يا بني عبد مناف! لا أغني عنكم من الله شيئا.

يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئا.

ويا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئا.

ويا فاطمة بنت محمد! سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا»).

وقد علم أن للنبي صلى الله عليه وسلم شفاعة لأهل الكبائر، وشفاعة لغيرهم من المؤمنين. وإنما نفى النبي صلى الله عليه وسلم نفعه لقرابته هؤلاء، وفيهم." (١)

"(أو يكبتهم)

يخزيهم.

وقيل: يصرعهم على وجوههم.

(أو يتوب عليهم)

حتى يتوب عليهم.

[أو] إلا أن [يتوب] عليهم.

والأحسن أنه عطف على (أو يكبتهم) ليبقي اللفظ على وضعه، ثم يكون (**ليس لك من الأمر شيء**) اعتراضا.." (٢)

"الموطأ بلاغا «١»، وأخرجه الترمذي عن ابن عمر وابن عباس تعليقا «٢»، وروي عن جابر بن عبد الله، وهو قول مالك وأصحابه وإليه ميل الشافعي فيما ذكر عنه القشيري. والصحيح عن علي أنها العصر، وروي عنه ذلك من وجه معروف صحيح. وقد استدل من قال إنها الصبح بقوله تعالى:" وقوموا لله قانتين"

---

(١) مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور عبد العزيز بن فيصل الراجحي ص/٢٣٩

(٢) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ٣١٩/١

يعني فيها، ولا صلاة مكتوبة فيها قنوت إلا الصبح. قال أبو رجاء: صلى بنا ابن عباس صلاة الغداة بالبصرة فقنت فيها قبل الركوع ورفع يديه فلما فرغ قال: هذه الصلاة الوسطى التي أمرنا الله تعالى أن نقوم فيها قانتين. وقال أنس: قنت النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح بعد الركوع، وسيأتي حكم القنوت وما للعلماء فيه في" آل عمران" عند قوله تعالى:" **ليس لك من الأمر شيء** «٣» ". السادس- صلاة الجمعة، لأنها خصت بالجمع لها والخطبة فيها وجعلت عيدا، ذكره ابن حبيب ومكي. وروى مسلم عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة:" لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم". السابع- إنها الصبح والعصر معا. قاله الشيخ أبو بكر الأبهري، واحتج بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار" الحديث، رواه أبو هريرة. وروى جرير بن عبد الله قال: كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال:" أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون «٤» في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها" يعني العصر والفجر: ثم قرأ جرير" وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها «٥» ". وروى عمارة بن رويبة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها"

---

(١). أي قال مالك في الموطأ إنه بلغه عنهما.

(٢). التعليق: رواية الحديث من غير سند.

(٣). راجع ج ٤ ص ١٩٩.

(٤). قال النووي:" تضامون" بتشديد الميم وتخفيفها، فمن شددها فتح التاء، ومن خففها ضم التاء، ومعنى المشدد أنكم لا تتضامون وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته، ومعنى المخفف أنه لا يلحقكم ضيم، وهو المشقة والتعب. وفى هـ: لا تضارون.

(٥). راجع ج ١١ ص ٢٦٠." (١)

"[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٢٨ الى ١٢٩]

ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨) ولله ما في السماوات وما في

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣/٢١١

الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩)

فيه ثلاث مسائل: الأولى- ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه، فجعل يسلب الدم عنه ويقول: (كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله تعالى) فأنزل الله تعالى: (**ليس لك من الأمر شيء**). الضحاك: هم النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المشركين فأنزل الله تعالى:" **ليس لك من الأمر شيء**". وقيل: استأذن في أن يدعو في استئصالهم، فلما نزلت هذه الآية علم أن منهم من سيسلم وقد آمن كثير منهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم. وروى الترمذي عن ابن عامر قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على أربعة نفر فأنزل الله عز وجل:" **ليس لك من الأمر شيء**" فهداهم الله للإسلام. وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. وقوله تعالى:" أو يتوب عليهم" قيل: هو معطوف على" ليقطع طرفا". والمعنى: ليقتل طائفة منهم، أو يحزنهم بالهزيمة أو يتوب عليهم أو يعذبهم. وقد تكون" أو" هاهنا بمعنى" حتى" و" إلا أن". قال امرؤ القيس:

... أو نموت فنعذرا

قال علماؤنا: قوله عليه السلام: (كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم) استبعاد لتوفيق من فعل ذلك به. وقوله تعالى:" **ليس لك من الأمر شيء**" تقريب لما استبعده وإطماع في إسلامهم، ولما أطمع في ذلك قال صلى الله عليه وسلم: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) كما في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (رب اغفر لقومي فإنهم." (١)

"لا يعلمون (. قال علماؤنا: فالحاكي في حديث ابن مسعود هو الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو المحكي عنه، بدليل ما قد جاء صريحا مبينا أنه عليه الصلاة والسلام لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شقا شديدا وقالوا: لو دعوت عليهم! فقال: (إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة، اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون (. فكأنه عليه السلام أوحي إليه بذلك قبل وقوع قضية أحد، ولم يعلنه له ذلك النبي، فلما وقع له ذلك تعين أنه المعني بذلك بدليل ما ذكرنا. ويبينه أيضا ما قاله

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٩٩/٤

عمر له في بعض كلامه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! لقد دعا نوح على قومه فقال:" رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا" [نوح: ٢٦] «١» الآية. ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا، فقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا، فقلت: (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون). وقوله: (اشتد غضب الله على قوم كسروا رباعية نبيهم) يعني بذلك المباشر لذلك، وقد ذكرنا اسمه على اختلاف في ذلك، وإنما قلنا إنه خصوصي في المباشر، لأنه قد أسلم جماعة ممن شهد أحدا وحسن إسلامهم. الثانية- زعم بعض الكوفيين أن هذه الآية ناسخة للقنوت الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله بعد الركوع في الركعة الأخيرة من الصبح، واحتج بحديث ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في صلاة الفجر بعد رفع رأسه من الركوع فقال: (اللهم ربنا ولك الحمد في الآخرة- ثم قال- اللهم العن فلانا وفلانا) فأنزل الله عز وجل" **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم" الآية. أخرجه البخاري، وأخرجه مسلم أيضا من حديث أبي هريرة أتم منه. وليس هذا موضع نسخ وإنما نبه الله تعالى على نبيه على أن الأمر ليس إليه، وأنه لا يعلم من الغيب شيئا إلا ما أعلمه، وأن الأمر كله لله يتوب على من يشاء ويعجل العقوبة لمن يشاء. والتقدير: **ليس لك من الامر شي** ولله ما في السموات وما في الأرض دونك ودونهم يغفر لمن يشاء ويتوب على من يشاء. فلا نسخ، والله أعلم. وبين بقوله:" **ليس لك من الأمر شيء**" أن الأمور «٢» بقضاء الله وقدره ردا على القدرية وغيرهم.

---

(١). راجع ج ١٨ ص ٣١٢.

(٢). في نسخة: هـ وب ود، وفي غيرها: الامر.." (١)

"ابن عطية: قيل: الضمير في جعله عائد على الإنزال والإمداد، الزمخشري: أي وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشرى لكم بأنكم منصورون، أبو حيان: وقيل: الضمير عائد على النصر، وقيل: على الوعد به.

ابن عرفة: والظاهر أنه للوعد؛ لأن المباشرة مقدمة على المبشر به، فليس النصر مبشرا بل هو المبشر به.

قوله تعالى: (العزيز الحكيم).

ابن عرفة: الذي ينصركم إن شاء بسبب وإمداد، وإن شاء بغير سبب ولا إمداد.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/٢٠٠

قوله تعالى: {فينقلبوا خائبين (١٢٧)}

الخيبة هو عدم الاتصال بالمطلوب والمراد هنا ما هو أخص من ذلك، وهو خسرانهم.

قوله تعالى: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم (١٢٨)}

قال ابن عرفة: فيه عندي حذف التقابل؛ لأن التوبة لا تقابل العذاب، وأنه تقابل المعصية، والتقدير، أو يتوب عليهم فيرحمهم، أو يدوموا على كفرهم فيعذبهم فحذف من الأول نقيض ما ذكر في الثاني، ومن الثاني نقيض ما ذكر من الأول.

قوله تعالى: (فإنهم ظالمون).

تأكيد لمقام الوعيد، واعتزل الزمخشري هنا وله فيها شبهة. لكن قوله تعالى: (فيغفر لمن يشاء (١٢٩) .. ظاهر في مذهب أهل السنة، وإذا تأوله الزمخشري على مذهبه فجعله لفا ونشرا، فيرد المغفرة، لقوله تعالى: (أو يتوب عليهم)، والعذاب لقوله تعالى: (أو يعذبهم) ونحن نقول: (يغفر لمن يشاء) من الكفار، أو العصاة، ويعذب من يشاء من الكفار أو العصاة بالإطلاق.

وقال الزمخشري: (يغفر لمن يشاء) توبته ونحن نقول: (يغفر لمن يشاء) مغفرته سواء إن [...] لابن عرفة: إن هذا مخصوص بقوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)، فقال: بل هو على عمومه، ويجعله مخصوصا بها لو كانت التلاوة يغفر لجميع الخلق، وإذا جعلته مخصوصا بها يلزم أن بعض من شاء الله المغفرة له لا يغفر له بمعني أنه لا يتوب وهو مذهب المعتزلة القائلين: بخلود العاصي في جهنم، وإن الله لم يرد عصيانه، بل هي." (١)

"وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧) ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨)." (٢)

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ١/٤٠٨

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢/٣٢٧

"(ولله ما في السموات وما في الأرض) هذا كالدليل على قوله **ليس لك من الأمر شيء** الخ (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) كلام مستأنف لبيان سعة ملكه أي يفعل في ملكه ما يشاء من المغفرة والعذاب، ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وفي قوله (والله غفور رحيم) إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه وتبشير لعباده بأنه المتصف بالمغفرة والرحمة على وجه المبالغة، وما أوقع هذا التذييل الجليل وأحبه إلى قلوب العارفين بأسرار التنزيل.." (١)

"(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) أي **ليس لك من الأمر شيء** فما يأتيهم الله به من مطر ورزق ونعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك مما لا يحاط به لا يقدر أحد أن يمسكه.

قال ابن عباس: ما يفتح الله للناس من باب توبة فلا ممسك لها، هم يتوبون إن شاءوا وإن أبوا، وما أمسك من باب توبة فلا مرسل له من بعده، وهم لا يتوبون، واستعير الفتح للإطلاق والإرسال إيذانا بأنها أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون، وأعزها منالا، وتنكير الرحمة للإشاعة والإبهام كأنه قيل: أي رحمة كانت سماوية أو أرضية والعموم مفهوم من اسم الشرط ومن رحمة بيان لذلك العام من أي صنف هو وهو مما اجتزي فيه بالنكرة المفردة عن الجمع المعرف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحمات، ومن في موضع الحال، وقيل: المعنى إن الرسل بعثوا رحمة للناس، فلا يقدر على إرسالهم غير الله، وقيل: هو الدعاء وقيل التوبة وقيل التوفيق والهداية ولا وجه لهذا التخصيص بل المعنى كل ما يفتحه الله للناس من خزائن رحمته فيشمل كل نعمة ينعم الله بها على خلقه.

(وما يمسك) من ذلك (فلا مرسل له من بعده) أي لا يقدر أحد." (٢)

"وقيل يوم أحد فالعامل في إذ على الأول محذوف وعلى الثاني بدل من إذ غدوت ألن يكفيكم تقرير جوابه بلى وإنما جاوب المتكلم لصحة الأمر وبيانه كقوله قل من رب السموات والأرض قل الله ويأتوكم من فورهم الضمير للمشركين والفور السرعة أي من ساعتهم وقيل المعنى من سفرهم بخمسة آلاف بأكثر من العدد الذي يكفيكم ليزيد ذلك في قوتكم فإن كان هذا يوم ... ١١٨

١١٨ بدر فقد قاتلت فيه الملائكة وإن كان يوم أحد فقد شرط في قوله إن تصبروا وتتقوا فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة مسومين بفتح الواو وكسرها أي معلمين أو معلمين أنفسهم أو خيلهم وكانت

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٢٩/٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢١٩/١١

سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء وقيل كانت عمائمهم صفر وكانت خيلهم مجزوزة الأذناب وقيل كانوا على خيل بلق وما جعله الضمير عائد على الإنزال أو الإمداد ولتطمئن معطوف على بشرى لأن هذا الفعل بتأويل المصدر وقيل يتعلق بفعل مضمر يدل عليه جعله ليقطع يتعلق بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر **ليس لك من الأمر شيء** جملة اعتراضية بين المعطوفين ونزلت لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة على أحياء من العرب فترك الدعاء عليهم أو يتوب عليهم معناه يسلمون أضعافا مضاعفة كانوا يزيدون كل ما حل عاما بعد عام سارعوا بغير واو استئناف وبالواو عطف على ما تقدم إلى مغفرة أي إلى الأعمال متى تستحقون بها المغفرة عرضها قال ابن عباس تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة ولا يعلم طولها إلا الله وقيل ليس العرض هنا خلاف الطول وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض في السراء والضراء في العسر واليسر وهم يعلمون حذف مفعولة وتقديره وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا قد خلت من قبلكم سنن خطاب للمؤمنين تأنيسا لهم وقيل للكافرين تخويفا لهم فانظروا من نظر العين عند الجمهور وقيل." (١)

"وإذا كان الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى فما بقى الشفعاء شركاء، كشفاعة المخلوق عند المخلوق؛ فإن المخلوق يشفع عنده نظيره . أو من هو أعلى منه، أو دونه . بدون إذن المشفوع إليه، ويقبل المشفوع إليه ولا بد شفاعته إما لرغبته إليه، أو فيما عنده من قوة أو سبب ينفعه به أو يدفع عنه ما يخشاه، وإما لرهبته منه، وإما لمحبته إياه، وإما للمعاوضة بينهما والمعاونة، وإما لغير ذلك من الأسباب .

وتكون شفاعة الشفيع هى التى حركت إرادة المشفوع إليه، وجعلته مريدا للشفاعة، بعد أن لم يكن مريدا لها، كأمر الآمر الذى يؤثر في المأمور،فيفعل ما أمره به بعد أن لم يكن مريدا لفعله .

وكذلك سؤال المخلوق للمخلوق، فإنه قد يكون محركا له إلى فعل ما سأله .

فالشفيع كما أنه شافع للطالب شفاعته فى الطلب، فهو أيضا قد شفع المشفوع إليه، فبشفاعته صار المشفوع إليه فاعلا للمطلوب، فقد شفع الطالب والمطلوب .

والله تعالى وتر، لا يشفعه أحد، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فالأمر كله إليه وحده، فلا شريك له بوجه، ولهذا ذكر . سبحانه . نفى ذلك فى آية الكرسى، التى فيها تقرير التوحيد، فقال : { له ما في السماوات

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢١٤/١

وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } [البقرة : ٢٥٥] .
وسيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، إذا سجد وحمد ربه، يقال له : (ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فيحد له حدا، فيدخلهم الجنة) . فالأمر كله لله، كما قال : { قل إن الأمر كله لله } [آل عمران : ١٥٤] ،وقال لرسوله : { ليس لك من الأمر شيء } [آل عمران : ١٢٨] ، وقال : { ألا له الخلق والأمر } [الأعراف : ٥٤] .
(١) ".

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ١ ، ص : ٢٠٦
أو يكبتهم : يخزيهم «١» ، وقيل «٢» : يصرعهم.
١٢٨ ليس لك من الأمر شيء : أي : في عقابهم ، أو استصلاحهم حتى يقع إنابتهم وتوبتهم «٣».
١٣٠ أضعافا مضاعفة : كلما جاء أجله أجلوه ثانيا وزادوا على الأصل «٤». والفضل ربا.
١٣٣ وجنة عرضها السماوات والأرض : قيل «٥» للنبي عليه السلام : إذا كانت الجنة عرضها [السماوات] «٦» والأرض فأين النار؟.
قال : «سبحان الله! إذا جاء النهار فأين الليل؟».
وقيل «٧» : عرضها : ثمنها لو جاز بيعها ، من ....

---

(١) تفسير الطبري : ٧/ ١٩٣ ، ومفردات الراغب : ٤٢٠.
(٢) هو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن : ١/ ١٠٣ ، وانظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ١١٠ ، وتفسير الطبري : ٧/ ١٩٣ ، ومعاني القرآن للزجاج : ١/ ٤٦٧ ، ومعاني النحاس : ١/ ٤٧٢.
(٣) تفسير الماوردي : ١/ ٣٤٣ ، وزاد المسير : ١/ ٤٥٧ ، وتفسير الفخر الرازي : ٨/ ٢٣٩.
(٤) قال الطبري في تفسيره : ٧/ ٢٠٤ : «كان أكلهم ذلك في جاهليتهم أن الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال إلى أجل ، فإذا حل الأجل طلبه من صاحبه ، فيقول له الذي عليه المال : أخر عني دينك وأزيدك على مالك. فيفعلان ذلك. فذلك هو الربا أضعافا مضاعفة ، فنهاهم الله عز وجل في إسلامهم عنه ...».

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ١٤٣/٣

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٣/ ٤٤٢ عن التنوخي رسول هرقل مرفوعا وكذا الطبري في تفسيره : ٧/ ٢٠٩ وأخرجه موقوفا على عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم.

وأخرجه الحاكم في المستدرك : ١/ ٣٦ ، كتاب الإيمان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ورفعه. وقال : «حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولا أعلم له علة ولم يخرجاه ووافقه الذهبي».

وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٢/ ٣١٥ ، وزاد نسبته إلى البزار عن أبي هريرة مرفوعا.

ونسبه – أيضا – إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر موقوفا على عمر رضي الله عنه.

(٦) في الأصل : «السماء» ، والمثبت في النص عن «ج».

(٧) ذكر المؤلف رحمه الله – هذا القول في كتابه وضح البرهان : ١/ ٢٥٧ فقال : «و تعسف ابن بحر في تأويلها ، فقال : عرضها ثمنها لو جاز بيعها من المعارضة في عقود البياعات».

ونقل الفخر الرازي في تفسيره : ٩/ ٦ عن أبي مسلم الأصبهاني – وهو ابن بحر – قال :

«و فيه وجه آخر وهو أن الجنة لو عرضت بالسماوات والأرض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة ، تقول إذا بعت الشيء بالشيء الآخر : عرضته عليه وعارضته به ، فصار العرض يوضع موضع المساواة بين الشيئين في القدر ، وكذا أيضا معنى القيمة لأنها مأخوذة من مقاومة الشيء بالشيء حتى يكون كل واحد منهما مثلا آخر».

وذكر الرازي وجها آخر فقال : «المقصود المبالغة في وصف سعة الجنة وذلك لأنه لا شيء عندنا أعرض منهما ، ونظيره قوله : خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض فإن أطول الأشياء بقاء عندنا هو السموات والأرض ، فخوطبنا على وفق ما عرفناه ، فكذا هاهنا».." (١)

"عند الله العزيز الحكيم[١٢٦] ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين[١٢٧] **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [١٢٨].

يجوز أن تكون جملة {وما جعله الله إلا بشرى} في موضع الحال من اسم الجلالة في قوله: {ولقد نصركم الله ببدر} [البقرة: ١٢٣] والمعنى لقد نصركم الله ببدر حين تقول للمؤمنين ما وعدك الله به في حال أن الله ما جعل ذلك الوعد إلا بشرى لكم وإلا فإنه وعدكم النصر كما في قوله تعالى: {وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم} [الأنفال: ٧٠] الآية.

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ١/٢٠٦

ويجوز أن يكون الواو للعطف عطف الإخبار على التذكير والامتنان. وإظهار اسم الجلالة في مقام الإضمار للتنويه بهذه العناية من الله بهم، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين.

وضمير النصب في قوله: {جعله} عائد إلى الإمداد المستفاد من {يمددكم} أو إلى الوعد المستفاد من قوله: {إن تصبروا وتتقوا{ [آل عمران: ١٢٥] الآية.

والاستثناء مفرغ. و {بشرى} مفعول ثان لجعله أي ما جعل الله الإمداد والوعد به إلا أنه بشرى، أي جعله بشرى، ولم يجعله غير ذلك.

ولكم متعلق ببشرى. وفائدة التصريح به مع ظهور أن البشرى إليهم هي الدلالة على تكريمه الله تعالى إياهم بأن بشرهم بشرى لأجلهم كما في التصريح بذلك في قوله تعالى: {ألم نشرح لك صدرك} [الشرح: ١].

والبشرى اسم لمصدر بشر كالرجعي، والبشرى خبر بحصول ما فيه نفع ومسرة للمخبر به، فإن الله لما وعدهم بالنصر أيقنوا به فكان في تبيين سببه وهو الإمداد بالملائكة طمأنة لنفوسهم لأن النفوس تركن إلى الصور المألوفة.

والطمأنة والطمأنينة: السكون وعدم الاضطراب، واستعيرت هنا ليقين النفس بحصول الأمر تشبيها للعلم الثابت النفس أي عدم اضطرابها، وتقدمن عند قوله تعالى: {ولكن ليطمئن قلبي} في سورة البقرة [٢٦٠].

وعطف {ولتطمئن} على {بشرى} فكان داخلا في حيز الاستثناء فيكون استثناء من علل، أي ما جعل الله لأجل أن تطمئن قلوبكم به.." (١)

"وجملة {وما النصر إلا من عند الله} تذييل أي كل نصر هو من عند الله لا من الملائكة. وإجراء وصفي العزيز الحكيم هنا لأنهما أولى بالذكر في هذا المقام، لأن العزيز ينصر من يريد نصره، والحكيم يعلم من يستحق نصره وكيف يعطاه.

وقوله: {ليقطع طرفا} متعلق بالنصر باعتبار أنه علة لبعض أحوال النصر، أي ليقطع يوم بدر طرفا من المشركين.

والطرف بالتحريك يجوز أن يكون بمعنى الناحية، ويخص بالناحية التي هي منتهى المكان، قال أبو تمام:

كانت هي الوسط المحمي فاتصلت ... بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

فيكون استعارة لطائفة من المشركين كقوله تعالى: {أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها} [الرعد:

---

(١) التحرير والتنوير، ٣/٢١١

٤١] ويجوز أن يكون بمعنى الجزء المتطرف من الجسد كاليدين والرجلين والرأس فيكون لأشراف المشركين، أي ليقطع من جسم الشرك أهم أعضائه، أي ليستأصل صناديد الذين كفروا. وتنكير طرفا للتفخيم، ويقال: هو من أطراف العرب، أي من أشرافها وأهل بيوتاتها.

ومعنى {أو يكبتهم} يصيبهم بغم وكمد، وأصل كبت كبد بالدال إذا أصابه في كبده. كقولهم: صدره، وكلي إذا أصيب في كليتيه، ومتن إذا أصيب في متنه، ورئي إذا أصيب في رئته، فأبدلت الدال تاء وقد تبدل التاء دالا كقولهم: سبد رأسه وسبته أي حلقه. والعرب تتخيل الغم والحزن مقره الكبد، والغضب مقره الصدر وأعضاء التنفس. قال أبو الطيب يمدح سيف الدولة حين سفره عن أنطاكية:

لأكبت حاسدا وأري عدوا ... كأنهما وداعك والرحيل

وقد استقرى أحوال الهزيمة فإن فريقا قتلوا فقطع بهم طرف من الكافرين، وفريقا كبتوا وانقلبوا خائبين، وفريقا من الله عليهم بالإسلام، فاسلموا، وفريقا عذبوا بالموت على الكفر بعد ذلك، أو عذبوا في الدنيا بالذل، والصغار، والأسر، والمن عليهم يوم الفتح، بعد أخذ بلدهم و أو بين هذه الأفعال للتقسيم.

وهذا القطع والكبت قد مضيا يوم بدر قبل نزول هذه الآية بنحو سنتين، فالتعبير عنهما بصيغة المضارع لقصد استحضار الحالة العجيبة في ذلك النصر المبين العزيز النظير.

وجملة **{ليس لك من الأمر شيء}** معترضة بين المتعاطفات، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم." (١)

"فيجوز أن تحتمل على صريح لفظها، فيكون المعنى نفي أن يكون للنبي، لقتاله الكفار بجيشه من المسلمين، تأثير في حصول النصر يوم بدر، فإن المسلمين كانوا في قلة من كل جانب من جوانب القتال، أي فالنصر حصل بمحض فضل الله على المسلمين، وهذا من معنى قوله: {فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} [الأنفال: ١٧]. ولفظ الأمر من قوله: **{ليس لك من الأمر شيء}** معناه الشأن، وال فيه للعهد، أي من الشأن الذي عرفتموه وهو النصر.

ويجوز أن تحمل الجملة على أنها كناية عن صرف النبي عليه الصلاة والسلام عن الاشتغال بشأن ما صنع الله بالذين كفروا، من قطع طرفهم، وكبتهم أو توبة عليهم، أو تعذيب لهم: أي فلذلك موكول إلينا نحققه متى أردنا، ويتخلف متى أردنا، على حسب ما تقتضيه حكمتنا، وذلك كالاعتذار عن تخلف نصر المسلمين يوم أحد.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١٢/٣

فلفظ الأمر بمعنى شأن المشركين. والتعريف فيه عوض عن المضاف إليه، أي ليس لك من أمرهم اهتمام. وهذا تذكير بما كان للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر من تخوف ظهور المشركين عليه، وإلحاحه في الدعاء بالنصر. ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يود استئصال جميع المشركين يوم بدر حيث وجد مقتضى ذلك وهو نزول الملائكة لإهلاكهم،فذكره الله بذلك أنه لم يقدر استئصالهم جميعا بل جعل الانتقام منهم ألوانا فانتقم من طائفة بقطع طرف منهم، ومن بقيتهم بالكبت، وهو الحزن على قتلاهم، وذهاب رؤسائهم، واختلال أمورهم، واستبقى طائفة ليتوب عليهم ويهديهم، فيكونوا قوة للمسلمين فيؤمنوا بعد ذلك، وهم من آمن من أهل مكة قبل الفتح، ويوم الفتح: مثل أبي سفيان، والحارث بن هشام أخي أبي جهل، وعكرمة ابن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وخالد بن الوليد، وعذب طائفة عذاب الدنيا بالأسر، أو بالقتل: مثل ابن خطل، والنضر بن الحارث، فلذلك قيل له **ليس لك من الأمر شيء**. ووضعت هذه الجملة بين المتعاطفات ليظهر أن المراد من الأمر الدائر بين هذه الأحوال الأربعة من أحوال المشركين، أي ليس لك من أمر هذه الأحوال الأربعة شيء ولكنه موكول إلى الله، هو أعلم بما سيصيرون إليه وجعل هذه الجملة قبل قوله: {أو يتوب عليهم} استئناس للنبي صلى الله عليه وسلم،إذ قدم ما يدل على الانتقام منهم لأجله، ثم أردف بما يدل على العفو عنهم، ثم أردف بما يدل على عقابهم، ففي بعض هذه الأحوال إرضاء له من جانب الانتصار له، وفي بعضها إرضاء له من جانب تطويعهم له. ولأجل هذا المقصد عاد الكلام إلى بقية عقوبات المشركين بقوله تعالى:." (١)

"{أو يعذبهم}.

ولكون التذكير بيوم بدر وقع في خلال الإشارة إلى وقعة أحد، كأن في هذا التقسيم إيماء إلى ما يصلح بيانا لحكمة الهزيمة اللاحقة المسلمين يوم أحد، إذ كان في استبقاء كثير من المشركين، لم يصبهم القتل يومئذ، ادخار فريق عظيم منهم للإسلام فيما بعد، بعد أن حصل رعبهم من المسلمين بوقعة بدر، وإن حسبوا للمسلمين أي حساب بما شاهدوه من شجاعتهم يوم أحد، وإن لم ينتصروا. ولا يستقيم أن يكون قوله: **{ليس لك من الأمر شيء}** متعلقا بأحوال يوم أحد: لأن سياق الكلام ينبو عنه، وحال المشركين يوم أحد لا يناسبه قوله: {ليقطع طرفا من الذين كفروا} إلى قوله: {خائبين} .

ووقع في "صحيح مسلم" ، عن أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم شج وجهه، وكسرت رباعيته

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١٣/٣

يوم أحد، وجاء المسلمون يمسحون الدم عن وجه نبيهم، فقال النبي عليه السلام "كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم" أي في حال أنه يدعوهم إلى الخير عند ربهم، فنزلت الآية، ومعناه: لا تستبعد فلاحهم. ولا شك أن قوله فنزلت هذه الآية متأول على إرادة: فذكر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية، لظهور أن ما ذكروه غير صالح لأن يكون سببا لأن النبي تعجب من فلاحهم أو استبعده، ولم يدع لنفسه شيئا، أو عملا، حتى يقال **ليس لك من الأمر شيء**. وروى الترمذي: أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على أربعة من المشركين، وسمى أناسا، فنزلت هذه الآية لنهيه عن ذلك، ثم أسلموا. وقيل: إنه هم بالدعاء، أو استأذن الله أن يدعو عليهم بالاستيصال، فنهي. ويرد هذه الوجوه ما في صحيح مسلم، عن ابن مسعود، قال: كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه، وهو يقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. وورود أنه لما شج وجهه يوم أحد قال له أصحابه: لو دعوت عليهم، فقال: "إني لم أبعث لعانا، ولكني بعثت داعيا ورحمة، اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون". وما ثبت من خلقه صلى الله عليه وسلم: أنه كان لا ينتقم لنفسه.

وأغرب جماعة فقالوا نزل قوله: **{ليس لك من الأمر شيء}** نسخا لما كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم في قنوته على رعل، وذكوان، وعصبة، ولحيان، الذين قتلوا أصحاب بئر معونة، وسندهم في ذلك ما وقع في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يدعو عليهم، حتى أنزل الله **{ليس لك من الأمر شيء}** . قال ابن عطية: وهذا كلام ضعيف كله وليس هذا من مواضع الناسخ والمنسوخ. وكيف يصح أن تكون نزلت لنسخ ذلك وهي متوسطة بين." (١)

"علل النصر الواقع يوم بدر. وتفسير ما وقع في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة: أن النبي ترك الدعاء على المشركين بعد نزول هذه الآية أخذا لكامل الأدب، لأن الله لما أعلمه في هذا بما يدل على أن الله أعلم بما فيه نفع الإسلام، ونقمة الكفر، ترك الدعاء عليهم إذ لعلهم أن يسلموا. وإذ جعلنا دعاءه صلى الله عليه وسلم على قبائل من المشركين في القنوت شرعا تقرر بالاجتهاد في موضع الإباحة لأن أصل الدعاء على العدو مباح، فتركه لذلك بعد نزول هذه الآية، من قبيل النسخ بالقياس، نسخت حكم الإباحة التي هي استواء الفعل والترك بإثبات حكم أولوية الفعل.

ومنهم من أبعد المرمى، وزعم أن قوله: {أو يتوب عليهم} منصوب بأن مضمرة وجوبا، وأن أو بمعنى حتى:

---

(١) التحرير والتنوير، ٣/٢١٤

أي ليس لك من أمر إيمانهم شيء حتى يتوب الله عليهم، وهل يجهل هذا أحد حتى يحتاج إلى بيانه، على أن وقعت بين علل النصر، فكيف يشتت الكلام، وتنتشر المتعاطفات.

ومنهم من جعل {أو يتوب عليهم} عطفا على قوله: {الأمر} أو على قوله: {شيء} ، من عطف الفعل على أسم خالص بإضمار أن على سبيل الجواز، أي ليس لك من أمرهم أو توبتهم شيء، أو **ليس لك من الأمر شيء** أو توبة عليهم.

فإن قلت: هلا جمع العقوبات متوالية: فقال ليقطع طرفا من الذين كفروا، أو يكبتهم فينقلبوا خائبين، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم، قلت: روعي قضاء حق جمع النظير أولا، وجمع الضدين ثانيا، بجمع القطع والكبت، ثم جمع التوبة والعذاب، على نحو ما أجاب به أبو الطيب عن نقد قوله في سيف الدولة:

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى حزينة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

إذ قدم من صفتيه تشبيهه بكونه في جفن الردى لمناسبة الموت، وأخر الحال وهي ووجهك وضاح قوله كلمى حزينة، في قصة مذكورة في كتب الأدب.

واللام الجارة لام الملك، وكاف الخطاب لمعين، وهو الرسول عليه الصلاة والسلام.

وهذه الجملة تجري مجرى المثل إذ ركبت تركيبا وجيزا محذوفا منه بعض الكلمات، ولم أظفر، فيما حفظت من غير القرآن، بأنها كانت مستعملة عند العرب، فلعلها من." (١)

"العدو. حتى نشأ عنه ما نشأ، وتعريض بأن الخروج للقتال يوم أحد خطأ وغرور، ويظنون أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس برسول إذ لو كان لكان مؤيدا بالنصر.

والقول في {هل لنا من الأمر من شيء} كالقول في **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] المتقدم آنفا. والمراد بالأمر هنا شأن الخروج إلى القتال. والأمر بمعنى السيادة الذي منه الإمارة، ومنه أولو الأمر.

وجملة {يقولون هل لنا من الأمر من شيء} بدل اشتمال من جملة {يظنون} لأن ظن الجاهلية يشتمل على معنى هذا القول. ومعنى {لو كان لنا من الأمر شيء} أي من شأن الخروج إلى القتال، أو من تدبير الناس شيء، أي رأي ما قتلنا هاهنا، أي ما قومنا. وليس المراد انتفاء القتل مع الخروج إلى القتال في أحد،

---

(١) التحرير والتنوير، ٣/٢١٥

بل المراد انتفاء الخروج إلى أد الذي كان سببا في قتل من قتل، كما تدل عليه قرينة الإشارة بقوله هاهنا، فالكلام كناية. وهذا القول قاله عبد الله بن أبي ابن سلول لما أخبروه بمن استشهد من الخزرج يومئذ، وهذا تنصل من أسباب الحرب وتعريض بالنبي ومن أشار بالخروج من المؤمنين الذين رغبوا في إحدى الحسنيين.

وإنما كان هذا الظن غير الحق لأنه تخليط في معرفة صفات الله وصفات رسوله وما يجوز وما يستحيل، فإن الله أمرا وهديا وله قدر وتيسير، وكذلك لرسوله الدعوة والتشريع وبذل الجهد في تأييد الدين وهو في ذلك معصوم، وليس معصوما من جريان الأسباب الدنيوية عليه، ومن أن يكون الحرب بيته وبين عدوه سجالا، قال أبو سفيان لهرقل وقد سأله: كيف كان قتالكم له فقال له أبو سفيان: ينال منا وننال منه، فقال هرقل: وكذلك الإيمان حتى يتم. فظنهم ذلك ليس بحق.

وقد بين الله تعالى أنه ظن الجاهلية الذين لم يعرفوا الإيمان أصلا فهؤلاء المتظاهرون بالإيمان في قلوبهم فبقيت معارفهم كما هي من عهد الجاهلية، والجاهلية صفة جرت على موصوف محذوف يقدر بالفئة أو الجماعة، وربما أريد به حالة الجاهلية في قولهم أهل الجاهلية، وقوله تعالى: {تبرج الجاهلية الأولى} ، والظاهر أنه نسبة إلى الجاهل أي الذي لا يعلم الدين والتوحيد، فإن العرب أطلقت الجهل على ما قابل الحلم، قال أبن الرومي:

بجهل كجهل السيف والسيف منتضى ... وحلم كحلم السيف والسيف مغمد." (١)

"عند حصول أسبابه وهي المشار إليها بقوله :{أمرنا مترفيها} إلى آخره.

ومتعلق {أمرنا} محذوف، أي أمرناهم بما نأمرهم به، أي بعثنا إليهم الرسول وأمرناهم بما نأمرهم على لسان رسولهم فعصوا الرسول وفسقوا في قريتهم.

واعلم أن تصدير هذه الجملة ب(إذا) أوجب استغلاق المعنى في الربط بين جملة شرط (إذا) وجملة جوابه، لأن شأن(إذا)أن تكون ظرفا للمستقبل وتتضمن معنى الشرط أي الربط بين جملتيها. فاقتضى ظاهر موقع{إذا}أن قوله:{أمرنا مترفيها} هو جواب (إذا) فيقتضي أن إرادة الله إهلاكها سابقة على حصول أمر المترفين سبق الشرط لجوابه، فيقتضي ذلك أن إرادة الله تتعلق بإهلاك القرية ابتداء فيأمر الله مترفي أهل القرية فيفسقوا فيها فيحق عليها القول الذي هو مظهر إرادة الله إهلاكهم، مع أن مجرى العقل يقتضي أن

(١) التحرير والتنوير، ٢٥٨/٣

يكون فسوق أهل القرية وكفرهم هو سبب وقوع إرادة الله إهلاكهم. وأن الله لا تتعلق إرادته بإهلاك قوم إلا بعد أن يصدر منهم ما توعدهم عليه لا العكس. وليس من شأن الله أن يريد إهلاكهم قبل أن يأتوا بما يسببه، ولا من الحكمة أن يسوقهم إلى ما يفضي إلى مؤاخذتهم ليحقق سببا لإهلاكهم.

وقرينة السياق واضحة في هذا، فبنا أن نجعل الواو عاطفة فعل: {أمرنا مترفيها} على {نبعث رسولا} فإن الأفعال يعطف بعضها على بعض سواء أتحدت في اللوازم أم اختلفت، فيكون أصل نظم الكلام هكذا: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ونأمر مترفي قرية بما نأمرهم به على لسان الرسول فيفسقوا عن أمرنا فيحق عليهم الوعيد فنهلكهم إذا أردنا إهلاكهم.

فكان {وإذا أردنا أن نهلك قرية} شريطة لحصول الإهلاك، أي ذلك بمشيئة الله ولا مكره له، كما دلت عليه آيات كثيرة كقوله: {أو يكبتهم فينقلبوا خائبين **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم} [آل عمران:١٢٧-١٢٨]

وقوله: {أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم} [الأعراف:١٠٠] وقوله: {وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا} [الإنسان:٢٨] وقوله: {عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد} [الإسراء:١٨]. فذكر شريطة المشيئة مرتين.

وإنما عدل عن نظم الكلام بهذا الأسلوب إلى الأسلوب الذي جاءت به الآية لإدماج التعريض بتهديد أهل مكة بأنهم معرضون لمثل هذا مما حل بأهل القرى التي كذبت رسل الله.." (١)

"فنزلت هذه الآية {قل للذين كفروا ستغلبون}.

وأخرج ابن جرير عن قتادة {قد كان لكم آية} عبرة وتفكر.

وأخرج ابن إسحاق ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس {قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله}

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ببدر {وأخرى كافرة} فئة قريش الكفار ، واخرج عبد الرزاق في المصنف عن عكرمة قال : في أهل بدر نزلت (و إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم) (الأنفال الآية ٧) وفيهم نزلت (سيهزم الجمع) (القمر الآية ٤٥) الآية ، وفيهم نزلت (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) (المؤمنون الآية ٦٤) وفيهم نزلت (ليقطع طرفا من الذين كفروا) (آل عمران الآية ١٢٧) وفيهم نزلت (**ليس لك من الأمر شيء**) (آل عمران الآية ١٢٨) وفيهم نزلت (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) (إبراهيم

(١) التحرير والتنوير، ١٤/٤٤

الآية ٢٨) وفيهم نزلت (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء) (الأنعام الآية ٤٧) وفيهم نزلت {قد كان لكم آية في فئتين التقتا} ، واخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن الربيع في قوله {قد كان لكم آية} يقول : قد كان لكم في هؤلاء عبرة ومتفكر ، أيدهم الله ونصرهم على عدوهم وذلك يوم بدر كان المشركون تسعمائة وخمسين رجلا وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود في قوله {قد كان لكم آية في فئتين} الآية ، قال : هذا يوم بدر فنظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ، وذلك قول الله (وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم) (الأنفال الآية ٤٤).

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله {قد كان لكم آية في فئتين} الآية ، قال : أنزلت في التخفيف يوم بدر على المؤمنين كانوا يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وكان المشركون مثليهم ستة وعشرين وستمائة فأيد الله المؤمنين فكان هذا في التخفيف على المؤمنين.

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس أن أهل بدر كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر المهاجرون منهم خمسة وسبعون وكانت هزيمة بدر لسبع عشرة من." (١)

"وأخرج ابن المنذر عن مجاهد {أو يكبتهم} قال : يخزيهم.

وأخرج ابن جرير عن قتادة والربيع ، مثله.

الآيتان ١٢٨ - ١٢٩.

أخرج ابن أبي شيبة وأحمد ، وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه والبيهقي في الدلائل عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال : كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون}.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال : ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٧٥/٣

وقد جرح في وجهه وأصيب بعض رباعيته وفوق حاجبه فقال وسالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله {ليس لك." (١)

"من الأمر شيء} الآية.

وأخرج ابن جرير عن الربيع قال : نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقد شج في وجهه وأصيبت رباعيته فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم فقال : كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى الشيطان ويدعوهم إلى الهدى ويدعونه إلى الضلالة ويدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار فهم أن يدعو عليهم ، فأنزل الله **{ليس لك من الأمر شيء}** الآية فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء عليهم.

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انكشف عنه أصحابه يوم أحد كسرت رباعيته وجرح وجهه فقال وهو يصعد على أحد : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله مكانه **{ليس لك من الأمر شيء}** الآية.

وأخرج عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن المنذر عن قتادة أن رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم أصيبت يوم أحد أصابها عتبة بن أبي وقاص وشجه في وجهه فكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : كيف يفلح قوم صنعوا هذا بنبيهم فأنزل الله **{ليس لك من الأمر شيء}** الآية.

وأخرج أحمد والبخاري والترمذي والنسائي ، وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : اللهم العن." (٢)

"أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام الهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية ، فنزلت هذه الآية **{ليس لك من الأمر شيء}** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} فتيب عليهم كلهم.

وأخرج الترمذي وصححه ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عمر قال : كان

النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على أربعة نفر ، فأنزل الله **{ليس لك من الأمر شيء}** الآية ، فهداهم الله للإسلام.

وأخرج البخاري ومسلم ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه والبيهقي في "سننه"

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٧٦٠/٣

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٧٦١/٣

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع : اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف – يجهر بذلك – وكان يقول في بعض صلاته – في صلاة الفجر – اللهم العن فلان وفلانا ، ، لأحياء من أحياء العرب – يجهر بذلك – حتى أنزل الله {ليس لك من الأمر شيء} وفي لفظ اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله ، ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزل قوله {ليس لك من الأمر شيء} الآية." (١)

"وأخرج عبد بن حميد والنحاس في ناسخه عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن في صلاة الفجر بعد الركوع – في الركعة الآخرة – فقال : اللهم العن فلانا وفلانا – ناسا من المنافقين دعا عليهم – فأنزل الله {ليس لك من الأمر شيء} الآية.

وأخرج ابن إسحاق والنحاس في ناسخه عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : جاء رجل من قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنك تنهى عن السبي يقول : قد سبى العرب ، ثم تحول قفاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكشف أسته فلعنه ودعا عليه ، فأنزل الله {ليس لك من الأمر شيء} الآية ، ثم أسلم الرجل فحسن إسلامه.

الآيات ١٣٠ – ١٣٢.

أخرج الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد قال : كانوا يتبايعون إلى الأجل ، فإذا حل الأجل زادوا عليهم وزادوا في الأجل فنزلت {يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة}.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر عن عطاء قال : كانت ثقيف تداين بني." (٢)

"جعلوا القرآن عضين} والعضين بلسان قريش السحر ، وأمر بعدوانهم فقال : {فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين} ثم أمر بالخروج إلى المدينة فقدم في ثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول ثم كانت وقعة بدر ففيهم أنزل الله (وإن يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم) (الأنفال آية ٥) وفيهم نزلت (سيهزم الجمع) (القمر آية ٤٥) وفيهم نزلت : (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) وفيهم نزلت (ليقطع طرفا من الذين كفروا) (آل عمران آية ١٢٧) وفيهم نزلت (ليس لك من الأمر شيء) أراد الله القوم وأراد رسول الله

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٧٦٢/٣

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٧٦٣/٣

العير وفيهم نزلت (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) (إبراهيم آية ٢٨) الآية ، وفيهم نزلت (قد كان لكم آية في فئتين التقتا) (آل عمران أية ١٣) في شأن العير (والركب أسفل منكم) (الأنفال آية ٤٢) أخذوا أسفل الوادي ، فهذا كله في أهل بدر وكانت قبل بدر بشهرين سرية يوم قتل ابن الحضرمي ثم كانت أحد ثم يوم الأحزاب بعد أحد بسنتين ثم كانت الحديبية - وهو يوم

الشجرة - فصالحهم النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ على أن يعتمر في عام قابل في هذا الشهر ، ففيها أنزلت (الشهر الحرام بالشهر الحرام) (البقرة آية ١٤٩) فشهر العام الأول بشهر العام فكانت (الحرمات قصاص) ثم كان الفتح بعد العمرة ففيها نزلت (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) (المؤمنون آية ٧٧) الآية ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم غزاهم ولم يكونوا عدوا له أهبة القتال ولقد قتل من قريش يومئذ." (١)

"أخرج عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله {ما يفتح الله للناس} قال : ما يفتح الله للناس من باب توبة {فلا مرسل له من بعده} وهم لا يتوبون.

وأخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله {ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده} يقول (ليس لك من الأمر شيء) (آل عمران ١٢٨).

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه في قوله {ما يفتح الله للناس من رحمة} أي من خير {فلا ممسك لها} قال : فلا يستطيع أحد حبسها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه في قوله {ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها} قال : المطر.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن وهب قال : سمعت مالكا يحدث أن أبا هريرة رضي الله عنه كان إذا أصبح في الليلة التي يمطرون فيها وتحدث مع أصحابه قال : مطرنا الليلة بنوء الفتح ثم يتلو {ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها}.

". (٢)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٦١/٨

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢٥٣/١٢

"وأخرج البيهقي عن خالد بن أبي عمران قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على مضر إذ جاءه جبريل فأومأ إليه أن اسكت فسكت فقال يا محمد إن الله لم يبعثك سبابا ولا لعانا وإنما بعثك رحمة للعالمين ولم يبعثك عذابا **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ثم علمه هذا القنوت : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد إليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف ومحمد بن نصر والبيهقي في "سننه" عن عبيد بن عمير أن عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع فقال : بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد ولك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق ، وزعم عبيد أنه بلغه أنهما سورتان من القرآن في مصحف ابن مسعود.

". (١)

" صفحة رقم ٤٢١

والثاني : قلة العدد وضعف الحال .

قال ابن عباس : كان المهاجرين يوم بدر سبعة وسبعين رجلا ، والأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا ، وكان المشركون ما بين تسعمائة وألف .

(آل عمران : (١٢٤ - ١٢٩) إذ تقول للمؤمنين . . . . .

" إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم " ( ) إذ تقول للمؤمنين (يعني يوم بدر .

) ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة ءالآف من الملآئكة منزلين (والكفاية مقدار سد الخلة ، والاكتفاء

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٨١١/١٥

الاقتصار عليه ، والإمداد إعطاء الشيء حالا بعد حال ، والأصل في الإمداد هو الزيادة ومنه مد الماء وهو زيادته .

) بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا (فيه تأويلان :

أحدهما : يعني من وجههم هذا ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة .

والثاني : من غضبهم هذا ، وهو قول مجاهد والضحاك وأبي صالح ، وأصل الفور فور القدر ، وهو غليانها عند شدة الحمى ، ومنه فور الغضب لأنه كفور القدر .

) يمددكم ربكم بخمسة ءالآف من الملائكة مسومين (قرأ بكسر الواو ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو ، ومعناها : أنهم سوموا خليهم بعلامة ، وقرأ الباقون بفتح الواو ، ومعناها : أنها سائمة وهي المرسلة في المرعى .." (١)

" صفحة رقم ٤٢٢

واختلفوا في التسويم على قولين :

أحدهما : أنه كان بالصوف في نواصي الخيل وآذانها ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك .

الثاني : أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق وعليهم عمائم صفر ، وهو قول هشام بن عروة .

واختلفوا في عددهم فقال الحسن : كانوا خمسة آلاف ، وقال غيره كانوا ثمانية آلاف .

قال ابن عباس لم يقاتل الملائكة إلا يوم بدر .

) ليقطع طرفا من الذين كفروا (فيه قولان :

أحدهما : أنه كان يوم بدر بقتل صناديدهم وقادتهم إلى الكفر ، وهذا قول الحسن وقتادة .

والثاني : أنه كان يوم أحد ، كان الذي قتل منهم ثمانية عشر رجلا ، وهذا قول السدي .

) ليقطع طرفا (ولم يقل وسطا لأن الطرف أقرب للمؤمنين من الوسط ، فاختص القطع بما هو إليهم أقرب كما قال تعالى :) الذين يلونكم من الكفار (" [التوبة : ١٢٣]) أو يكبتهم فينقلبوا خآئبين (، وفي) يكبتهم (قولان :

أحدهما : يحزنهم ، وهو قول قتادة ، والربيع .

---

(١) النكت والعيون ، ٤٢١/١

والثاني : الكبت : الصرع على الوجه ، وهو قول الخليل .

والفرق بين الخائب والآيس أن الخيبة لا تكون إلا بعد أمل ، واليأس قد يكون قبل أمل .

) **ليس لك من الأمر شيء** (فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : **ليس لك من الأمر شيء** في عقابهم واستصلاحهم ، وإنما ذلك إلى الله تعالى في أن يتوب عليهم أو يعذبهم .

والثاني : **ليس لك من الأمر شيء** فيما تريده وتفعله في أصحابك وفيهم ، ." (١)

"جهة المعنى ؛ إذ لا يوحي الله لرسول إلا وهو يحاج مخالفيه.

وهذا قول ساقط ؛ إذ لم يثبت ذلك من لسان العرب.

فصل " أحد " يجوز أن تكون - في الآية الكريمة - من الأسماء الملازمة للنفي ، وأن تكون بمعنى " واحد " والفرق بينهما أن الملازمة للنفي همزته أصلية ، والذي لا يلزم النفي همزته بدل من واو فعلى جعله ملازما للنفي يظهر عود الضمير عليه جمعا ؛ اعتبارا بمعناه ؛ إذ المراد به العموم ، وعليه قوله : {فما منكم من أحد عنه حاجزين} [الحاقة : ٤٧] - جمع الخبر لما كان " أحد " في معنى الجميع - وعلى جعله غير اللازم للنفي يكون جمع الضمير في {يحاجوكم} باعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه.

وبعض الأوجه المتقدمة يصح أن يجعل فيها " أحد " - المذكور - الملازم للنفي ، وذلك إذا كان الكلام على معنى الجحد ، وإذا كان الكلام على معنى الثبوت - كما مر في بعض الوجوه فيمتنع جعفه الملازم للنفي.

والأمر واضح مما تقدم.

فصل قرأ ابن كثير : أأن يؤتى - بهمزة استفهام - وهو على قاعدته من كونه يسهل الثانية بين بين من غير مدة بينهما ، وخرجت هذه القراءة على وجوه : أحدها : أن يكون {أن يؤتى } على حذف حرف الجر - وهو لام العلة - والمعلل محذوف تقديره : ألأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه - وتقدم تحقيقه - وهذه اللفظة موضوعة للتوبيخ ، كقوله تعالى : {أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين} [القلم : ١٤ - ١٥] ، والمعنى : أمن أجل أن يؤتى أحد شرائع مثل ما أوتيتم من الشرائع تنكرون اتباعه ؟ ثم حذف الجواب ، للاختصار ، تقديره : أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من

---

(١) النكت والعيون ـ ، ٤٢٢/١

الكتاب والحكمة تحسدونه ، ولا تؤمنون به ، قاله قتادة والربيع ، ,هذا الحذف كثير ؛ يقول الرجل – بعد طول العتاب لصاحبه ، وتعديده عليه ذنوبه بعد قلة إحسانه إليه – : أمن قلة إحساني إليك ؟ أمن إساءتي إليك ؟ والمعنى : أمن هذا فعلت ما فعلت ؟ ونظيره : {أمن هو قانت آنآء الليل ساجدا وقآئما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه} [الزمر : ٩] ، وهذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى بن عمر.

وحينئذ يسوغ في محل " أن " الوجهان – أعني النصب – مذهب سيبويه – والجر مذهب الخليل.

٣٢٥

وثانيها : أن {أن يؤتى } في محل رفع بالابتداء ، والخبر محذوف ، تقديره : أأن يؤتى أحد – يا معشر اليهود – من الكتاب والعلم مثل ما أوتيتم تصدقون به ، أو تعترفون به ، أو تذكرونه لغيركم ، أو تشيعونه في الناس ، ونحو ذلك مما يحسن تقديره ، وهذا على قول من يقول : أزيد ضربته ؟ وهو وجه مرجوح ، كذا قدره الواحدي تبعا للفارسي وأحسن من هذا التقدير لأن الأصل أإتيان أحد مثل ما أوتيتم ممكن أو مصدق به.

الثالث : أن يكون منصوبا بفعل مقدر يفسره هذا الفعل المضمر ، وتكون المسألة من باب الاشتغال ، التقدير : أتذكرون أن يؤتى أحد تذكرونه ؟ ف " تذكرونه " مفسر لـ " تذكرون " الأولى ، على حد : أزيدا ضربته ؟ ثم حذف الفعل الأخير ؛ لدلالة الكلام عليه ، وكأنه منطوق به ، ولكونه في قوة المنطوق به صح له أن يفسر مضمرا وهذه المسألة منصوص عليها ، وهذا أرجح من الوجه قبله ، لأنه مثل : أزيدا ضربته وهو أرجح ، لأجل الطالب للفعل ، ومثل حذف هذا الفعل المقدر لدلالة ما قبل الاستفهام عليه حذف الفعل في قوله تعالى : {آلآن وقد عصيت قبل} [يونس : ٩١] تقديره : آلآن آمنت ، ورجعت وثبت ، ونحو ذلك.

قال الواحدي : فإن قيل : كيف جاز دخول " أحد " في هذه القراءة ، وقد انقطع من النفي ، والاستفهام ، وإذا انقطع الكلام – إيجابا وتقريرا – فلا يجوز دخول " أحد ".

قيل : يجوز أن يكون طأحد " – في هذا الموضع – أحدا الذي في نحو أحد وعشرين ، وهذا يقع في الإيجاب ، ألا ترى أنه بمعنى " واحد ".

قال أبو العباس : إن " أحدا " و " وحدا " و " واحدا " بمعنى.

وقوله : {أو يحاجوكم} ، أو في هذه القراءة – بمعنى " حتى " ، ومعنى الكلام : أأن يؤتى أحد مثل ما

أوتيتم تذكرونه لغيركم حتى يحاجوكم عند ربكم.
قال الفراء : " ومثله في لكلام : تعلق به أو يعطيك حقك.
ومثله قول امرئ القيس : [الطويل] ١٥١٤ - فقلت له : لا تبك عينك إنما
نحاول ملكا أو نموت فنعذرا
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣١٩
أي حتى ، ومن هذا قوله تعالى : **{ليس لك من الأمر شيء}** أو يتوب عليهم} [آل عمران : ١٢٨] ,
ومعنى
٣٢٦
(١) ".

"فصل في معنى الآية قولان : الأول : ليس لك من مصالح عبادي شيء إلا ما أوحي إليك.
وثانيها : ليس لك في أن يتوب الله عليهم ، ولا في أن يعذبهم شيء غلا إذا كان على وفق أمري ، وهو كقوله : {ألا له الحكم} [الأنعام : ٦٢] ، واختلفوا في هذا المنع من اللعن ، لأي معنى كان ؟ فقيل : الحكمة فيه أنه - تعالى - ربما علم من حال بعض الكفار أنه يتوب ، وأنه سيولد له ولد ، يكون مسلما ، برا ، تقيا ، فإذا حصل دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم بالهلاك ، فإن قبلت دعوته فات هذا المقصود ، وإن لم تقبل دعوته كان ذلك كالاستخفاف بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فلأجل هذا المعنى منعه الله تعالى - من اللعن ، وأمره بأن يفوض الكل إلى علم الله سبحانه وتعالى.
وقيل المقصود منه إظهار عجز العبودية وألا يخوض العبد في أسرار الله تعالى.
قوله : {أو يتوب} في نصبه أوجه : أحدها : أنه معطوف على الأفعال المنصوبة قبله ، تقديره : ليقطع ، أو يتوب عليهم ، أو يكبتهم ، أو يعذبهم.
وعلى هذا فيكون قوله : **{ليس لك من الأمر شيء}** جملة معترضة بين المتعاطفين ، والمعنى : إن الله تعالى هو المالك لأمرهم ، فإن شاء قطع طرفا منهم ، أو هزمهم ، أو يتوب عليهم إن أسلموا ورجعوا ، أو يعذبهم إن تمادوا على كفرهم ، وإلى هذا التخريج ذهب جماعة من النحاة كالفراء ، والزجاج.
الثاني : أن " أو " هنا بمعنى " إلا أن "كقولهم : لألزمنك أو تقضين حقي أي : إلا أن تقتضينه.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١١٢٧

الثالث : " أو " بمعنى : " حتى " ، أي : ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب وعلى هذين القولين فالكلام متصل بقوله : {ليس لك من الأمر شيء} ، والمعنى : ليس لك من الأمر شيء إلا أن يتوب عليهم بالإسلام ، فيحصل لك سرور بهدايتهم إليه ، أو يعذبهم بقتل ، أو نار في الآخرة ، فتشقى بهم ، وممن ذهب إلى ذلك الفراء ، وأبو بكر بن الأنباري ، قال الفراء : ومثل هذا من الكلام : لألزمنك أو تعطيني ، على معنى إلا أن تعطيني وحتى تعطيني وأنشدوا في ذلك قول امرئ القيس : [الطويل] ١٦١٣

– فقلت له : لا تبك عينك إنما

تحاول ملكا ، أو تموت ، فنعذرا

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٥٢٨

أراد : حتى تموت ، أو : إلا أن تموت.

٥٣٠

قال شهاب الدين : " وفي تقدير بيت امرئ القيس بـ " حتى " نظر ؛ إذ ليس المعنى عليه ؛ لأنه لم يفعل ذلك لأجل هذه الغاية ، والنحويون لم يقدروه إلا بمعنى : إلا أن ".

الثالث : منصوب بإضمار : " أن " عطفا على قوله : " الأمر " ، كأنه قيل : ليس لك من الأمر أو من توبته عليهم ، أو تعذيبهم شيء ، فلما كان في تأويل الاسم عطف على الاسم قبله ، فهو من باب قوله : [الطويل] ١٦١٤ – فلولا رجال من رزام أعزة

وآل سبيع ، أو أسوءك علقما

وقوله : [الوافر] ١٦١٥ – للبس عباءة ، وتقر عيني

أحب إلي من لبس الشفوف

الرابع : أنه معطوف – بالتأويل المذكور – على " شيء " ، والتقدير : ليس لك من الأمر شيء ، أو توبة الله عليهم ، أو تعذيبهم ، أي : ليس لك – أيضا – توبتهم ولا تعذيبهم ، إنما ذلك راجع إلى الله عز وجل.

وقرأ أبي : أو يتوب ، أو يعذبهم ، برفعهما على الاستئناف في جملة اسمية ، أضمر مبتدؤها ، أي : هو يتوب ، ويعذبهم.

فصل يحتمل أن يكون المراد من هذا العذاب : هو عذاب الدنيا – بالقتل والأسر – وأن يكون عذاب الآخرة ، وعلى التقديرين فعلم ذلك مفوض إلى الله تعالى.

قوله : {فإنهم ظالمون} جملة مستقلة ، والمقصود من ذكرها : تعليل حسن والتعذيب ، والمعنى : إن يعذبهم فبظلمهم.

واعلم أنه إذا كان الغرض من الآية منعه من الدعاء على الكفار صح ذلك ، وسماهم ظالمين ؛ لأن الشرك ظلم ، بل هو أعظم الظلم ؛ لأن الله تعالى قال : {إن الشرك لظلم عظيم} [لقمان : ١٣].

وإن كان الغرض منها منعه من الدعاء على المسلمين الذين خالفوا أمره ، صح الكلام – أيضا – ؛ لأن من عصى الله ، فقد ظلم نفسه.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٥٢٨

والمقصود منه : تأكيد ما ذكره أولا من قوله : **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران : ١٢٨] ، والمعنى :

٥٣١

". (١)

"أي بإرسال ، بمعنى رسالة.

و " للناس " يتعلق بـ " أرسلناك " ، واللام للعلة.

وأجاز أبو البقاء أن يكون حالا من " رسولا "كأنه جعله في الأصل صفة للنكرة فقدم عليها ، وفيه نظر.

فصل وهذا يدل على أن المراد من هذه الآيات إسناد جميع الأمور إلى الله – تعالى – ؛

٥١٥

لأن المعنى : ليس لك إلا الرسالة والتبليغ ، وقد فعلت وما قصرت ، " وكفى بالله شهيدا " على جدك وعدم تقصيرك في أداء الرسالة وتبليغ الوحي ، فأما حصول الهداية فليس إليك ، بل إلى الله ؛ ونظيره قوله – تعالى – : **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران : ١٢٨] ، وقوله : {إنك لا تهدي من أحببت} [القصص : ٥٦].

وقيل المعنى : وكفى بالله شهيدا على إرسالك وصدقك ، وقيل : وكفى بالله شهيدا على أن الحسنة والسيئة كلها من الله.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٥١٠

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/١٢٣٧

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أحبني فقد أحب الله " فقال بعض المنافقين : ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا ؛ كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربا ؛ فأنزل الله – عز وجل – : " من يطع الرسول " فيما أمره [الله] " فقد أطاع الله " ، " ومن تولى " : عن طاعته " فما أرسلناك " يا محمد " عليهم حفيظا " أي : حافظا ورقيبا ، بل كل أمورهم إلى الله – تعالى – ، ولا تغتم بسبب توليهم ولا تحزن ، والمراد : تسلية الرسول – عليه الصلاة والسلام – .

قيل : نسخ الله – عز وجل – هذه الآية بآية السيف ، وأمره بقتال من خالف الله ورسوله.

قوله : " حفيظا " : حال من كاف " أرسلناك " و " عليهم " متعلق بـ " حفيظا " ، وأجاز فيه أبو البقاء ما تقدم في " للناس ".

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٥١٥

في رفع " طاعة " : وجهان : أحدهما : أنه خبر مبتدأ مضمر ، تقديره : " أمر طاعة " ولا يجوز إظهار هذا المبتدأ ؛ لأن الخبر مصدر بدل من اللفظ بفعله.

والثاني : أنه مبتدأ والخبر محذوف ، أي : منا طاعة ، أو : عندنا طاعة ، قال مكي : " ويجوز في الككم النصب على المصدر ".

قوله : " فإذا برزوا " [وأخرجوا] ، من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول.

٥١٦

أدغم أبو عمرو وحمزة : تاء " بيت " في طاء " طائفة " لتقاربهما ، ولم يلحق الفعل علامة تأنيث ؛ لكونه مجازيا ، و " منهم " : صفة لـ " طائفة " ، والضمير في " تقول " يحتمل أن يكون ضمير خطاب للرسول – عليه السلام – ، أي " غير الذي تقوله وترسم به يا محمد ، ويؤيده قراءة عبد الله : " بيت مبيت منهم " ، وأن يكون غيبة للطائفة ، أي : تقول هي.

وقرأ يحيى بن يعمر : " يقول " بياء الغيبة ، فيحتمل أن يعود الضمير على الرسول بالمعنى المتقدم ، وأن يعود على الطائفة ، ولم يرنث الضمير ؛ لأن الطائفة في معنى الفريق والقوم.

قال الزمخشري : " بيت طائفة " أي : زورت وسوت " غير الذي تقول " : خلاف ما قلت وما أمرت به ، أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة ؛ لأنهم أضمروا الرد لا القبول.

قال الزجاج : كل أمر تفكر فيه وتؤول في مصالحه ومفاسده كثيرا ، قيل : هذا أمر مبيت ؛ قال – تعالى

- : {إذ يبيتون ما لا يرضى من القول} [النساء : ١٠٨] ، وقال قتادة والكلبي : بيت ، أي : غير وبدل الذي عهد إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون التبييت بمعنى : التبديل.

وقال أبو عبيدة : والتبييت معناه : قالوا وقدروا ليلا ما أعطوك نهارا ، وكل ما قدر بليل فهو مبيت.

وقال أبو الحسن الأخفش : تقول العرب للشيء إذا قدر : بيت ، يشبهونه بتقدير بيوت الشعر ، وفي اشتقاقه وجهان : أحدهما : أم أصلح الأوقات للفكر أن يجلس الإنسان في بيته بالليل ، فهناك تكون الخواطر أجلى والشواغل أقل ، فلما كان الغالب أن الإنسان وقت الليل يكون في البيت ،

٥١٧

." (١)

"" صفحة رقم ٤٤٠ "

النصر و

) مسومين (بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين انفسهم أو خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم

وعن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق

وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انه قال لأصحابه

٢٠٥ (تسوموا فإن الملائكة قد تسومت)

) وما جعله الله (

الهاء لأن يمدكم أي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بأنكم تنصرون

) ولتطمئن قلوبكم به (

كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم

" وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٥٤٢

" العزيز "

الذي لا يغالب في حكمه

" الحكيم "

الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة

" ليقطع طرفا من الذين كفروا "

ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم

" أو يكبتهم "

أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة

" فينقلبوا خائبين "

غير ظافرين بمبتغاهم

ونحوه

" ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا " الأحزاب ٢٥ ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول أبي الطيب

(لأكبت حاسدا وأرى عدوا)

هو من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله

" ولقد نصركم الله "

أو بقوله

" وما النصر الا من عند الله "

آل عمران ١٢٨ - ١٢٩

آل عمران : (١٢٨ - ١٢٩) ليس لك من . . . . .

" أو يتوب " عطف على ما قبله

و

" **ليس لك من الأمر شيء** "

اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فإما يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا او يعذبهم إن أصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء إنما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان

" يتوب "

منصوب." (١)

"٢٧٠

سورة آل عمران ١٢٨

قوله تعالى " **ليس لك من الأمر شيء** " روى جويبر عن الضحاك قال لما كان يوم أحد كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم وأدمي ساقه وقتل سبعون رجلا من الصحابة فهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المشركين فأنزل الله تعالى " **ليس لك من الأمر شيء** " يعني ليس لك من الحكم شيء " أو يتوب عليهم " يعني كفار قريش يهديهم إلى الإسلام وقال الكلبي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلعن الذين انهزموا من الصحابة يوم أحد فنزل " **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم " يعني الذين انهزموا " أو يعذبهم فإنهم ظالمون " قال فلما نزلت هذه الآية كف ولم يلعن المشركين لأنه سيؤمن كثير منهم وقد آمن كثير منهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم

قال مقاتل كان سبعون رجلا من أصحاب الصفة خرجوا إلى الغزو محتسبين فقتل السبعون جميعا فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فدعا الله تعالى عليهم أربعين يوما في صلاة الغداة فأنزل الله قوله تعالى " **ليس لك من الأمر شيء** " ويقال معنى قوله " أو يتوب عليهم " حتى يتوب عليهم " أو يعذبهم " إن لم يكونوا من أهل التوبة

سورة آل عمران ١٢٩

ثم عظم نفسه فقال " ولله ما في السموات وما في الأرض " يعني جميع الخلق في ملكه وعبيدة " يغفر لمن يشاء " وقال الضحاك يغفر لمن يشاء الذنب العظيم " ويعذب من يشاء " على الذنب الصغير يعني إذا أصر على ذلك " والله غفور رحيم " في تأخير العذاب عنهم حيث لم يعاقبهم قبل توبتهم

سورة آل عمران ١٣٠ - ١٣١

قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة " قال الزجاج يعني لا تضاعفوا أموالكم بالربا

---

(١) تفسير الكشاف.، ١/٤٤٠

وقال القتبي هو ما يضاعف منها شيء بعد شيء ويقال " أضعافا " عند البيع يبيعه بأكثر من قيمته مضاعفة بعد العقد أن يزيده في الأجل ويزيد في المال ويقال المضاعفة هي نعت الأضعاف كما قال تعالى " حلالا طيبا " البقرة ١٦٨ وغيرها والطيب هو نعت الحلال

ثم قال تعالى " واتقوا الله " أي في الربا فلا تستحلوه " لعلكم تفلحون " لكي تنجوا من العذاب ثم خوفهم فقال " واتقوا النار التي أعدت للكافرين " يعني خلقت وهيئت للكافرين وقالت المعتزلة من أتى بالكبيرة ومات عليها فإنه يخلد في النار كالكفار لأنه وعد لأكل الربا." (١)

"٤١٢٨- حدثنا محمد بن العباس، ثنا زنيج، ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: يقول الله: " " والله وليهما " أي الدافع عنهما ما همتا به من فشلهما".

قوله تعالى: " وعلى الله فليتوكل المؤمنون "

٤١٢٩- وبه قال: قال محمد بن إسحاق يقول الله تعالى: " " وعلى الله فليتوكل المؤمنون " أي من كان به ضعف من المؤمنين أو وهن، فليتوكل علي أعنه على أمره وأدفع عنه، حتى أبلغ به وأقويه على نيته".

قال تعالى:

{ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملآئكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملآئكة مسومين * وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم * ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خآئبين * **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون }

قوله تعالى: " ولقد نصركم الله ببدر " ." (٢)

"قوله تعالى: " فينقلبوا خائبين "

٤١٧٣- حدثنا محمد بن العباس، ثنا زنيج، ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: " " فينقلبوا خائبين " أي ويرجع من بقي منهم فلا خائبين، لم ينالوا شيئا مما كانوا يأملون".

---

(١) بحر العلوم .، ١/٢٧٠

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٥٧/٣

قوله تعالى: " **ليس لك من الأمر شيء** "

٤١٧٤- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو بكر بن عياش، قال: سمعت حميدا الطويل، عن أنس بن مالك قال: لما كان يوم أحد شج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته، فجعل يمسح الدم عن وجهه، ويقول: "كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم، وهويدعوهم إلى ربهم، فنزل إليه جبريل فقال: " **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون " ".

والوجه الثاني:

٤١٧٥- حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن سالم بن عبد الله، عن ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في صلاة الفجر حين رفع رأسه من الركعة قال: "ربنا ولك الحمد، في الركعة الآخرة: اللهم العن فلانا وفلانا ، ثم قال: " **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون " ".." (١)

"٤١٧٦- أخبرنا يونس بن عبد الأعلى، قراءة، أنبأ ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أخبرني سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، أنهما سمعا أبا هريرة يقول: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يرفع من صلاة الفجر من القراءة ويكبر يرفع رأسه يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، ثم يقول وهوقائم: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعةوالمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف، اللهم العن لحيانا ، ورعلا وذكوان، وعصية عصت الله ورسوله، ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت: " **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون " ".

٤١٧٧- حدثنا محمد بن العباس، ثنا زنيج، ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: " " **ليس لك من الأمر شيء** " أي: ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم".

قوله تعالى: " أو يتوب عليهم " ." (٢)

"٤١٧٨- حدثنا أبي، ثنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي، ثنا خالد بن الحارث، ثنا محمد بن الحارث، ثنا محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم"يدعوعلى

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٦٧/٣

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٦٨/٣

أربعة، فأنزل الله تعالى: " **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون " قال: قد هداهم الله".

٤١٧٩- حدثنا محمد بن العباس، ثنا زنيج، ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: " " **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم " قال: أو يتوب عليهم برحمتي، فإن شئت فعلت".

قوله تعالى: " أو يعذبهم "

٤١٨٠- وبه قال: قال محمد بن إسحاق: " " **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم " أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم، أو أتوب عليهم برحمتي، فإن شئت فعلت، أو أعذبهم بذنوبهم فحق".

قوله تعالى: " فإنهم ظالمون "

٤١٨١- وبه قال ابن إسحاق: " " فإنهم ظالمون " أي قد استحقوا ذلك بمعصيتهم إياي".

قال تعالى:

{ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم * يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون * واتقوا النار التي أعدت للكافرين * وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون }." (١)

"٧٩٠١- حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله:" " ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا " ، ونحو هذا من القرآن، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس، ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له في الذكر الأول، يقول: " **ليس لك من الأمر شيء** " ".

٧٩٠٢- أخبرنا محمد بن سعيد فيما كتب إلي، حدثني أبي، حدثني عمي، عن أبيه، عن عطية، عن ابن عباس، قوله: " ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا " ، يقول:"يرد الله أن يضله يضيق الله عليه حتى يجعل الإسلام عليه ضيقا، والإسلام واسع"، وذلك حين يقول: " ما جعل عليكم في الدين من حرج " ، يقول:"ما جعل عليكم من ضيق".

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٦٩/٣

قوله: " حرجا "

٧٩٠٣- حدثنا أبو عبد الله محمد بن حماد الطهراني، أنبأ حفص بن عمر، أنبأ الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله:" " ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا " ، يقول: شاكا".

الوجه الثاني:

٧٩٠٤- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو يحيى الحماني، عن نضر، عن عكرمة، عن ابن عباس، " " حرجا " ، قال: ضيقا". وروي عن أبي العالية، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والقاسم بن محمد، مثل ذلك." (١)

"عن قتادة، رضي الله عنه، في قوله:" " فاطر السماوات والأرض " ، قال: خالق السماوات والأرض، " جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع " ، قال: بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة أجنحة، وبعضهم له أربعة أجنحة".

قوله تعالى: " يزيد في الخلق ما يشاء "

عن السدي، رضي الله عنه، في قوله:" " يزيد في الخلق ما يشاء " ، يزيد في أجنحتهم وخلقهم ما يشاء"

عن الزهري، رضي الله عنه، في قوله:" " يزيد في الخلق ما يشاء " ، قال: حسن الصوت".

قوله تعالى: " ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده "

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله:" " ما يفتح الله للناس " ، قال: ما يفتح الله للناس من باب توبة، " فلا مرسل له من بعده " ، وهم لا يتوبون"

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله:" " ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده " ، يقول: **ليس لك من الأمر شيء**"

عن قتادة، رضي الله عنه، في قوله:" " ما يفتح الله للناس من رحمة " ، أي من خير، " فلا ممسك لها " ، قال: فلا يستطيع أحد حبسها"

عن السدي، رضي الله عنه، في قوله:" " ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها " ، قال: المطر"." (٢)

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٨٢/٥

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٢٩/١٢

"يخبر تعالى أن نصره عباده المؤمنين لأحد أمرين: إما أن يقطع طرفا من الذين كفروا، أي: جانبا منهم وركنا من أركانهم، إما بقتل، أو أسر، أو استيلاء على بلد، أو غنيمة مال، فيقوى بذلك المؤمنون ويذل الكافرون، وذلك لأن مقاومتهم ومحاربتهم للإسلام تتألف من أشخاصهم وسلاحهم وأموالهم وأرضهم فبهذه الأمور تحصل منهم المقاومة والمقاتلة فقطع شيء من ذلك ذهاب لبعض قوتهم، الأمر الثاني أن يريد الكفار بقوتهم وكثرتهم، طمعا في المسلمين، ويمنوا أنفسهم ذلك، ويحرصوا عليه غاية الحرص، ويبذلوا قواهم وأموالهم في ذلك، فينصر الله المؤمنين عليهم ويردهم خائبين لم ينالوا مقصودهم، بل يرجعون بخسارة وغم وحسرة، وإذا تأملت الواقع رأيت نصر الله لعباده المؤمنين دائرا بين هذين الأمرين، غير خارج عنهما إما نصر عليهم أو خذل لهم. [ص ١٤٧]

{ ١٢٨ - ١٢٩ } { **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون * ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم } .

لما جرى يوم "أحد" ما جرى، وجرى على النبي صلى الله عليه وسلم مصائب، رفع الله بها درجته، فشج رأسه وكسرت رباعيته، قال "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم" وجعل يدعو على رؤساء من المشركين مثل أبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، أنزل الله تعالى على رسوله نهيا له عن الدعاء عليهم باللعنة والطرد عن رحمة الله { **ليس لك من الأمر شيء** } إنما عليك البلاغ وإرشاد الخلق والحرص على مصالحهم، وإنما الأمر لله تعالى هو الذي يدبر الأمور، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، فلا تدع عليهم بل أمرهم راجع إلى ربهم، إن اقتضت حكمته ورحمته أن يتوب عليهم ويمن عليهم بالإسلام فعل، وإن اقتضت حكمته إبقاءهم على كفرهم وعدم هدايتهم، فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم وضروها وتسببوا بذلك، فعل، وقد تاب الله على هؤلاء المعينين وغيرهم، فهداهم للإسلام رضي الله عنهم، وفي هذه الآية مما يدل على أن اختيار الله غالب على اختيار العباد، وأن العبد وإن ارتفعت درجته وعلا قدره قد يختار شيئا وتكون الخيرة والمصلحة في غيره، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء فغيره من باب أولى ففيها أعظم رد على من تعلق بالأنبياء أو غيرهم من الصالحين وغيرهم، وأن هذا شرك في العبادة، نقص في العقل، يتركون من الأمر كله له ويدعون من لا يملك من الأمر مثقال ذرة، إن هذا لهو الضلال البعيد، وتأمل كيف لما ذكر تعالى توبته عليهم أسند الفعل إليه، ولم يذكر منهم سببا موجبا لذلك، ليدل ذلك على أن النعمة محض فضله على عبده، من غير سبق سبب من العبد ولا وسيلة، ولما

ذكر العذاب ذكر معه ظلمهم، ورتبه على العذاب بالفاء المفيدة للسببية، فقال { أو يعذبهم فإنهم ظالمون } ليدل ذلك على كمال عدل الله وحكمته، حيث وضع العقوبة موضعها، ولم يظلم عبده بل العبد هو الذي ظلم نفسه، ولما نفى عن رسوله أنه ليس له من الأمر شيء قرر من الأمر له فقال { ولله ما في السماوات وما في الأرض } من الملائكة والإنس والجن والحيوانات والأفلاك والجمادات كلها، وجميع ما في السماوات والأرض، الكل ملك لله مخلوقون مدبرون متصرف فيهم تصرف المماليك، فليس لهم مثقال ذرة من الملك، وإذا كانوا كذلك فهم دائرون بين مغفرته وتعذيبه فيغفر لمن يشاء بأن يهديه للإسلام فيغفر شركه ويمن عليه بترك العصيان فيغفر له ذنبه، { ويعذب من يشاء } بأن يكله إلى نفسه الجاهلة الظالمة المقتضية لعمل الشر فيعمل الشر ويعذبه على ذلك، ثم ختم الآية باسمين كريمين دالين على سعة رحمته وعموم مغفرته وسعة إحسانه وعميم إحسانه، فقال { والله غفور رحيم } ففيها أعظم بشارة بأن رحمته غلبت غضبه، ومغفرته غلبت مؤاخذته، فالآية فيها الإخبار عن حالة الخلق وأن منهم من يغفر الله له ومنهم من يعذبه، فلم يختمها باسمين أحدهما دال على الرحمة، والثاني دال على النقمة، بل ختمها باسمين كليهما يدل على الرحمة، فله تعالى رحمة وإحسان سيرحم بها عباده لا تخطر ببال بشر، ولا يدرك لها وصف، فنسأله تعالى أن يتغمدنا ويدخلنا برحمته في عباده الصالحين.

تم السفر الأول من هذا التفسير المبارك بيسر من الله وإعانة، فله الحمد والشكر والثناء، وأسأله المزيد من فضله وكرمه وإحسانه، ويليه المجلد الثاني، أوله قول الباري جل جلاله { يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة } الآية وذلك في تسع وعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ١٣٤٣ ثلاث وأربعين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية وصلى الله على محمد وسلم تسليما كثيرا بقلم جامعه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه وإخوانه المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

المجلد الثاني من تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن لجامعه الفقير إلى الله: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين.بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا قال تعالى:." (١)

---

(١) تفسير السعدي، ص/١٤٦

"{ ٢٠٣ } { وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون } .

أي لا يزال هؤلاء المكذبون لك في تعنت وعناد، [ص ٣١٤] ولو جاءتهم الآيات الدالة على الهدى والرشاد، فإذا جئتهم بشيء من الآيات الدالة على صدقك لم ينقادوا.

{ وإذا لم تأتهم بآية } من آيات الاقتراح التي يعينونها { قالوا لولا اجتبيتها } أي: هلا اخترت الآية، فصارت الآية الفلانية، أو المعجزة الفلانية كأنك أنت المنزل للآيات، المدبر لجميع المخلوقات، ولم يعلموا أنه **ليس لك من الأمر شيء**، أو أن المعنى: لولا اخترعتها من نفسك.

{ قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي } فأنا عبد متبع مدبر، والله تعالى هو الذي ينزل الآيات ويرسلها على حسب ما اقتضاه حمده، وطلبته حكمته البالغة، فإن أردتم آية لا تضمحل على تعاقب الأوقات، وحجة لا تبطل في جميع الآنات، فـ { هذا } القرآن العظيم، والذكر الحكيم { بصائر من ربكم } يستبصر به في جميع المطالب الإلهية والمقاصد الإنسانية، وهو الدليل والمدلول فمن تفكر فيه وتدبره، علم أنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبه قامت الحجة على كل من بلغه، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، وإلا فمن آمن، فهو { هدى } له من الضلال { ورحمة } له من الشقاء، فالمؤمن مهتد بالقرآن، متبع له، سعيد في دنياه وأخراه.

وأما من لم يؤمن به، فإنه ضال شقي، في الدنيا والآخرة.." (١)

"{ ٣٨ - ٣٩ } { ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب * يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب } .

أي: لست أول رسول أرسل إلى الناس حتى يستغربوا رسالتك، { ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية } فلا يعيبك أعداؤك بأن يكون لك أزواج وذرية، كما كان لإخوانك المرسلين، فلأي شيء يقدحون فيك بذلك وهم يعلمون أن الرسل قبلك كذلك؛ إلا لأجل أغراضهم الفاسدة وأهوائهم؟ وإن طلبوا منك آية اقترحوها **فليس لك من الأمر شيء**.

{ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله } والله لا يأذن فيها إلا في وقتها الذي قدره وقضاه، { لكل أجل كتاب } لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، فليس استعجالهم بالآيات أو بالعذاب موجبا لأن يقدم الله ما

---

(١) تفسير السعدي، ص/٣١٣

كتب أنه يؤخر مع أنه تعالى فعال لما يريد.

{ يمحوا الله ما يشاء } من الأقدار { ويثبت } ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير لأن ذلك محال على الله، [ص ٤٢٠] أن يقع في علمه نقص أو خلل ولهذا قال: { وعنده أم الكتاب } أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له وشعب.

فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسبابا ولمحوها أسبابا، لا تتعدى تلك الأسباب، ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامة، وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ.." (١)

"{ ٢٨ - ٣٠ } { وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون } .

يخبر تعالى أنه ما أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم، إلا ليبشر جميع الناس بثواب الله، ويخبرهم بالأعمال الموجبة لذلك، وينذرهم عقاب الله، ويخبرهم بالأعمال الموجبة له، **فليس لك من الأمر شيء**، وكل ما اقترح عليك أهل التكذيب والعناد، فليس من وظيفتك، إنما ذلك بيد الله تعالى، { ولكن أكثر الناس لا يعلمون } أي: ليس لهم علم صحيح، بل إما جهال، أو معاندون لم يعملوا بعلمهم، فكأنهم لا علم لهم. ومن عدم علمهم، جعلهم عدم الإجابة لما اقترحوه على الرسول، موجبا لرد دعوته.

فمما اقترحوه، استعجالهم العذاب، الذي أنذرهم به فقال: { ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين } وهذا ظلم منهم. فأي ملازمة بين صدقه، وبين الإخبار بوقت وقوعه؟ وهل هذا إلا رد للحق، وسفه في العقل؟ أليس النذير [في أمر] في أحوال الدنيا، لو جاء قوما، يعلمون صدقه ونصحه، ولهم عدو ينتهز الفرصة منهم ويعد لهم فقال لهم: تركت عدوكم قد سار، يريد اجتياحكم واستئصالكم. فلو قال بعضهم: إن كنت صادقا، فأخبرنا بأية ساعة يصل إلينا، وأين مكانه الآن؟ فهل يعد هذا القائل عاقلا أم يحكم بسفهه وجنونه؟

---

(١) تفسير السعدي، ص/٤١٩

هذا، والمخبر يمكن صدقه وكذبه، والعدو قد يبدو له غيرهم، وقد تنحل عزيمته، وهم قد يكون بهم منعة يدافعون بها عن أنفسهم، فكيف بمن كذب أصدق الخلق، المعصوم في خبره، الذي لا ينطق عن الهوى، بالعذاب اليقين، الذي لا مدفع له، ولا ناصر منه؟! أليس رد خبره بحجة عدم بيانه وقت وقوعه من أسفه السفه؟"." (١)

"من الكفار، أو ينقلبوا بغيظهم، لم ينالوا خيرا، كما أرجعهم يوم الخندق، بعدما كانوا قد أتوا على حرد قادرين، أرجعهم الله بغيظهم خائبين.

{١٢٨} { **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون } لما أصيب -صلى الله عليه وسلم- يوم "أحد" وكسرت رباعيته، وشج في رأسه، جعل يقول: (كيف يفلح قوم، شجوا وجه نبيهم، وكسروا رباعيته) ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وبين أن الأمر كله لله، وأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليس له من الأمر شيء، لأنه عبد من عبيد الله، والجميع تحت عبودية ربهم، مدبرون لا مدبرون.

وهؤلاء الذين دعوت عليهم، أيها الرسول، أو استبعدت فلاحهم وهدايتهم، إن شاء الله تاب عليهم، ووفقهم للدخول في الإسلام، وقد فعل، فإن أكثر أولئك هداهم الله فأسلموا. وإن شاء عذبهم، فإنهم ظالمون، مستحقون لعقوبات الله وعذابه.

{١٢٩} { ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم } يخبر تعالى، أنه هو المتصرف في العالم العلوي والسفلي، وأنه يتوب على من يشاء، فيغفر له، ويخذل من يشاء، فيعذبه.

{ والله غفور رحيم } فمن صفته اللازمة، كمال المغفرة والرحمة، ووجود مقتضياتهما في الخلق والأمر، يغفر للتائبين، ويرحم من قام بالأسباب الموجبة للرحمة، قال تعالى: { وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون }

تم الجزء المجلد الأول من تيسير الرحيم الرحمن في تفسير القرآن بخط مؤلفه عبد الرحمن الناصر بن سعدي ٩ ربيع أول ١٣٤٣ غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ويليه المجلد الثاني أوله { يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا }." (٢)

---

(١) تفسير السعدي، ص/٦٨٠

(٢) تفسير السعدي، ص/٩٧٤

" صفحة رقم ١٥١

على كفرهم فيديم عذابهم مع عافيتهم منهم ؛ ورأيت في سير الإمام محمد بن عمر الواقدي ما يدل على تعليقه بجعل من قوله : (وما جعله الله إلا بشرى (أو بقوله : (ولتطمئن (وهو حسن أيضا .

آل عمران : (١٢٨ - ١٣٠) ليس لك من. .. . . .

) **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشآء ويعذب من يشآء والله غفور رحيم يآأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (( )

ولما كان (صلى الله عليه وسلم) حريصا على طلب الإالة عليهم ليمثل بهم كما مثلوا بعمه حمزة وعدة من أصحابه رضي الله عنهم قال تعالى : (**ليس لك من الأمر**) أي فيهم ولا غيرهم) شيء (موسطا له بين المتعاطفات ، يعني من الإدالة عليهم بقتل أو هزيمة تدرك بهما ما تريد ، بل الأمر له كله ، إن أراد فعل بهم ما تريد ، وإن أراد منءك منه بالتوبة عليهم أو إماتتهم على الكفر حتق الأنف فيتولى هو عذابهم ، وذلك معنى قوله : (أو يتوب عليهم) أي كلهم بما يكشف عن قلوبهم من حجاب الغفلة فيرجعوا عما هم عليه من الظلم) أو يعذبهم (كلهم بأيديكم بأن تستأصلوهم فلا يفلت منهم أحد ، أو يعذبهم النصر عليكم وغيره مما هو لهم في صورة النعم الموجب لزيادة عقابهم .

ثم علل الأقسام الأربعة بقوله : (فإنهم ظالمون (وفي لامغازي من صحيح البخاري معلقا عن حنظلة بن أبي سفيان قال : سمعن سالم بن عبد الله قال : (كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت) **ليس لك من الأمر شيء** (- إلى قوله : (ظالمون ( ) ورواه موصولا في المغازي والتفسير والاعتصام عن سالم عن أبيه بغير هذا اللفظ ، وفيه (اللهم العن فلانا وفلانا) ولما كان التقدير : بل الأمر له سبحانه وحده عطف عليه قوله - مبنيا لقدرته على ما قدم من فعله بهم على وجه أعم - : (والله) أي الملك الأعظم وحده) ما في السموات) أي كلها على عظمها من عاقل وغيره ، وعبر ب (ما) لأن غير العاقل أكثر وهي به أجدر) وما في الأرض (كذلك ملكا وملكا فهو يفعل في ملكه وملكه ما يشاء ، وفي التعبير ب (ما) أيضا إشارة إلى أن الكفرة الذين السياق لهم في عداد ما لا يعقل .." (١)

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١٥١/٢

" صفحة رقم ١٥٢

ولما كانت الأقسام كلها راجعة إلى قسمين : عافية وعذاب ، قال – مترجما لذلك مقررا لقوله :

٧٧ ( ) **ليس لك من الأمر شيء** ( ) ٧

[آل عمران : ١٢٨] : (يغفر لمن يشاء) أي منهم ومن غيرهم فيعطيه ما يشاء من خيري النيا والآخرة ويغنيه عن الربا وغيره) ويعذب من يشاء (بالمنع عما يريد من خيري الدارين ، لا اعتراض عليه ، فلو عذب الطائع ونعم العاصي لحسن منه ذلك ، ولا يقبح منه شيء ، ولا اعتراض بوجه عليه ، هذا مدلول الآية وهو لا يقتضي أنه يفعل أو لا يفعل .

ولما كان (صلى الله عليه وسلم) لشدة غيظه عليهم في الله جديرا بالانتقام منهم بدعاء أو غيره أشار له سبحانه إلى العفو للحث على التخلق بأخلاق الله الذي سبقت رحمته غضبه بقوله : (والله) أي المختص بالجلال والإكرام) غفور رحيم) أي محاء للذنوب عينا وأثرا ، مكرم بعد ذلك بأنواع الإكرام ، فانطبق ذلك على إيضاح

٧٧ ( ) ليس لك ( ) ٧

[آل عمران : ١٢٨] وإفهامه الموجب لاعتقاد أن يكون له سبحانه وتعالى الأمر وحده .

ولما أنزل عليه ذلك وما في آخر النحل مما للصابرين والعافين حرم المثلة واشتد نهيه (صلى الله عليه وسلم) عنها ، فكان لا يخطب خطبة إلا منع منها .

ولما كان الختم بهاتين الصفتين ربما أطمع في انتهاك الحرمات لاتباع الشهوات فكان مبعدا لمتعاطيه من الرحمة مدنيا من النقمة ، وكان أعظم المقتضيات للخذلان تضييعهم للثغر الذي أمرهم النبي (صلى الله عليه وسلم) بحفظه بسبب إقبالهم قبل إتمام هزيمة العدو على الغنائم للزيادة في الأعراض الدنيوية التي هي معنى الربا في اللغة إذ هو مطلق الزيادة أقبل تعالى عليهم بقوله : (ياأيها الذين آمنوا) أي اقروا بافيمان ، صدقوا إيمانكم بأن) لا تأكلوا الربا) أي المقبح فيما تقدم أمره غاية التقبيح ، وهو كما ترى إقبال متلطف مناد لهم باسم الإيمان الناظر إلى الإنفاق المعرض عن التحصيل

٧٧ ( ) ومما رزقناهم ينفقون ( ) ٧

[البقرة : ٣] ؛

٧٧ ( ) والمنفقين والستغفرين بالأسحار ( ) ٧

[آل عمران : ١٧] ؛
٧٧ ( ) لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ( ) ٧
[آل عمران : ٩٢] ناه عن الالتفات إلى الدنيا بالإقبال على غنيمة أو غيرها بطريق افشارة بدلالة التضمن ، إذ المطلق جزء المقيد ، ففي هذه العبارة التي صريحها ناه عن الإقبال على الدنيا إقبالا يوجب الإعراض عن الآخرة باستباحة أكل الربا المتقدم في البقرة من النهي عنه من المبالغة ما يردع من له أدنى تقوى ، ويوجب لمن لم يتركه وما يقاربه الضمان بالخذلان في كل زمان
٧٧ ( ) فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ( ) ٧
[البقرة : ٢٧٨] ،
٧٧ ( ) أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ( ) ٧
[البقرة : ٨٦] ولما كان في تركه الإثخان في العدو بعد زوال المانع منه بالهزيمة مع أن فيه من." (١)

"{ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خآئبين} الطرف : من قتل ببدر هم سبعون من رؤساء قريش ، أو من قتل بأحد وهم إثنان وعشرون رجلا على الصحيح. وقال السدي : ثمانية عشر ، أو مجموع المقتولين في الوقعتين ثلاثة أقوال. وكنى عن الجماعة بقوله : طرفا ، لأن من قتله المسلمون في حرب هم طرف من الكفار ، إذ هم الذين يلون القاتلين ، فهم حاشية منهم. فكان جميع الكفار رفقة ، وهؤلاء المقتولون طرفا منها. قيل : ويحتمل أن يراد بقوله : طرفا دابرا أي آخرا ، وهو راجع لمعنى الطرف ، لأن آخر الشيء طرف منه {أو يكبتهم} : أي ليخزيهم ويغيظهم ، فيرجعوا غير ظافرين بشيء مما أملوه. ومتى وقع النصر على الكفار ، فإما بقتل ، وإما بخيبة ، وإما بهما. وهو كقوله : {ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا } . وقرأ الجمهور أو تكبتهم بالتاء. وقرأ لاحق بن حميد : أو يكبدهم بالدال مكان التاء ، والمعنى : يصيب الحزن كبدهم. وللمفسرين في يكبتهم أقوال : يهزمهم قاله : ابن عباس والزجاج ، أو يخزيهم قاله : قتادة ومقاتل ، أو يصرعهم قاله. أبو عبيدة واليزيدي ، أو يهلكهم قاله : أبو عبيدة. أو يلعنهم قاله : السدي. أو يظفر عليهم قاله : المبرد. أو يغيظهم قاله : النضر بن شميل ، واختاره ابن قتيبة. وأما قراءة لاحق فهي من إبدال الدال بالتاء كما قالوا. هوت الثوب وهرده إذا حرفه ، وسبت رأسه وسبده إذا حلقه ، فكذلك كبت العدو وكبده أي أصاب كبده.

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/١٥٢

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٤
واللام في ليقطع يتعلق قيل : بمحذوف تقيديره أمدكم أو نصركم. وقال الحوفي : يتعلق بقوله : {ولقد نصركم الله} أي نصركم ليقطع. قال : ويجوز أن يتعلق بقوله : {وما النصر إلا من عند الله} . ويجوز أن تكون متعلقة بيمددكم. وقال ابن عطية : وقد يحتمل أن تكون اللام متعلقة بجعله ، وقيل : هو معطوف على قوله. ولتطمئن ، وحذف حرف العطف منه ، التقدير : {ولتطمان قلوبكم بها} ، وتكون الجملة من قوله : وما النصر إلا من عند الله اعتراضية بين المعطوف عليه والمعطوف. والذي يظهر أن تتعلق بأقرب مذكور وهو :
٥٢
العامل في من عند الله وهو خبر المبتدأ. كأن التقدير : وما النصر إلا كائن من عند الله ، لا من عند غيره. لأحد أمرين : إما قطع طرف من الكفار بقتل وأسر ، وإما بخزي وانقلاب بخيبة. وتكون الألف واللام في النصر ليست للعهد في نصر مخصوص ، بل هي للعموم ، أي : لا يكون نصر أي نصر من الله للمسلمين على الكفار إلا لأحد أمرين.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٤
{خآئبين * ليس لك من الامر شيء} اختلف في سبب النزول وملخصه : أنه لعن ناسا أو شخصا عين أنه عتبة بن أبي وقاص ، أو أشخاصا دعا عليهم وعينوا : أبا سفيان ، والحارث بن هشام ، وصفوان بن أمية. أو قبائل عين منها : لحيان ، ورعل ، وذكوان ، وعصية. أو هم بسبب الذين انهزموا يوم أحد ، أو استأذن ربه أن يدعو. ودعا يوم أحد حين شج في وجهه ، وكسرت رباعيته ، ورمي بالحجارة ، حتى صرع لجنبه ، فلحقه ناس من فلاحهم ، ومال إلى أن يستأصلهم الله ويريح منهم ، فنزلت. فعلى هذه الأسباب يكون معنى الآية : التوقيف على أن جميع الأمور إنما هي لله ، فيدخل فيها هداية هؤلاء وإقرارهم على حالة. وفي خطابه : دليل على صدور أمر منه أو هم به ، أو استئذان في الدعاء كما تقدم ذكره ، وأن عواقب الأمور بيد الله. قال الكوفيون : نسخت هذه الآية القنوت على رعل وذكوان وعصية وغيرهم من المشركين. وقال السخاوي : ليس هذا شرط الناسخ ، لأنه لم ينسخ قرآنا.
{أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} قيل : هو عطف على ما قبله من الأفعال المنصوبة. ويكون قوله : ليس لك من الأمر شيء جملة اعتراضية ، والمعنى : أن الله مالك أمرهم ، فإما أن يهلكهم ، أو

يهزمهم ، أو يتوب عليهم إن أسلموا ، أو يعذبهم إن أصروا على الكفر. وقيل : أن مضمرة بعد أو ، بمعنى : إلا أن ، وهي التي في قولهم : لألزمنك أو تقضيني حقي ، والمعنى : أنه ليس له من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم بالإسلام فيسر بهداهم ، أو يعذبهم بقتل وأسر في الدنيا ، أو بنار في الآخرة ، فيستشفى بذلك ويستريح. وعلى هذا التأويل تكون الجملة المنفية للتأسيس ، لا للتأكيد. وقيل : أو يتوب معطوف على الأمر. وقيل : على شيء. أي : **ليس لك من الأمر** ، أو من توبتهم ، أو تعذيبهم شيء. أو **ليس لك من الأمر شيء** ، أو تعذيبهم. والظاهر من هذه التخاريج الأربعة هو الأول. وأبعد من ذهب إلى أن قوله : **ليس لك من الأمر** ، أي أمر الطائفتين اللتين همتا أن تفشلا.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٣

". (١)

"وقال ابن بحر : من الأمر أي ، من هذا النصر ، وإنما هو من الله كما قال : {وما رميت إذ رميت} وقيل : المراد بالأمر أمر القتال. والظاهر الحمل على العموم ، والأمور كلها لله تعالى.

وقرأ أبي : أو يتوب عليهم أو يعذبهم برفعهما على معنى : أو هو يتوب عليهم ، ثم نبه على العلة المقتضية للتعذيب بقوله : فإنهم ظالمون ، وأتى بأن الدالة على التأكيد في نسبة الظلم إليهم.

{ولله ما فى السماوات وما فى الارض} لما قدم **ليس لك من الأمر شيء** ، بين أن الأمور إنما هي لمن له الملك ، والملك فجاء بهذه الجملة مؤكدة للجملة السابقة. وتقدم شرح هذه الجملة. وما : إشارة إلى جملة العالم وما هيأته ، فلذلك حسنت ما هنا.

{يغفر لمن يشآء ويعذب من يشآء} لما تقدم قوله : أو يتوب عليهم أو يعذبهم ، أتى بهذه الجملة موضحة أن تصرفاته تعالى على وفق مشيئته ، وناسب البداءة بالغفران ، والإرداف بالعذاب ما تقدم من قوله : أو يتوب عليهم أو يعذبهم ، ولم يشرط في الغفران هنا التوبة. إذ يغفر تعالى لمن يشاء من تائب وغير تائب ، ما عدا ما استثناه تعالى من الشرك. وقال الزمخشري ما نصه عن الحسن رحمه الله : يغفر لمن يشاء بالتوبة ، ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين. ويعذب من يشاء ، ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين للعذاب. وعن عطاء : يغفر لمن يتوب إليه ، ويعذب من لقيه ظالما وأتباعه قوله : أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ، تفسير بين لمن يشاء ، فإنهم المتوب عليهم أو الظالمون. ولكن أهل الأهواء والبدع يتصامون ويتعامون

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ (دار الفكر)، ٣/٤١

عن آيات الله تعالى ،
٥٣
فيخبطون خبط عشواء ، ويطيبون أنفسهم بما يفترون. عن ابن عباس من قولهم : يهب الذنب الكبير لمن يشاء ، ويعذب من يشاء على الذنب الصغير. انتهى كلامه. وهو مذهب المعتزلة. وذلك أن من مات مصرا على كبيرة لا يغفر الله له. وما ذكره عن الحسن لا يصح ألبتة. ومذهب أهل السنة ؛ أن الله تعالى يغفر لمن يشاء وإن مات مصرا على كبيرة غير تائب منها.
{والله غفور رحيم} في هذه الجملة ترجيح لجهة الإحسان والإنعام {رحيم * يا أيها الذين ءامنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة} قال ابن عطية : هذا النهي عن أكل الربا اعترض أثناء قصة أحد ، ولا أحفظ شيئا في ذلك مرويا انتهى.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٣
ومناسبة هذه الآية لما قبلها ومجيئها بين أثناء القصة : أنه لما نهى المؤمنين عن اتخاذ بطانة من ®®®غيرهم ، واستطرد لذكر قصة أحد. وكان الكفار أكثر معاملاتهم بالربا مع أمثالهم ومع المؤمنين ، وهذه المعاملة مؤدية إلى مخالطة الكفار ، نهوا عن هذه المعاملة التي هي الربا قطعا لمخالطة الكفار ومودتهم ، واتخاذ إخلاء منهم ، لا سيما والمؤمنون في أول حال الإسلام ذوو إعسار ، والكفار من اليهود وغيرهم ذوو يسار. وكان أيضا أكل الحرام له مدخل عظيم في عدم قبول الأعمال الصالحة والأدعية ، كما جاء في الحديث : "إن الله تعالى لا يستجيب لمن مطعمه حرام ومشربه حرام إذا دعا" "وأن آكل الحرام يقول إذا حج : لبيك وسعديك. فيقول الله له : لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك" فناسب ذكر هذه الآية هنا.

وقيل : ناسب اعتراض هذه الجملة هنا أنه تعالى وعد المؤمنين بالنصر والإمداد مقرونا بالصبر والتقوى ، فبدأ بالأهم منها وهو : ما كانوا يتعاطونه من أكل الأموال بالباطل ، وأمر بالتقوى ، ثم بالطاعة. وقيل : لما قال تعالى : {ولله ما فى السماوات وما فى الارض} وبين أن ما فيهما من الموجودات ملك له ، ولا يجوز أن يتصرف في شيء منها إلا بإذنه على الوجه الذي شرعه. وآكل الربا متصرف في ماله بغير الوجه الذي أمر ، نبه تعالى على ذلك ، ونهى عما كانوا في الإسلام مستمرين عليه من حكم الجاهلية ، وقد تقدم الربا في سورة البقرة.

وانتصب أضعافا ، فانهوا عن الحالة الشنعاء التي يوقعون الربا عليها ، كان الطالب يقول : أتقضي أم تربي ، وربما استغرق بالنزر اليسير مال المدين ، لأنه إذا لم يجد وفاء زاد في الدين ، وزاد في الأصل. وأشار بقوله : مضاعفة ، إلى أنهم كانوا يكررون التضعيف عاما بعد عام. والربا محرم جميع أنواعه ، فهذه الحال لا مفهوم لها ، وليست قيدا في النهي ، إذ ما لا يقع أضعافا مضاعفة مساو في التحريم لما كان أضعافا مضاعفة. وقد تقدم الكلام في نسبة الآكل إلى الربا في البقرة.
". (١)

"واللام في قوله " ليقطع " متعلقة بقوله " وما النصر إلا من عند الله " وعلى هذا لا يكون قطع الطرف مختصا بيوم اللهم إلا أن تكون الألف واللام في النصر للعهد وقيل العامل فيه ولقد نصركم حكاه ابن فورك وهو قلق لأن قوله " أو يكبتهم " لا يترتب عليه وقد يحتمل أن تكون اللام في قوله " ليقطع " متعلقة ب " جعله " فيكون قطع الطرف إشارة إلى من قتل ببدر على ما قال الحسن وابن إسحاق وغيرهم أو إلى من قتل بأحد على ما قال السدي وقتل من المشركين ببدر سبعون وقتل منهم يوم أحد اثنان وعشرون رجلا وقال السدي قتل منهم ثمانية عشر والأول أصح والطرف الفريق ومتى قتل المسلمون كفارا في حرب فقد قطعوا " طرفا " لأنه الذي وليهم من الكفار فكأن جميع الكفار رقعة وهؤلاء المقتولون طرف منها أي حاشية ويحتمل أن يكون قوله تعالى " ليقطع طرفا " بمنزلة ليقطع دابرا وقوله " أو يكبتهم " معناه أو يخزيهم والكبت الصرع لليدين وقال النقاش وغيره التاء بدل من دال كبته أصله كبده أي فعل به يؤذي كبده وإذا نصر الله على أمة كافرة فلا بد من أحد هذين الوجهين إما أن يقتل منهم أو يخيبوا فذلك نوع من الهزم وقوله تعالى " **ليس لك من الأمر شيء** " توقيف على أن الأمر كله لله وهذا التوقيف يقتضي أنه كان بسبب من جهة النبي صلى الله عليه وسلم وروي في ذلك أنه لما هزم أصحابه وشج في وجهه حتى دخلت بعض حلق الدرع في خده وكسرت رباعيته وارتث بالحجارة حتى صرع لجنبه تحيز عن الملحمة وجعل يمسح الدم من وجهه ويقول لا يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم هكذا لفظ الحديث من طريق أنس بن
٥٠٦
مالك وفي بعض الطرق وكيف يفلح وفي بعضها أن سالما مولى أبي حذيفة كان يغسل الدم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأفاق وهو يقول كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله فنزلت الآية

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤٢/٣

بسبب هذه المقالة

قال القاضي وكأن النبي صلى اللہ عليه وسلم لحقه في تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش فمالت نفسه إلى أن يستأصلهم الله ويريح منهم فروي أنه دعا عليهم أو استأذن في أن يدعو عليهم وروى ابن عمر وغيره أنه دعا على أبي سفيان والحارث بن هشام وصفوان بن أمية باللعنة إلى غير هذا من معناه فقيل له بسبب ذلك " **ليس لك من الأمر شيء** " أي عواقب الأمور بيد الله فامض أنت لشأنك ودم على الدعاء إلى ربك قال الطبري وغيره من المفسرين قوله " أو يتوب عليهم " عطف على " يكبتهم " (١) ".

"قال القاضي فقوله " **ليس لك من الأمر شيء** " اعتراض أثناء الكلام وقوله " أو يتوب " معناه فيسلمون وقوله " أو يعذبهم " معناه في الآخرة بأن يوافوا على الكفر قال الطبري وغيره ويحتمل أن يكون قوله " أو يتوب " بمعنى حتى يتوب أو إلى أن يتوب فيجيء بمنزلة قولك لا أفارقك أو تقضيني حقي وكما تقول لا يتم هذا الأمر أو يجيء فلان وقوله تعالى " **ليس لك من الأمر شيء** " ليس باعتراض على هذا التأويل وإنما المعنى الإخبار لمحمد صلى الله عليه وسلم أنه ليس يتحصل له من أمر هؤلاء الكفار شيء يؤمله إلا أن يتوب الله عليهم فيسلموا فيرى محمد صلى الله عليه وسلم أحد أمليه فيهم أو يعذبهم الله بقتل في الدنيا أو بنار في الآخرة أو بهما فيرى محمد صلى الله عليه وسلم الأمل الآخر وعلى هذا التأويل فليس في قوله " **ليس لك من الأمر شيء** " ردع كما هو في التأويل الأول وذلك التأويل الأول أقوى وقرأ أبي بن كعب أو يتوب أو يعذب برفع الباء فيهما المعنى أو هو يتوب ثم قرر تعالى ظلم هؤلاء الكفار

ثم أكد معنى قوله " **ليس لك من الأمر شيء** " بالقول العام وذكر الحجة الساطعة في ذلك وهي ملكه الأشياء إذ ذلك مقتض أن يفعل بحق ملكه ما شاء لا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه وذكر أن الغفران أو التعذيب إنما هو بمشيئته وحسب السابق في علمه ثم رجا في آخر ذلك تأنيسا للنفوس وجلبا لها إلى طاعته وذلك كله في قوله تعالى " ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم " و " ما " في قوله " ما في السماوات وما في الأرض " إشارة إلى جملة العالم فلذلك حسنت " ما " وما ذكر في هذه الآية من أن هذه الآية ناسخة لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم على المشركين كلام ضعيف كله وليس هذا من مواضع الناسخ والمنسوخ

---

(١) المحرر الوجيز ـ ، ٥٣٢/١

هذا النهي عن أكل الربا اعتراض أثناء قصة أحد ولا أحفظ سببا في ذلك مرويا والربا الزيادة
٥٠٧
وقد تقدم ذكر مثل هذه الآية وأحكام الربا في سورة البقرة وقوله " أضعافا " نصب في موضع الحال ومعناه الربا الذي كانت العرب تضعف فيه الدين فكان الطالب يقول أتقضي أم تربي وقوله " مضاعفة " إشارة إلى تكرار التضعيف عاما بعد عام كما كانوا يصنعون فدلت هذه العبارة المؤكدة على شنعة فعلهم وقبحه ولذلك ذكرت حال التضعيف خاصة وقد حرم الله جميع أنواع الربا فهذا هو مفهوم الخطاب إذ المسكوت عنه من الربا في حكم المذكور وأيضا فإن الربا يدخل جميع أنواعه التضعيف والزيادة على وجوه مختلفة من العين أو من التأخير ونحوه
." (١)

"وقال السدي وابن عباس في تفسير قوله " وهو سقيم " إنه كان كالطفل المنفوش بضعة لحم وقال بعضهم كان كاللحم النيء إلا أنه لم ينقص من خلقه شيء فأنعشه الله في ظل اليقطينة بلبن أروية كانت
٤٨٧
تغاديه وتراوحه وقيل بل كان يتغذى من اليقطينة ويجد منها ألوان الطعام وأنواع شهواته واختلف الناس في اليقطينة فقالت فرقة هي شجرة لا نعرفها سماها الله باليقطينة وهي لفظة مأخوذة من قطن إذا أقام بالمكان وقال سعيد بن جبير وابن عباس والحسن ومقاتل اليقطين كل ما لا يقوم على ساق من عود كالبقول والقرع والحنظل والبطيخ ونحوه مما يموت من عامه وروي نحوه عن مجاهد وقال ابن عباس وأبو هريرة وعمرو بن ميمون اليقطين القرع خاصة
قال القاضي أبو محمد وعلى هذين القولين فإما أن يكون قوله " شجرة " تجوزا وإما أن يكون أنبتها عليه ذات ساق خرقا للعادة لأن الشجرة في كلام العرب إنما يقال لما كان على ساق من عود وحكى بعض الناس أنها كانت قرعة وهي تجمع خصالا برد الظل والملمس وعظم الورق وأن الذباب لا يقربها وحكى النقاش أن ماء ورق القرعة إذا رش بمكان لم يقربه ذباب ومشهور اللغة أن اليقطين القرع وقد قال أمية بن أبي الصلت في قصة يونس

---
(١) المحرر الوجيز ـ ، ٥٣٣/١

(فأنبت يقطينا عليه برحمة

من الله لولا الله ألفي ضاحيا) " الطويل "

فنبت يونس عليه السلام وصح وحسن جسمه لأن ورق القرع أنفع شيء لمن تسلخ جلده كيونس صلى الله عليه وسلم وروي أنه كان يوما نائما فأيبس الله تلك اليقطينة وقيل بعث عليها الأرضة فقطعت عروقها فانتبه يونس لحر الشمس فعز عليه شأنها وجزع له فأوحى الله تعالى إليه يا يونس أجزعت ليبس اليقطينة ولم تجزع لإهلاك مائة ألف أو يزيدون تابوا فتيب عليهم

قوله عز وجل في سورة الصافات من ١٤٧ – ١٥٧

قال الجمهور إن هذه الرسالة " إلى مائة ألف " في رسالته الأولى التي أبق بعدها ذكرها الله في آخر القصص تنبيها على رسالته ويدل على ذلك قوله " فآمنوا فمتعناهم إلى حين " وتمتيع تلك الأمة هو الذي أغضب يونس حتى أبق وقال قتادة وابن عباس أيضا هذه الرسالة أخرى بعد أن نبذ بالعراء وهي إلى أهل نينوى من ناحية الموصل وقرأ جعفر بن محمد ويزيدون بالواو

وقرأ الجمهور أو يزيدون فقال ابن عباس أو بمعنى بل وكانوا مائة ألف وثلاثين ألفا وقال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مائة وعشرين ألفا وقال ابن جبير كانوا مائة وسبعين ألفا وروي عن ابن عباس أنه قرا إلى مائة ألف بل يزيدون وقالت فرقة " أو " هنا بمعنى الواو وقالت فرقة هي للإبهام على المخاطب كما تقول ما عليك أنت أنا أعطي فلانا دينارا أو ألف دينار ونحو هذا قوله تعالى " ليس لك من الأمر

٤٨٨

" (١).

"§القول في تأويل قوله تعالى: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] يعني بذلك تعالى ذكره: ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم، فإنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء، فقوله: {أو يتوب عليهم} [آل عمران: ١٢٨] منصوب عطفا على قوله: {أو يكبتهم} [آل عمران: ١٢٧] وقد يحتمل أن يكون تأويله: ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم، فيكون نصب «يتوب» بمعنى «أو» التي هي في معنى «حتى» والقول الأول أولى بالصواب؛ لأنه لا شيء من أمر الخلق إلى أحد سوى خالقهم قبل توبة الكفار وعقابهم وبعد ذلك، وتأويل

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥٥٧/٤

قوله: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] ليس إليك يا محمد من أمر خلقي إلا أن تنفذ فيهم أمري، وتنتهي فيهم إلى طاعتي، وإنما أمرهم إلي والقضاء فيهم بيدي دون غيري أقضي فيهم، وأحكم بالذي أشاء من التوبة على من كفر." (١)

"كما: حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: " ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم: **{﴿ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] «أي ليس لك من الحكم في شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم، أو أتوب عليهم برحمتي، فإن شئت فعلت، أو أعذبهم بذنوبهم» {فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] «أي قد استحقوا ذلك بمعصيتهم إياي» وذكر أن الله عز وجل إنما أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لما أصابه بأحد ما أصابه من المشركين، قال كالآيس لهم من الهدى أو من الإنابة إلى الحق: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم»." (٢)

"ذكر الرواية بذلك. حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا حميد، قال: قال أنس: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكسرت رباعيته وشج، فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول: «﴿كيف يفلح قوم خضبوا نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم؟» فأنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨]-[٤٤]- حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن حميد الطويل، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه." (٣)

"حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شج في جبهته، وكسرت رباعيته: «﴿لا يفلح قوم صنعوا هذا بنبيهم» فأوحى الله إليه: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨]." (٤)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٢

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٣

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٣

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٤

"حدثني يعقوب، عن ابن علية، قال: ثنا ابن عون، عن الحسن، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد: «ﷺكيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله عز وجل» فنزلت: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن حميد، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، نحو ذلك." (١)

"حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن مطر، عن قتادة، قال: أصيب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته، وفرق حاجبه، فوقع وعليه درعان والدم يسيل فمر به سالم مولى أبي حذيفة، فأجلسه، ومسح عن وجهه، فأفاق وهو يقول: «ﷺكيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله؟» فأنزل الله تبارك وتعالى: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨]." (٢)

"حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، قوله: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨] الآية، قال: قال الربيع بن أنس، أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقد شج رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه، وأصيبت رباعيته، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم، فقال: «ﷺكيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله وهم يدعونه إلى الشيطان ويدعوهم إلى الهدى ويدعونه إلى الضلالة، ويدعوهم إلى -[٤٦]- الجنة ويدعونه إلى النار» فهم أن يدعو عليهم، فأنزل الله عز وجل: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء عليهم." (٣)

"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] " ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وقد جرح نبي الله صلى الله عليه وسلم في وجهه، وأصيب بعض رباعيته، فقال وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم: «ﷺكيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٤

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٥

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٥

إلى ربهم؟» فأنزل الله عز وجل: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨]." (١)

"حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد، عن الحسن في قوله: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم} [آل عمران: ١٢٨] الآية كلها، فقال: جاء أبو سفيان من الحول غضبان لما صنع بأصحابه يوم بدر، فقاتل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم أحد قتالا شديدا، حتى قتل منهم بعدد الأسارى يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة علم الله أنها قد خالطت غضبا: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الإسلام؟» فقال الله عز وجل: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨]." (٢)

"حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: أن رباعية النبي صلى الله عليه وسلم أصيبت يوم أحد، أصابها عتبة بن أبي وقاص، وشجه في وجهه، وكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل عن النبي صلى الله عليه وسلم الدم، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «كيف يفلح قوم صنعوا بنبيهم هذا؟» فأنزل الله عز وجل: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨]." (٣)

"قال ابن جريج: ذكر لنا أنه لما جرح، جعل سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله؟» فأنزل الله عز وجل: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨] وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه دعا على قوم، فأنزل الله عز وجل: ليس الأمر إليك فيهم." (٤)

"ذكر الرواية بذلك: حدثني يحيى بن حبيب بن عربي، قال: ثنا خالد بن الحارث، قال: ثنا محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يدعو على أربعة نفر، فأنزل

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٦

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٦

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٧

الله عز وجل: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨] قال: «وهداهم الله للإسلام»." (١)

"حدثني أبو السائب سلم بن جنادة، قال: ثنا أحمد بن سفيان، عن عمر بن حمزة، عن سالم، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم العن أبا سفيان، -[٤٨]- اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية» فنزلت: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨]." (٢)

"حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، عن عبد الله بن كعب، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، فلما رفع رأسه من الركعة الثانية، قال: «اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام والوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المسلمين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسنين آل يوسف» فأنزل الله: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم} [آل عمران: ١٢٨] الآية." (٣)

"حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، أخبره عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن أنهما سمعا أبا هريرة، يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين يفرغ في صلاة الفجر من القراءة، ويكبر ويرفع رأسه: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» ثم يقول وهو قائم: «اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم كسني يوسف، اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان، وعصية عصت الله ورسوله» ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزل قوله: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨]." (٤)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٧

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٧

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٨

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٤٨

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن مبارك، عن الحسن، في قوله: {§ثم صرفكم عنهم} [آل عمران: ١٥٢] قال: " صرف القوم عنهم، فقتل من المسلمين بعدة من أسروا يوم بدر، وقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكسرت رباعيته، وشج في وجهه، وكان يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟» ؛ فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] الآية، فقالوا: أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنا النصر؟ فأنزل الله عز وجل: {ولقد صدقكم الله وعده} [آل عمران: ١٥٢] إلى قوله: {ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم} [آل عمران: ١٥٢]." (١)

"ابن مسعود: هو في صلاة العتمة، يصلونها ومن حولهم من أهل الكتاب لا يصلونها.

عاصم عن زرين عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة، قال: «أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله عز وجل ذه الساعة غيركم» [١٠٧] «١»

، فأنزل الله هذه الآية: ليسوا سواء حتى بلغ قوله والله عليم بالمتقين.

وروى الثوري عن منصور قال: بلغنا أنها نزلت في قوم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء.

وقال عطاء في قوله: ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة. الآية. تزيد أربعين رجلا من أهل نجران من العرب، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى (عليه السلام) وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكان من الأنصار منهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم، منهم أسعد ابن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبو قيس هرمة «٢» بن أنس، وكانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقرون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه.

وما يفعلوا من خير فلن يكفروه، قرأ الأعمش وحمزة ويحيى والكسائي وحفص وخلف: بالياء فيهما، اخبار عن الأمة القائمة. وهي قراءة ابن عباس واختيار أبي عبيدة. وقرأ الآخرون بالتاء فيهما على الخطاب كقوله كنتم خير أمة، وهي اختيار أبي حاتم. وكان أبو عمرو يرى القراءتين جميعا: الياء والتاء.

ومعنى الآية وما يفعلوا من خير فلن يكفروه: فلن يقدروا ثوابه، ولن يجحدوا جزاءه بل يشكر [لهم] «٣» ويجازون عليه، والله عليم بالمتقين: المؤمنين.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٤٣/٦

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١١٦ الى ١٢٩]
إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (١١٦) مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون (١١٧) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون (١١٨) ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور (١١٩) إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط (١٢٠)

وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم (١٢١) إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٢٢) ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون (١٢٣) إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين (١٢٤) بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (١٢٥) وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧) **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨) ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩)

---

(١) مسند أحمد: ١/ ٣٩٦، وأسباب النزول للواحدي: ٧٩.
(٢) كذا في المخطوط.
(٣) في المخطوط: لكم.." (١)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٣٢/٣

"الأنفال، ثم قال: واستعينوا بالله وتوكلوا عليه ليقطع طرفا. نظم الآية: ولقد نصركم الله ببدر ... ليقطع طرفا، أي: ليهلك طائفة من الذين كفروا نظيره قوله: فقطع دابر القوم الذين ظلموا «١» أي: أهلك، وفي الأنفال: ويقطع دابر الكافرين «٢» ، وفي الحجر: أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين «٣» ، السدي: معناه ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والأسر، فقتل من سادتهم وقادتهم يوم بدر سبعين، وأسر منهم سبعين.

أو يكبتهم بالخيبة فينقلبوا خائبين لم ينالوا شيئا مما كانوا يرجون من الظفر بكم.

وقال الكلبي: أو يكبتهم: أو يهزمهم بأن يصرعهم لوجوههم. المؤرخ: يخزيهم. النضر بن شميل: يغيظهم، المبرد: يظفر عليهم، السدي: يلعنهم، أبو عبيدة: يهلكهم، قالوا: وأهل النظر [يرون] «٤» التاء منقلبة عن الدال، لأن الأصل فيه يكبدهم، أي: يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيظ، يقال: قد أحرق الحزن كبده، وأحرقت العداوة كبده، ويقول العرب للعدو: أسود الكبد، قال الأعشى:

فما أجشمت من إتيان قوم ... هم الأعداء والأكباد سود «٥»

كأن الأكباد لما احترقت بشدة العداوة اسودت، والتاء والدال يتعاقبان، كما يقال: هرت الثوب وهرده، إذا خرقه، يدل على صحة هذا التأويل قراءة لاحق بن حميد: أو يكبدهم، بالدال.

ليس لك من الأمر شيء اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية،

فقال عبد الله بن مسعود: أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعوا على المدبرين عنه من أصحابه يوم أحد، وكان عثمان منهم، فنهاه الله عز وجل عن ذلك وتاب عليهم، فأنزل هذه الآية

، وقال عكرمة وقتادة: أدمى رجل من هذيل يقال له عبد الله بن قمية وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان حتفه أن سلط الله عليه تيسا فنطحه حتى قتله. وشج عتبة بن أبي وقاص رأسه، وكسر رباعيته فدعا عليه، وقال: «اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرا» قال: وما حال عليه الحول حتى مات كافرا، فأنزل الله هذه الآية «٦» .

وقال الكلبي والربيع: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وقد شج في وجهه وأصيبت رباعيته، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلعن المشركين ويدعو عليهم، فأنزل الله عز وجل هذه

---

(١) سورة الأنعام: ٤٥.

(٢) سورة الأنفال: ٧.

(٣) سورة الحجر: ٦٦.

(٤) زيادة عن المسير: ٢/ ٢٧.

(٥) زاد المسير: ٢/ ٢٧، وتاج العروس: ٨/ ٢٢٩.

(٦) تفسير الطبري: ٤/ ١١٧.." (١)

"الآية، لعلمه فيهم أن كثيرا منهم سيؤمنون

، يدل عليه ما

روى أبو بكر بن عياش، عن حميد، عن أنس قال: لما كان يوم أحد شج رسول الله صلى الله عليه وسلم في فوق حاجبه وكسرت رباعيته وجرح في وجهه، فجعل يمسح الدم في وجهه وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم» «١» ، فأنزل الله تعالى: **ليس لك من الأمر شيء**

، وقال سعيد بن المسيب. والشعبي. ومحمد بن إسحاق بن يسار: لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه» «٢» . علت عالية من قريش على الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « [اللهم إنه] لا ينبغي لهم أن يعلونا» ، فأقبل عمر ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم، ونهض رسول الله إلى صخرة ليعلوها وقد كان ظاهر بين درعين فلم يستطع، فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوجب طلحة الجنة» «٣» ، فوقفت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والأنوف، حتى أخذت هند من ذلك قلائد وأعطتها وحشيا، وبقرت من كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع فلفظتها، ثم علت صخرة مشرفة فصرخت:

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان من عتبة لي من صبر ... أبي وعمي وأخي وبكري

شفيت صدري وقضيت نذري ... شفيت وحشي من غليل صدري «٤»

قالوا: وقال عبد الله بن الحسن: قال حمزة: اللهم إن لقينا هؤلاء غدا فإني أسألك أن يقتلوني ويبقروا بطني

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٤٥/٣

ويجدعوا أنفي وأذني، فتقول لي يوم القيامة: فيم فعل بك هذا؟ فأقول: فيك. فلما كان يوم أحد قتل فبقر بطنه وجدعت أذنه وأنفه، فقال رجل سمعه: أما هذا فقد أعطي في نفسه ما سأل في الدنيا، والله يعطيه ما سأل في الآخرة.

قالوا: فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ما بأصحابهم من جدع الآذان والأنوف وقطع المذاكير، قالوا: لئن أدالنا الله عليهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا، ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال عطاء: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد أربعين يوما يدعو على أربعة من ملوك كندة: مسرح، وأحمد، ولحي، وأخيهم العمردة، وعلى معن من هذيل، يقال لهم: لحيان، وعلى بطون من سليم وعلى ذكوان وعصبة والقارة، وكان يقول: «اللهم أشدد وطاءك على مضر

---

(١) مسند أحمد: ٣/ ١٧٩. [.....]

(٢) تاريخ الطبري: ٢/ ٢٠١.

(٣) تفسير الطبري: ٤/ ١٨٢.

(٤) عيون الأثر: ١/ ٤٢٤، والبداية والنهاية: ٤/ ٤٢ مع تفاوت في عجز البيت الثاني.." [(١)]

"واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف» «١» ، فأجاب الله دعاه وقحطوا حتى أكلوا أولادهم وأكلوا الكلاب والميتة والعظام المحرقة، فلما انقضت الأربعون نزلت هذه الآية.

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم ألعن أبا سفيان، اللهم العن الحرث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية» «٢» ، فأنزل الله تعالى: **ليس لك من الأمر شيء** «٣» وأسلموا فحسن إسلامهم.

الزهري عن سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في صلاة الفجر حين رفع رأسه من الركوع: «ربنا لك الحمد اللهم العن فلانا وفلانا» ، دعا على ناس من المنافقين فأنزل الله تعالى: **ليس لك من الأمر شيء** الآية «٤» .

وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في بئر معونة وهم سبعون رجلا من قراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٤٦/٣

وسلم أميرهم المنذر بن عمرو، وبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد، ليعلموا الناس القرآن والعلم، فقتلهم جميعا.

عامر بن الطفيل: وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق فلما قتل رفع بين السماء والأرض، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وحزن عليهم شهرا فنزلت **ليس لك من الأمر شيء** وهذه الآية وإن كانت لفظا للعموم، فالمراد منها الخصوص تقديرها: **ليس لك من الأمر بهواك** شيء.

واللام في قوله: (لك) بمعنى (إلي) كقوله: إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان «٥» وقوله: الحمد لله الذي هدانا لهذا «٦» ونحوهما.

أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ... **ليس لك من الأمر شيء** وهو وجه حسن.

وقال بعضهم: (أو) بمعنى (حتى) يعني: **ليس لك من الأمر شيء** حتى يتوب عليهم أو يعذبهم.

ثم قال: ولله ما في السماوات إلى أضعافا مضاعفة.

قرأ أبو جعفر وشيبة: مضعفة.

عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول اللہ تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة «٧» هو أن الرجل كأن يكون له على الرجل مال فإذا حل الأجل طلبه من

---

(١) مسند أحمد: ٢/ ٥٢١.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٩٣، والدر المنثور: ٢/ ٧١.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٨.

(٤) صحيح البخاري: ٥/ ٣٥، وسنن الدارمي: ١/ ٣٧٤.

(٥) سورة آل عمران: ١٩٣.

(٦) سورة الأعراف: ٤٣.

(٧) سورة آل عمران: ١٣٠.." (١)

"ومعنى {أذلة}: قليلون، فقد نصركم الله وأنتم قليلون فهو إلى نصركم وأنتم كثيرون أقرب، وكانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر، ويوم أحد ثلاثة آلاف ويوم حنين اثني عشر ألفا. وكانت بدر في سبع عشرة ليلة

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٤٧/٣

خلت من رمضان لثمانية عشر [شهرا] من الهجرة بعد تحويل القبلة بشهرين، كذلك رواه مالك وكانت أحد على رأس واحد وثلاثين شهرا من مقدم النبي A المدينة في شوال يوم السبت للنصف من شوال من سنة ثلاث.

قال مالك: فقتل من المهاجرين يوم أحد أربعة ومن الأنصار سبعون.

قال مالك: " بلغنا أن رسول الله A - يوم أحد كسرت رباعيته وأصيبت وجنته، وجرح في وجهه وتهشمت البيضة على رأسه وأنه أتى بماء في جحفة فكان يغسل به عنه الدم، وأحرق له حصير فأتى به فقال النبي A: اشتد غضب [الله] على قوم أدموا وجه رسوله " فأنزل الله {ليس لك من الأمر شيء} الآية ".." (١)

"وقال أنس: كان يمسح الدم عن وجهه ويقول: "كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم " فأنزل {ليس لك من الأمر شيء}.

قال أبو سعيد الخدري: " رمى عتبة بن أبي وقاص يومئذ رسول الله [A] فكسرت رباعيته اليمنى وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب شجه في جبهته، وأن ابن قميئة جرح وجنته، ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله A في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، وأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفعه طلحة حتى استوى." (٢)

"أخرق الحزن كبده، والخائب الذي لم ينل ما أمل.

قوله {ليس لك من الأمر شيء} الآية.

هذا معطوف عند الطبري وغيره على {ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم}، والمعنى عنده: {ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم} {أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} {ليس لك من الأمر شيء} ففي الكلام في قوله تقديم وتأخير. وعند غيره أو بمعنى إلا، فهي الناصبة بإضمار إن، ولا تقديم ولا تأخير في الكلام.

ومعنى الآية: ليس لك يا محمد من الحكم في عبادي شيء، أو أتوب عليهم برحمتي إن شئت، فيؤمنوا أو أعذبهم فيموتوا على كفرهم {فإنهم ظالمون} أي: قد استحقوا العذاب بظلمهم. وكان سبب نزول هذه الآية " أن النبي عليه السلام لما أصابه بأحد ما أصابه قال كالآيس منهم أن يؤمنوا: "كيف يفلح قوم فعلوا [هذا]

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢/٣١١١

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢/١١١٤

بنبيهم " وقد كانوا كسروا رباعيته، وشج، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول "كيف يفلح قوم خضبوا نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم "؟ فأنزل الله **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم} الآية فكف رسول الله A عن الدعاء حين نزلت عليه الآية، وكان قد دعا عليهم قبل الآية وقال، في عتبة بن أبي وقاص حين كسرت رباعيته، ووشاء وجهه فقال." (١)

"" اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرا " فما حال عليه [الحول] حتى مات كافرا ".

وقال ابن عمر: كان النبي A يقول: " اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت **{ليس لك من الأمر شيء**} الآية ".

وروى أبو بكر بن عبد الرحمان بن الحارث بن هشام " أن النبي A صلى الفجر فلما رفع رأسه من الركعة الثانية قال: اللهم انج عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام، والوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المسلمين، اللهم اشدد وطأتك." (٢)

"على مضر اللهم سنين كسني يوسف فأنزل الله **{ليس لك من الأمر شيء**} الآية " وروى ذلك أبو هريرة أيضا – عن النبي A غير أنه قال: " واجعلها عليهم سنين كسني يوسف، وزاد فيها الدعاء على قوم آخرين "، فلما نزلت **{ليس لك من الأمر شيء**} ترك ذلك.

وروى ابن وهب عن رجاله يرفعه إلى النبي عليه السلام " أنه كان يدعو على مضر إذ جاء جبريل A فأومأ إليه أن اسكت، فسكت فقال يا محمد: إن الله لم يبعثك سبابا ولا لعانا، وإنما بعثك رحمة، ولم يبعثك عذابا **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} قال: ثم علمه القنوت " اللهم إنا نستعينك. . . إلى آخره ملحق ".

وقال بعض الكوفيين: إن هذه ناسخة للقنوت الذي كان النبي عليه السلام جعله في صلاة الصبح، وأكثر الناس على أنه ليس بمنسوخ.

قوله: {ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشآء ويعذب من يشآء}. هذا تأكيد لما قبله أن

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١١٢٣/٢

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١١٢٤/٢

الله له كل الأشياء يفعل ما يريد ويحكم ما يريد فيغفر لمن يشاء ويتوب على من يشاء ويعذب من يشاء.

قوله: {يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الرباوا أضعافا مضاعفة} [أضعافا]: حال من الربا.." (١)

"{ليس لك من الأمر شيء} الآية لما كان يوم أحد من المشركين ما كان من كسر رباعية النبي صلى الله عليه وسلم وشجه فقال: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ ! فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلمه أن كثيرا منهم سيؤمنون والمعنى: ليس لك من الأمر في عذابهم أو استصلاحهم شيء حتى يقع إنابتهم أو تعذيبهم وهو قوله: {أو يتوب عليهم أو يعذبهم} فلما نفى الأمر عن نبيه عليه السلام ذكر أن جميع الأمر له فمن شاء عذبه ومن شاء غفر له وهو قوله:." (٢)

"اشدد وطأتك (١) على مضر) (٢).

هذا الذي ذكرنا على قراءة من قرأ (وطأة) بفتح الواو مقصورا (٣).

ومن قرأ (وطاء) بكسر الواو والمد (٤)، فقال مجاهد: أجدر أن

---

(١) معنى "وطأتك" أي أخذهم أخذا شديدا. "النهاية" ٥/ ٢٠٠. وقال النووي: الوطأة بفتح الواو وإسكان الطاء، وبعدها همزة: وهي العباس. "شرح صحيح مسلم" ٥/ ١٨٦.

(٢) الحديث: أخرجه البخاري ١/ ٢٦٠، ح: ٨٠٤، كتاب: الأذان، باب يهوي بالتكبير حين يسجد، من طريق أبي هريرة في حديث طويل، وفي ١/ ٣١٧، ح: ١٠٠٦، كتاب الاستسقاء: باب دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم-، وفي كتاب الجهاد، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والذلة: ٢/ ٢٤٠، ح، ٢٩٣٢، وفي كتاب الأنبياء: باب قوله تعالى: {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين (٧)} ٢/ ٤٧٠، ح: ٣٣٨٦، وكتاب التفسير، باب ٣ سورة آل عمران: ٩ "ليس لك من الأمر شيء" ٣/ ٢١١، ح: ٤٥٦٠، وكتاب التفسير ٤ سورة النساء ٢١ باب "فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم" ٣/ ٢٢٠، ح: ٤٥٩٨، وكتاب الأدب، باب تسمية الوليد: ٤/ ١٢٨، ح: ٦٢٠٠، وكتاب الإكراه: ٤/ ٢٨٤، ح: ٦٩٤٠. كما أخرجه مسلم في ١/ ٤٦٧، ح: ٢٩٤ - ٢٩٥، كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة. وأبو داود في "سننه" ١/ ٣٦٤، كتاب الصلاة: باب القنوت

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١١٢٥/٢

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٢٣١

في الصلاة وابن ماجه في "سننه" ١/ ٢٢٦، ح: ١٢٣٥، كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء في القنوت في صلاة الفجر. والنسائي في "سننه" (المجتبى): ٢/ ٥٤٧، ح: ١٠٧٢ - ١٠٧٣، كتاب التطبيق: باب القنوت في صلاة الصبح. والإمام أحمد في "المسند" ٢/ ٢٣٩، ٢٥٥، ٢٧١، ٤١٨، ٥٠٢، ٥٢١.

(٣) قرأ بذلك: نافع، وابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وأبو جعفر. انظر: "السبعة" ٦٥٨، و"القراءات وعلل النحويين فيها" ٢/ ٧٢٣، و"الحجة" ٦/ ٣٣٥، و"المبسوط" ٣٨٦، و"الكشف عن وجوه القراءات السبع" ٢/ ٣٤٤، و"حجة القراءات" ٧٣٠، و"النشر" ٢/ ٣٩٣، و"الوافي" ٣٧٤.

(٤) قرأ بذلك: أبو عمرو، وابن عامر. انظر المراجع السابقة.." (١)

"فلذلك خالفهم في الدعاء إلى توحيد الله، فأما أن يكون مسحورا بوصف يجده في بدنه، فذلك ما لا ينكره أحد، ولم يكن الله ليسلط عليه شيطانا أو جنيا أو انسيا فيما يؤدي إلى الضرورة في الدين، والنبوة، ولا الرسالة، وبيان الدعوة، فأما على الإضرار ببدنه فقد صح أن وجهه شج (١)، وأن رباعيته (٢) كسرت يوم أحد (٣)، ولم يقدح ذلك في نبوته كذلك السحر، والخيلة، والتوصل بالرقي الإضرار ببدنه لا ينكر (٤).

واختلفوا في معنى "الفلق" فالأكثرون على أنه الصبح، وهو قول جابر (٥)، وسعيد بن جبير (٦)،

---

(١) شج: أي حصل جرح في رأسه الشريف، والجراحة إذا كانت في الوجه أو الرأس تسمى شجة. "حاشية صحيح مسلم" ٣/ ١٤١٧.

(٢) الرباعية: هي السن التي تلي الثنية من كل جانب وللإنسان أربع رباعيات. "شرح صحيح مسلم" ١٢/ ٣٩٠.

(٣) أخرج مسلم في "صحيحه" ٣/ ١٤١٧: ح ١٠٤: كتاب الجهاد والسير: باب ٣٧ عن أنس أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله فأنول الله عز وجل **{ليس لك من الأمر شيء}**

(٤) قال القاضي عياض عن بعض المحققين: وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة، إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكله الجنس وأما بواطنهم فمنزهة غالبا من ذلك

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٦١/٢٢

معصومة منه متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذهم عنهم وتلقيها الوحي. "الشفاء" ٢/ ٨٦٣.
(٥) "جامع البيان" ٣٠/ ٣٥٠، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١٩٢ ب، و"النكت والعيون" ٦/ ٣٧٤، و"معالم التنزيل" ٤/ ٥٤٧، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٢٥٤، و"البحر المحيط" ٨/ ٥٣٠، و"تفسير القرآن العظيم" ٤/ ٦١٣.
(٦) المراجع السابقة عدا "النكت"، وانظر أيضا: "المحرر الوجيز" ٥/ ٥٣٨، و"تفسير سعيد بن جبير" ص ٣٨٣.." (١)

"يحاجوكم عند ربكم؟.

قال الفراء (١): ومثله في الكلام: قولك: (تعلق به، أو يعطيك حقك)؛ أي: حتى. وقال امرؤ القيس:

فقلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول (٢) ملكا أو تموت فنعذرا (٣)

أي: حتى تموت. ومن هذا قوله تعالى: {**ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم} [آل عمران: ١٢٨]، وسنذكره إن شاء الله.

فهذا (٤) وجه، وأجود منه: أن نجعله عطفا على الاستفهام؛

---

(١) في "معاني القرآن" له: ١/ ٢٢٣. نقله عنه بالمعنى. وانظر نفس المصدر ٢/ ٧٠ - ٧١.
(٢) في (ب): نجادل.
(٣) البيت في ديوانه: ٦٦. وقد نسبته إليه أكثر المصادر التالية: "كتاب سيبويه" ٣/ ٤٨، "معاني القرآن" للفراء: ٢/ ٧١، "المقتضب" ٢/ ٢٨، "الزاهر" ٢/ ١٨٣، "إيضاح الوقف والابتداء" ٢/ ٥٨٤، "القطع والائتناف" للنحاس ٢٣٣، "معاني القرآن" له: ١/ ٢٤٣، وكتاب "حروف المعاني" للزجاجي: ٥٨، "اللامات" للزجاجي: ٦٨، "معاني الحروف" للرماني: ٧٩، "الخصائص" ١/ ٢٦٣، "الموضح في التفسير" ٣٨، "أمالي ابن الشجري" ٣/ ٧٨، "شرح المفصل" ٧/ ٢٢، ٣٣، "تفسير القرطبي" ٤/ ١١٣، "رصف المباني" ٢١٢، "منهج السالك" ٥٥٨، "الخزانة" ٨/ ٥٤٣. وقد ورد في كل المصادر السابقة: (.. أو نموت فنعذرا).
والبيت من قصيدة له، وقبله:

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٤/٤٥٤

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

وصاحبه هو عمرو بن قميئة الذي استصحبه معه في ذهابه إلى القيصر، لاستنصاره على قتلة أبيه واستعادة ملكه، فلما توسطوا الدرب بين بلاد العرب وبلاد الروم، وأيقن صاحبه أنهما لاحقان بقيصر، حن إلى بلاده فبكى، فقال له الشاعر هذا القول.

والشاهد فيه: قوله: (أو نموت ..)؛ بمعنى: حتى نموت.

(٤) في (ب): (وهذا).." [(١)]

"وقوله تعالى: {خائبين} الخيبة: حرمان البغية (١)، ولا تكون إلا بعد الأمل. واليأس قد يكون قبل الأمل، وقد يكون بعده. فنقيض اليأس: الرجاء، ونقيض الخيبة: الظفر.

وقد أنجز الله وعده يوم بدر؛ بقطع (٢) طرف من الكفار بالقتال والأسر، ورد الباقين منهزمين، خائبين مما أملوا من الظفر، فتحقق نصره، وعلت كلمته.

١٢٨ - قوله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم} الآية.

ذكر النحويون -الفراء (٣)، والزجاج (٤)، وغيرهما (٥) - في هذه الآية قولين:

= و"معاني القرآن" للزجاج ١/ ٤٦٧، و"ابن أبي حاتم" ٣/ ٧٥٦، و"نزهة القلوب" للسجستاني ٤٨٥، و"بحر العلوم" ١/ ٢٩٧، و"زاد المسير" ١/ ٤٥٤.

قال ابن قتيبة: (لأن أهل النظر يرون أن التاء فيه منقلبة عن دال؛ كأن الأصل فيه: (يكبدهم)، أي: يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيظ وشدة العداوة. ومنه يقال: (فلان قد أحرق الحزن كبده). و (أحرقت العداوة كبده). والعرب تقول للعدو: (أسود الكبد) ..) ثم أتبع قائلا: (والتاء والدال متقاربتان المخرجين. والعرب تدغم إحداهما في الأخرى، وتبدل إحداهما من الأخرى). "تفسير غريب القرآن" ١١٠. وانظر (كبت) في "تهذيب اللغة" ٤/ ٣٠٨٨، "اللسان" ٦/ ٣٨٠٥، "عمدة الحفاظ" ٤٧٧.

(١) انظر: "تهذيب اللغة" ١/ ٩٥٧ (خاب)، و"معاني القرآن" للنحاس ١/ ٤٧٢، و"اللسان" ٣/ ١٢٩٧ (خيب).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٣٥٨

(٢) في (ج): (فقطع).

(٣) في "معاني القرآن" له ١/ ٢٣٤.

(٤) في "معاني القرآن" له ١/ ٤٦٨.

(٥) انظر: "معاني القرآن" للأخفش ١/ ٢١٥، و"تفسير الطبري" ٤/ ٨٦، و"إيضاح الوقف والابتداء" لابن الأنباري ٢/ ٥٨٣، و"القطع والائتناف" للنحاس ٢٣٣، و"معاني القرآن" له ١/ ٤٧٤. واستحسنه الثعلبي في "تفسيره" ٣/ ١١٥ ب.." (١)

"أحدهما: أن قوله: {أو يتوب عليهم} عطف على قوله: {ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم}، {أو يتوب عليهم}، ويكون قوله: **{ليس لك من الأمر شيء}** اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه؛ كما تقول: (ضربت زيدا -فاعلم ذلك- وعمرا) (١). فعلى هذا القول: هذه الآية متصلة بما قبلها.

القول الثاني: وهو أن الموافق لما ذكر في تفسير هذه الآية: أن معنى (أو) -ههنا- معنى (حتى) و (إلا أن)؛ وذلك أن أكثر المفسرين -ابن عباس (٢)، والحسن (٣)، وقتادة (٤)، والربيع (٥) - قالوا: لما كان من المشركين يوم أحد ما كان (٦)، من كسر رباعية (٧) النبي - صلى الله عليه وسلم -، وشجه حتى

---

(١) وقد رجح الطبري هذا الرأي في "تفسيره" ٤/ ٨٦، وقال معللا: (لأنه لا شيء من أمرالخلق إلى أحد سوى خالقهم، قبل توبة الكفار وعقابهم، وبعد ذلك).

(٢) لم أقف على مصدر قوله. وقد ذكره الماوردي في "النكت" (٤٢٣)، وابن الجوزي في "الزاد" ١/ ٤٥٦.

(٣) قوله، في: "تفسير الطبري" ٤/ ٨٧، ٨٨، و"النكت والعيون" ٢/ ٤٢٣، و"زاد المسير" ٤٥٦.

(٤) قوله في المصادر السابقة.

(٥) قوله في المصادر السابقة.

(٦) (ما كان): ساقطة من (ج).

(٧) الرباعية: هي السن بين الثنية والناب. وجمعها: رباعيات. وهن أربع رباعيات: ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل. انظر: كتاب "خلق الإنسان"، لابن أبي ثابت ١٦٦، و"القاموس" (٧١٩) (ربع).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٥٨٣

قال ابن حجر: (والمراد بكسر الرباعية .. أنها كسرت فذهب منها فلقة، ولم تقلع من أصلها). "فتح الباري" ٧/ ٣٦٦.

وفي "سيرة ابن هشام" عن ابن إسحاق أن الذي فعل ذلك هو: عقبة بن أبي وقاص. =." [1]

"جرت الدماء على وجهه، قال: "كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟! " (١)، فأنزل الله هذه الآية، لعلمه أن كثيرا منهم سيؤمنون، فكف عن ذلك (٢).

وقوله تعالى: {ليس لك من الأمر شيء} مختصر معناه: ليس لك من الأمر في عقابهم، أو (٣) استصلاحهم شيء، حتى تقع إنابتهم (٤) أو

= حيث رمى النبي - صلى الله عليه وسلم - فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته العليا وشجه في وجهه.

ويذكر ابن هشام، عن أبي سعيد الخدري، أن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في وجهه، وأن ابن قميئة جرح وجنته، فدخل حلقتان من حلق المغفر في وجنته. انظر: "سيرة ابن هشام" ٣/ ٢٧، و"تاريخ الطبري" ٢/ ٥١٤.

(١) الحديث -كذلك- ورد من رواية أنس، وقد أخرجته الكتب التالية بألفاظ مختلفة، بنحو الذي ذكره المؤلف. فقد أخرجه البخاري -معلقا- ٥/ ٣٥. كتاب المغازي. باب (ليس لك من الأمر شيء)، وأخرجه مسلم في (١٧٩١) كتاب الجهاد. باب غزوة أحد، وأحمد ٣/ ٢٠٦، ٣/ ٩٩، ٢٥٣، ٢٨٨، والترمذي (٣٠٠٢ - ٣٠٠٣) كتاب التفسير. (سورة آل عمران) وقال: (حسن صحيح). وابن ماجه (٤٠٢٧) كتاب الفتن: باب الصبر على البلاء. والنسائي في "تفسيره" ١/ ٣٢٩، والبغوي في "شرح السنة" ١٣/ ٣٣٣ رقم (٣٧٤٨) وقال عنه: (صحيح)، وابن سعد في "الطبقات" ٢/ ٤٤، والطبري في "تفسيره" ٤/ ٨٧، وفي "تاريخه" ٢/ ٥١٥، وابن أبي حاتم في "تفسيره" ٣/ ٧٥٦، والنحاس في "الناسخ والمنسوخ" ١/ ٢١٣، والثعلبي في "تفسيره" ٣/ ١١٤ أ، والبغوي في "تفسيره" ٢/ ١٠٢، والمؤلف في "أسباب النزول" (١٢٤).

(٢) وهناك أسباب أخرى لنزول هذه الآية ذكرها المفسرون. انظر: "تفسير الطبري" ٤/ ٨٦ - ٨٩، و"ابن أبي حاتم" ٣/ ٧٥٦ - ٧٥٨، و"أسباب النزول" للمؤلف ١٢٤ - ١٢٦، و"لباب النقول" ٥٧ - ٥٨،

---

[1] التفسير البسيط الواحدي ٥/٥٨٤

و"الصحيح المسند من أسبالب النزول" ٥٣ - ٥٦.

(٣) في (ج): (و) بدلا من: (أو).

(4) وهكذا وردت في "تفسير الوسيط" للمؤلف (تح: بالطيور): ٣٢٦. وورد في "تفسير الوجيز" له ١/ ١١٨ (إثابتهم).." [1]

"تعذيبهم. فيكون أمرك -حينئذ - تابعا لأمر الله، برضاك بتدبيره

قال الفراء (١): ومثل هذا من الكلام: (لأذمنك (٢) أو تعطيني)؛ على معنى: (إلا أن تعطيني)، و (حتى تعطيني) (٣).

وأنشد ابن الأنباري (٤) على هذا:

فقلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكا أو نموت فنعذرا (٥)

أراد: (حتى)، و (إلا أن نموت) (٦).

---

(١) في "معاني القرآن" له ١/ ٢٣٤. نقله بمعناه وانظر: "معاني القرآن" ٢/ ٧٠.

(٢) في (أ)، (ب): (لا أذمنك). وهي خطأ. والمثبت من (ج).

(٣) الذي في "معاني القرآن" -في هذا الموضع-: (وإن شئت جعلت نصبه على مذهب (حتى)؛ كما تقول: (لا أزال ملازمك أو تعطيني)، أو (إلا ان تعطيني حقي).

وقال في موضع آخر ٢/ ٧٠: (والله لأضربنك أو تقر لي). فيكون معناه معنى (حتى) أو (إلا).

(٤) في "إيضاح الوقف والابتداء" له ٢/ ٥٨٤.

(٥) في (ج): (فنعذرا). والبيت لامرئ القيس، في "ديوانه" ٦٤. وقد سبق إيراده وبيان مصادره عند تفسير قوله تعالى: {أو يحاجوكم} [الآية: ٧٣ من سورة آل عمران].

(٦) الذي في كتاب "إيضاح الوقف والابتداء"، قوله -بعد أن ذكر البيت-: (أراد: حتى نموت).

وهناك قولان آخران في نصب {يتوب}، وهما: -النصب بإضمار (أن) عطفا على (الأمر)، والتقدير: (**ليس لك من الأمر لك** من الأمر شيء، أو من أن يتوب عليهم، أو يعذبهم)؛ أي: **ليس لك من الأمر أو** من توبته عليهم، أو من تعذيبهم شيء. وهو قول أبي حاتم، كما في "تفسير الثعلبي"- إنها معطوفة بالتأويل

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٥٨٥

على {شيء} وتقديرها: **ليس لك من الأمر شيء**، أو توبة الله عليهم، أو تعذيبهم؛ أي: ليس لك أيضا توبتهم ولا تعذيبهم، إنما مرد ذلك إلى الحق تعالى.

انظر: كتاب "إيضاح الوقف والابتداء" ٢/ ٥٨٤، وكتاب "القطع والائتناف" ٢٣٣، و"تفسير الثعلبي" ٣/ ١١٥ ب، و"الدر المصون" ٣/ ٣٩٣.." (١)

"أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون {١٢٢} ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون {١٢٣} إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين {١٢٤} بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين {١٢٥} وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم {١٢٦} ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين {١٢٧} **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون {١٢٨} ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم {١٢٩} } [آل عمران: ١٢١-١٢٩] قوله تعالى: {وإذ غدوت من أهلك} [آل عمران: ١٢١] الآية، قال المفسرون: هذا كان يوم أحد، غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة إلى أحد، فجعل يصف أصحابه للقتال.

وقوله: {تبوئ المؤمنين} [آل عمران: ١٢١] يقال: بوأته منزلا، وبوأت له منزلا.

أي: أنزلته إياه، والمباءة: المنزل، وقوله: {مقاعد للقتال} [آل عمران: ١٢١] أي: مراكز ومثابت، قال ابن عباس: كل رجل لمقعده.

{والله سميع عليم} [آل عمران: ١٢١] يسمع قولكم ويعلم ما في ضمائركم، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه في الخروج إلى أحد، فمنهم من أشار عليه بالمقام في المدينة، ومنهم من أشار عليه بالخروج إليهم، فقال الله تعالى: أنا أسمع ما يقوله المشيرون، وأعلم ما يضمرون.

قال المسور بن مخرمة: قلت لعبد الرحمن بن عوف: أي خال، أخبرني عن قصتكم يوم أحد.

قال: اقرأ." (٢)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٨٦/٥

(٢) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤٨٥/١

"وقاتلوا فما النصر إلا من عند الله ليستعينوا به ويتوكلوا عليه.

والإمداد بالملائكة: بشرى لهم، وطمأنينة لقلوبهم، لما في البشر من الضعف، فأما حقيقة النصر فهو من عند الله، العزيز الحكيم.

وقوله: {ليقطع طرفا من الذين كفروا} [آل عمران: ١٢٧] أي: ليهلك طائفة، وليقتل قطعة.

قال السدي: ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والأسر، فقتل من قادتهم وسادتهم يوم بدر سبعون، وأسر سبعون.

وقوله: أو يكبتهم الكبت في اللغة: صرع الشيء على وجهه، يقال: كبته فانكبت.

ثم يذكر والمراد به: الإخزاء والهلاك واللعن والهزيمة والإذلال. . . هذا ما ذكره المفسرون في تفسير الكبت.

وقوله: {فينقلبوا خائبين} [آل عمران: ١٢٧] أي: يرجعوا وينصرفوا ولم يدركوا ما أملوا.

قوله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** [آل عمران: ١٢٨] الآية:

١٧٠ - أخبرنا أبو صادق محمد بن شاذان، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن هشام بن ملاس النميري، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فكسرت رباعيته، وأدمي وجهه، وجعل الدم يسيل على وجهه، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم» فأنزل الله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} [آل عمران: ١٢٨]." (١)

"أي: حلقه (١).

و (الانقلاب): الانصراف (٢).

و (الخيبة): انقطاع الأمل (٣).

ولا بد لحروف المعاني من أفعال تتصل بها (٧٣ ظ) إلى الأسماء فالتقدير (٤): وأنتم أذلة ليقطع، أو: منزلين ليقطع (٥)، أو: مسومين ليقطع، أو (٦): وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع (٧)، ليقتل طائفة منهم وينقصهم. وإنما استعمل في النقص قطع الطرف دون الوسط؛ لأن قطع الوسط يأتي (٨) على الكل.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤٩٠/١

١٢٨ - {**ليس لك من الأمر شيء**:} نزلت حين لعن صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب والحارث بن هشام وصفوان بن أمية، فتاب الله عليهم وأسلموا وحسن إسلام بعضهم أو كلهم (٩).

وقيل: نزلت في قنوته على عصية وذكوان حين قتلوا سبعين رجلا ببئر معونة من أصحاب الصفة (١٠).

قال ابن مسعود: كاد صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المنهزمين يوم أحد فأنزل، وعفا عنهم بعدها (١١).

وعن ابن عباس وأنس والحسن وقتادة والربيع أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يدعو على الكفار أجمعين يوم أحد لما شجوا رأسه وكسروا رباعيته فأنزل (١٢).

وقيل: إنها نزلت في النهي عن المثل والعقوبات (١٣). كانت هند أعطت قلادتها يوم أحد لوحشي قاتل حمزة، واتخذت قلادة من الآذان والأنوف، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فحرمها الله عليها فلم تستطع أن تسترطها (١٤) فلفظتها.

وعن سعيد بن المسيب أن عبد الله بن جحش قال قبل أحد: اللهم إن لاقينا هؤلاء غدا

---

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن ١١٠ - ١١١، ومشكل إعراب القرآن ١/ ١٧٤، وتفسير البغوي ١/ ٣٤٩.

(٢) ينظر: لسان العرب ١/ ٦٨٥ (قلب).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٦٧، ومعاني القرآن الكريم ١/ ٤٧٢، والتبيان في تفسير القرآن ٢/ ٥٨٤.

(٤) ساقطة من ك، وبعدها: وأنهم.

(٥) ساقطة من ب.

(٦) ساقطة من ع.

(٧) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٥٨٣، والكشاف ١/ ٤١٢، والتفسير الكبير ٨/ ٢١٦.

(٨) في ع: باقي. وينظر: التفسير الكبير ٨/ ٢١٦ - ٢١٧.

(٩) ينظر: سنن الترمذي ٥/ ٢٢٧، وتفسير الطبري ٤/ ١١٧ - ١١٨، والتفسير الكبير ٨/ ٢١٧.

(١٠) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٢/ ١٤٨، وتفسير البغوي ١/ ٣٤٩ - ٣٥٠، وزاد المسير ٢/ ٢٨.

(١١) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٢/ ١٤٧، ومجمع البيان ٢/ ٣٨٦، وزاد المسير ٢/ ٢٧.

(١٢) ينظر: تفسير الطبري ٤/ ١١٥ - ١١٧، والتبيان في تفسير القرآن ٢/ ٥٨٤ - ٥٨٥، وزاد المسير ٢/ ٢٧.

(١٣) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٣٥٠، ومجمع البيان ٢/ ٣٨٦، وزاد المسير ٢/ ٢٨.

(١٤) في الأصل وع وب: تشرطها.." (١)

"الصحابة بذلك، فقال: {يجادلونك في الحق} [الأنفال:٦]، قال عليه السلام: «ثلاثة أتخوفهم عليكم: فيض المال فيكم، وزلة عالم (١)، ورجال يجادلون بالقرآن، فالنجاة من فيض المال الشكر، والنجاة من زلة العالم أن ينتظر فتنة ولا يعمل بزلته، والنجاة من الذين يجادلون بالقرآن أن يعمل بمحكمه، ويؤمن بمتشابهه». (٢)

٥٥ - {سنة الأولين:} قولهم: {أبعث الله بشرا رسولا} [الإسراء:٩٤].

وقوله: {أو يأتيهم العذاب:} إلى أن يأتيهم العذاب، نظيره: **{ليس لك من الأمر شيء}** أو يتوب عليهم} (٣) [آل عمران:١٢٨].

٥٦ - {ليدحضوا:} ليزلوا، أو ليزلقوا، ومكان دحض، أي: زلق مزلة.

٥٨ - {لو يؤاخذهم بما كسبوا:} أي: لو لم يحلم عنهم، وضيق عليهم الأمر.

{موئلا:} منجى. قيل لعلي: هلا احترزت من ظهرك؟ قال: فإذا أمكنت من ظهرك، فلا وألت. (٤)

٥٩ - {وتلك:} إشارة إلى القريات التي ذكر إهلاكها في القرآن، ومن جملتها جنة أحد الرجلين.

{موعدا:} وقتا موقتا لآجالهم عند الله تعالى.

عن ابن عباس: أنه تمارى هو والحر بن قيس بن [حصن الفزاري (٥) في صاحب موسى، قال ابن عباس: هو خضر، فمر بهما] (٦) أبي بن كعب، فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إلى لقيه، هل سمعت رسول الله يذكر شأنه؟ قال: نعم، سمعت رسول

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٤٣٠/١

الله صلى الله عليه وسلم يقول: بينا موسى في ملأ من بني إسرائيل إذ قام إليه رجل فقال: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ فقال موسى: لا، فأوحى الله إلى موسى: بلى (٧)، عبدنا خضر (٨)، فسأل موسى السبيل إليه، فجعل له الحوت آية، وقيل: إذا فقدت الحوت

(١) ع: العالم.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٧١٥)، واعتقاد أهل السنة ١/ ١١٦ - ١١٧ بألفاظ متقاربة، وهو حديث ضعيف، ينظر: مجمع الزوائد ١/ ١٨٦.

(٣) ع زيادة: أو يعذبهم.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الأثر ٥/ ١٤٣، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٤٤٩، ولسان العرب ١١/ ٧١٥.

(٥) الحر بن قيس بن حصن بن بدر الفزاري، صحابي، كان من جلساء عمر بن الخطاب. ينظر: الاستيعاب ١/ ٤٠٣، والإصابة ١/ ٣٢٤.

(٦) ما بين المعقوفتين من مصادر التخريج.

(٧) ع: نعم.

(٨) ع: الخضر.." (١)

"واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير: كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر، وقال علي وابن عباس رضي الله عنهم: كانت عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم، (وقال هشام بن عروة والكلبي: عمائم صفر مرخاة على أكتافهم) (١) وقال الضحاك وقتادة: كانوا قد أعلموا بالعهن في نواصي الخيل وأذنابها، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر: "تسوموا فإن الملائكة قد تسومت بالصوف الأبيض في قلانسهم ومغافرهم" (٢) .

{وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧) **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨) ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٢٥٠

رحيم (١٢٩) }

قوله تعالي (وما جعله الله) يعني هذا الوعد والمدد، (إلا بشرى لكم) أي: بشارة لتستبشروا به (ولتطمئن) ولتسكن (قلوبكم به) فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) يعني: لا تحيلوا بالنصر على الملائكة والجند، فإن النصر من الله تعالى فاستعينوا به وتوكلوا عليه، لأن العز والحكم له.

قوله تعالى: {ليقطع طرفا من الذين كفروا} يقول: لقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفا أي: لكي يهلك طائفة من الذين كفروا وقال السدي: معناه ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والأسر، فقتل من قادتهم وسادتهم يوم بدر سبعون وأسر سبعون ومن حمل الآية على حرب أحد فقد قتل منهم يومئذ ستة عشر وكانت النصرة للمسلمين حتى خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فانقلب عليهم، {أو يكبتهم} قال الكلبي: يهزمهم وقال يمان: يصرعهم لوجوههم، قال السدي: يلعنهم، وقال أبو عبيدة: يهلكهم، وقيل: يحزنهم، والمكبوت: الحزين وقيل أصله: يكبدهم أي: يصيب الحزن والغيظ ٦٨/ب أكبادهم، والتاء والدال يتعاقبان كما يقال سبت رأسه وسبده: إذا حلقه، وقيل: يكبتهم بالخيبة، {فينقلبوا خائبين} ينالوا شيئا مما كانوا يرجون من الظفر بكم.

قوله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** الآية، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال قوم: نزلت

---

(١) زيادة من "أ".

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف كتاب الجهاد: ١٢ / ٢٦١ من طريق محمد بن أبي عدي عن ابن عون عن عمير بن إسحاق قال. . . وأخرجه أيضا في المغازي: ١٤ / ٣٥٨ من طريق أبي أسامة عن ابن عون عن عمير بن إسحاق مرسلا، ورواه الطبري في التفسير: ٧ / ١٨٦. وقال الواقدي: حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد. . فذكره. . ورواه ابن سعد في الطبقات: ٢ / ١٦. وانظر: الكافي الشاف لابن حجر ص (٣١) .." (١)

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٠١/٢

"في أهل بئر معونة، وهم سبعون رجلا من القراء، بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليعلموا الناس القرآن والعلم أميرهم المنذر بن عمرو، فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا، وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن والسنين فنزلت: {**ليس لك من الأمر شيء**} (١)

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا حبان بن موسى، أخبرنا عبد الله يعني ابن المبارك، أخبرنا معمر، عن الزهري، حدثني سالم، عن أبيه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: "اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد" فأنزل الله تعالى {**ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} (٢) .

وقال قوم: نزلت يوم أحد، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر (٣) بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أخبرنا مسلم بن الحجاج، أخبرنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب، أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: "كيف يفلح قوم شجوا [رأس] (٤) نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى (٥) [الله عز وجل] فأنزل الله تعالى: {**ليس لك من الأمر شيء**} (٦) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: "اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية" فنزلت: {**ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم} فأسلموا وحسن إسلامهم (٧) .

وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن إسحاق (٨) لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يوم أحد ما

---

(١) انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير باب **ليس لك من الأمر شيء**: ٨ / ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم: ٧ / ٣٦٥.

(٣) في "أ": عبد الغفار.

(٤) زيادة من "ب".

(٥) في "أ": يدعوهم إلى الإسلام.

(٦) أخرجه البخاري في المغازي: باب ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم: ٧ / ٣٦٥ ومسلم في الجهاد باب غزوة أحد برقم (١٧٩١) : ٣ / ١٤١٧.

(٧) أخرجه البخاري عن ابن عمر بلفظ:"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت: ليس لك من الأمر شيء" في المغازي باب ليس لك من الأمر شيء: ٧ / ٣٦٥. وبلفظ المصنف أخرجه الترمذي في التفسير تفسير سورة آل عمران: ٨ / ٣٥٥ - ٣٥٦ وقال: هذا حديث حسن غريب يستغرب من حديث عمر بن حمزة عن سالم وكذا رواه الزهري عن سالم عن أبيه. وأحمد في المسند: ٢ / ٩٣.

(٨) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢ / ١٤١.." (١)

"بأصحابهم من جدع الآذان والأنوف وقطع المذاكير، قالوا: لئن أدالنا الله تعالى منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا، ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية (١) وذلك لعلمه فيهم بأن كثيرا منهم يسلمون. فقوله تعالى: {ليس لك من الأمر شيء} أي: ليس إليك، فاللام بمعنى "إلى" كقوله تعالى: " ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان " (سورة آل عمران -١٩٣) أي: إلى الإيمان: قوله تعالى: {أو يتوب عليهم} (قال بعضهم: معناه حتى يتوب عليهم) (٢) أو: إلى أن يتوب عليهم، وقيل: هو نسق على قوله "ليقطع طرفا" وقوله: {ليس لك من الأمر شيء} اعتراض بين نظم الكلام ونظم الآية (٣) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء، بل الأمر أمري في ذلك كله.

ثم قال: {ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم} {يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (١٣٠) واتقوا النار التي أعدت للكافرين (١٣١) }

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٠٢/٢

{يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة} أراد به ما كانوا يفعلونه عند حلول أجل الدين من زيادة المال وتأخير الطلب، {واتقوا الله} في أمر الربا فلا تأكلوه، {لعلكم تفلحون}

ثم خوفهم فقال: {واتقوا النار التي أعدت للكافرين}

{وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون (١٣٢) }

---

(١) انظر: الطبري: ٧ / ١٩٨.

(٢) زيادة من "ب".

(٣) في "ب" جاءت العبارة هكذا: اعتراض بين اللام ونظم الآية.." [(١)]

"أم في المشركين؟ سؤال توبيخ وتعيير فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك، و {قالوا كنا مستضعفين} عاجزين، {في الأرض} يعني أرض مكة، {قالوا} يعني: الملائكة {ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها} يعني: إلى المدينة وتخرجوا من مكة، من بين أهل الشرك؟ فأكذبهم الله تعالى وأعلمنا بكذبهم، وقال: {فأولئك مأواهم} منزلهم {جهنم وساءت مصيرا} أي: بئس المصير إلى جهنم.

{إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا (٩٨) فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا (٩٩) ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما (١٠٠) }

ثم استثنى أهل العذر منهم، فقال: {إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة} لا يقدرون على حيلة ولا على نفقة ولا قوة للخروج منها، {ولا يهتدون سبيلا} أي: لا يعرفون طريقا إلى الخروج. وقال مجاهد: لا يعرفون طريق المدينة.

{فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم} يتجاوز عنهم، وعسى من الله واجب، لأنه للإطماع، والله تعالى إذا أطمع عبدا وصله إليه، {وكان الله عفوا غفورا} قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي ممن عذر الله، يعني المستضعفين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٠٣/٢

إسماعيل، أنا معاذ بن فضالة، أنا هشام، عن يحيى هو ابن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قال: سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد في الركعة الآخرة من صلاة العشاء قنت اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة اللهم أنج الوليد اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف " (١) .

قوله تعالى: {ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة} قال علي بن أبي

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير سورة آل عمران، باب **ليس لك من الأمر شيء**: ٨ / ٢٢٦، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة، برقم (٦٧٥) : ١ / ٤٤٦ - ٤٦٧. والمصنف في شرح السنة: ٣ / ١٢١ بلفظ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع فربما قال: إذا سمع الله لمن حمده. . . ".." (١)

"الزبير يوم بدر صفراء، فنزلت الملائكة كذلك، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه «تسوموا فإن الملائكة قد تسومت» «١» وما جعله الله الهاء لأن يمدكم. أى: وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم كما كانت السكينة لبنى إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر إلا من عند الله

لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا، ولا من عند الملائكة والسكينة، ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة، ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطى النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر، وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم أو يكبتهم أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم.

ونحوه (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا) ويقال: كبته، بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة.

وقيل في قول أبى الطيب:

لأكبت حاسدا وأرى عدوا «٢»

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٧٣/٢

هو من الكبد والرئة، واللام المتعلقة بقوله: (ولقد نصركم الله) أو بقوله: (وما النصر إلا من عند الله) . أو يتوب عطف على ما قبله.

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٢٨ الى ١٢٩]

ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨) ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩)

---

(١) . أخرجه ابن أبى شيبة. حدثنا أبو أمامة عن ابن عون. عن ابن عمير، وابن إسحاق بهذا. وهو مرسل وزاد: قال «فهو أول يوم وضع فيه الصوف» ورواه الطبري من وجه آخر عن ابن عون به. وقال الواقدي: حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر. عن محمود بن لبيد فذكره. قال: فأعلموا بالصوف في مغافرهم» ولم يذكر الزيادة. ورواه ابن سعد من طرق في قصة «وفيه فقال لأصحابه يومئذ: تسوموا فان الملائكة قد تسومت. قال فأعلموا بالصوف في مغافرهم وقلانسهم»

(٢) .

رويدك أيها الملك الجليل ... تأن وعده مما تنيل

وجودك بالمقام ولو قليلا ... فما فيما تجود به قليل

لأكبت حاسدا وأرى عدوا ... كأنهما وداعك والرحيل

لأبى الطيب. يقول تمهل يا أيها الملك عن السفر، واجعل ذلك التأنى مما تحسن به إلينا، وجودك علينا بالاقامة، ولو كانت قليلة عندك أو في ذاتها فهي كثيرة عندنا، فانه ليس فيما تجود به قليل. وقوله «لأكبت» متعلق بتأن.

وأصله: لأكبد، قلبت الدال تاء لقرب مخرجيهما، أى لأصيب كبد الحاسد بالغيظ. وأرى: أى أصيب رئة العدو به أيضا، كأنهما: أى الحاسد والعدو، شبه الأول بالوداع، والثاني بالرحيل، في أن كلا يحزنه. وخص الثاني بالثاني لأنه أشد كراهة. وفيه لف ونشر مرتب، وهو حسن.." (١)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤١٢/١

"**وليس لك من الأمر شيء** اعتراض. والمعنى أن الله مالك أمرهم، فإما يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا، أو يعذبهم إن أصروا على الكفر، وليس لك من أمرهم شيء، إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم. وقيل إن (يتوب) منصوب بإضمار «أن» و «وأن يتوب» في حكم اسم معطوف بأو على الأمر أو على شيء، أى ليس لك من أمرهم شيء، أو من التوبة عليهم، أو من تعذيبهم. أو ليس لك من أمرهم شيء، أو التوبة عليهم، أو تعذيبهم، وقيل «أو» بمعنى «إلا أن» كقولك: لألزمنك أو تعطيني حقي، على معنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم، أو يعذبهم فتتشفى منهم. وقيل: شجه عتبة ابن أبى وقاص يوم أحد وكسر رباعيته، فجعل يمسح الدم عن وجهه، وسالم مولى أبى حذيفة يغسل عن وجهه الدم، وهو يقول:

كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم «١» ، فنزلت. وقيل: أراد أن يدعو الله عليهم فنهاه الله تعالى، لعلمه أن فيهم من يؤمن. وعن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة «٢» ، ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين «٣» ويعذب من يشاء ولا يشاء أن يعذب إلا

---

(١) . أخرجه عبد الرزاق. ومن طريقه الطبري. أخبرنا معمر عن قتادة: أن عتبة. فذكره ومن طريق معمر أخرجه ابن سعد سواء. والحديث في الصحيحين من حديث سهل بن سعد «كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج رأسه. فجعل يسلت الدم عن وجهه ويقول: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى الله؟

فأنزل الله تعالى: (**ليس لك من الأمر شيء**) قال: وكانت فاطمة تغسل الدم عن وجهه- الحديث» وسيأتى قريبا أن الذي شجه عبد الله بن قمئة. وقال الواقدي: المثبت عندنا أن الذي رمى وجه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن قمئة: والذي رمى شفته وأصاب رباعيته. عتبة بن أبى وقاص. وفي السيرة لابن هشام من حديث أبى سعيد الخدري أن عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى. وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب شجه في وجهه، وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر فأخذ علي بيده ورفعه طلحة حتى استوى قائما ومص مالك بن سنان أبو أبى سعد الدم عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من مس دمه دمى لم تصبه النار» .

(٢) . قال محمود: «معناه يغفر لمن يشاء بالتوبة ... الخ» قال أحمد: هذه الآية واردة في الكفار. ومعتقد أهل السنة أن المغفرة في حقهم مشروطة بالتوبة من الكفر والرجوع إلى الايمان، وليسوا محل خلاف بين الطائفتين وعندهم أن المؤمن النائب من كفره هو المعنى في قوله: (يغفر لمن يشاء) كما قاله الزمخشري. وأما تسلقه من ذلك على تعميم هذا الحكم وتعديته إلى الموحدين، فمن التعامي والتصام حقيقة، وإلا فهو أحذق من ذلك. وأما نسبته إلى أهل السنة التعامى والتصام والهوى والبدعة والافتراء، فالله حسيبه في ذلك والسلام.

(٣) . قوله «ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين» هذا عند المعتزلة. (ع)." [١]

"هذا مسومون، وقال كثير من أهل التفسير: إن معنى «مسومين» بكسر الواو أي هم قد سوموا خيلهم: أي أعطوها سومها من الجري والقتال والإحضار فهي سائمة، ومنه سائمة الماشية، لأنها تركت وسومها من الرعي، وذكر المهدوي هذا المعنى في «مسومين» بفتح الواو أي أرسلوا وسومهم.

قال القاضي: وهذا قلق: وقد قاله ابن فورك أيضا.

قوله تعالى:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٢٦ الى ١٢٩]

وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧) **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨) ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩)

الضمير في جعله الله عائد على الإنزال والإمداد، و «البشرى» مصدر واللام في ولتطمئن متعلقة بفعل مضمر يدل عليه جعله، ومعنى الآية: وما كان هذا الإمداد إلا لتستبشروا به وتطمئن به قلوبكم وتروا حفاية الله بكم، وإلا فالكثرة لا تغني شيئا إلا أن ينصر الله، وقوله: وما النصر يريد للمؤمنين، وكذلك أيضا هي الإدالة للكفار من عند الله.

واللام في قوله: ليقطع متعلقة بقوله وما النصر إلا من عند الله وعلى هذا لا يكون قطع الطرف مختصا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤١٣/١

بيوم، اللهم إلا أن تكون الألف واللام في «النصر» للعهد، وقيل: العامل فيه «ولقد نصركم» حكاه ابن فورك وهو قلق، لأن قوله: أو يكبتهم لا يترتب عليه، وقد يحتمل أن تكون اللام في قوله ليقطع متعلقة ب جعله، فيكون قطع الطرف إشارة إلى من قتل ببدر، على ما قال الحسن وابن إسحاق وغيرهم، أو إلى من قتل بأحد على ما قال السدي، وقتل من المشركين ببدر سبعون، وقتل منهم يوم أحد اثنان وعشرون رجلا، وقال السدي: قتل منهم ثمانية عشر والأول أصح، و «الطرف» الفريق، ومتى قتل المسلمون كفارا في حرب فقد قطعوا طرفا، لأنه الذي وليهم من الكفار فكأن جميع الكفار رقعة وهؤلاء المقتولون طرف منها أي حاشية، ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ليقطع طرفا بمنزلة ليقطع دابرا وقوله:

أو يكبتهم معناه: أو يخزيهم، والكبت الصرع لليدين، وقال النقاش وغيره: التاء بدل من دال كبته أصله كبده أي فعل به يؤذي كبده، وإذا نصر الله على أمة كافرة فلا بد من أحد هذين الوجهين، إما أن يقتل منهم أو يخيبوا، فذلك نوع من الهزم.

وقوله تعالى: **ليس لك من الأمر شيء** توقيف على أن الأمر كله لله، وهذا التوقيف يقتضي أنه كان بسبب من جهة النبي صلى الله عليه وسلم وروي في ذلك أنه لما هزم أصحابه وشج في وجهه، حتى دخلت بعض حلق الدرع في خده وكسرت رباعيته وارتث بالحجارة حتى صرع لجنبه، تحيز عن الملحمة، وجعل يمسح الدم من وجهه ويقول: لا يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، هكذا لفظ الحديث من طريق أنس بن." (١)

"مالك، وفي بعض الطرق، وكيف يفلح؟ وفي بعضها أن سالما مولى أبي حذيفة كان يغسل الدم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأفاق وهو يقول: كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله؟

فنزلت الآية، بسبب هذه المقالة.

قال القاضي: وكأن النبي صلى الله عليه وسلم لحقه في تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش، فمالت نفسه إلى أن يستأصلهم الله ويريح منهم، فروي أنه دعا عليهم أو استأذن في أن يدعو عليهم، وروى ابن عمر وغيره: أنه دعا على أبي سفيان والحارث بن هشام وصفوان بن أمية باللعنة، إلى غير هذا من معناه، فقيل له بسبب ذلك، **ليس لك من الأمر شيء** أي عواقب الأمور بيد الله، فامض أنت لشأنك ودم على الدعاء إلى ربك، قال الطبري وغيره من المفسرين: قوله: أو يتوب عليهم عطف على يكبتهم.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٠٥/١

قال القاضي: فقوله: ليس لك من الأمر شيء اعتراض أثناء الكلام، وقوله: أو يتوب معناه: فيسلمون، وقوله: أو يعذبهم معناه: في الآخرة بأن يوافوا على الكفر، قال الطبري وغيره: ويحتمل أن يكون قوله أو يتوب بمعنى حتى يتوب أو إلى أن يتوب فيجيء بمنزلة قولك: لا أفارقك أو تقضيني حقي، وكما تقول: لا يتم هذا الأمر أو يجيء فلان، وقوله تعالى: ليس لك من الأمر شيء ليس باعتراض على هذا التأويل، وإنما المعنى الإخبار لمحمد عليه السلام أنه ليس يتحصل له من أمر هؤلاء الكفار شيء يؤمله إلا أن يتوب الله عليهم فيسلموا، فيرى محمد عليه السلام أحد أمليه فيهم، أو يعذبهم الله بقتل في الدنيا، أو بنار في الآخرة أو بهما، فيرى محمد صلى الله عليه وسلم الأمل الآخر، وعلى هذا التأويل فليس في قوله: ليس لك من الأمر شيء ردع كما هو في التأويل الأول، وذلك التأويل الأول أقوى، وقرأ أبي بن كعب، «أو يتوب أو يعذب» برفع الباء فيهما، المعنى: أو هو يتوب، ثم قرر تعالى ظلم هؤلاء الكفار.

ثم أكد معنى قوله ليس لك من الأمر شيء بالقول العام وذكر الحجة الساطعة في ذلك وهي ملكه الأشياء، إذ ذلك مقتض أن يفعل بحق ملكه ما شاء، لا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه، وذكر أن الغفران أو التعذيب إنما هو بمشيئته وحسب السابق في علمه، ثم رجا في آخر ذلك تأنيسا للنفوس وجلبا لها إلى طاعته، وذلك كله في قوله تعالى: ولله ما في السماوات وما في الأرض، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، والله غفور رحيم وما في قوله ما في السماوات وما في الأرض، إشارة إلى جملة العالم فلذلك حسنت ما، وما ذكر في هذه الآية من أن هذه الآية ناسخة لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم على المشركين كلام ضعيف كله، وليس هذا من مواضع الناسخ والمنسوخ.

قوله تعالى:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٣٠ الى ١٣٢]

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (١٣٠) واتقوا النار التي أعدت للكافرين (١٣١) وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون (١٣٢)

هذا النهي عن أكل الربا اعتراض أثناء قصة «أحد» ، ولا أحفظ سببا في ذلك مرويا، والربا الزيادة." (١)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١/٥٠٦

"تغاديه وتراوحه، وقيل بل كان يتغذى من اليقطينة، ويجد منها ألوان الطعام، وأنواع شهواته واختلف الناس في «اليقطينة» فقالت فرقة هي شجرة لا نعرفها سماها الله باليقطينة وهي لفظة مأخوذة من قطن إذا أقام بالمكان، وقال سعيد بن جبير وابن عباس والحسن ومقاتل اليقطين كل ما لا يقوم على ساق من عود كالبقول والقرع والحنظل، والبطيخ ونحوه مما يموت من عامه، وروي نحوه عن مجاهد، وقال ابن عباس وأبو هريرة وعمرو بن ميمون «اليقطين» القرع خاصة.

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذين القولين فإما أن يكون قوله شجرة تجوزا وإما أن يكون أنبتها عليه ذات ساق خرقا للعادة، لأن الشجرة في كلام العرب إنما يقال لما كان على ساق من عود، وحكى بعض الناس أنها كانت قرعة وهي تجمع خصالا برد الظل والملمس وعظم الورق وأن الذباب لا يقربها، وحكى النقاش أن ماء ورق القرعة إذا رش بمكان لم يقربه ذباب، ومشهور اللغة أن «اليقطين» القرع وقد قال أمية بن أبي الصلت في قصة يونس: [الطويل]

فأنبت يقطينا عليه برحمة ... من الله لولا الله ألفي ضاحيا

فنبت يونس عليه السلام وصح وحسن جسمه لأن ورق القرع أنفع شيء لمن تسلخ جلده كيونس صلى الله عليه وسلم، وروي أنه كان يوما نائما فأيبس الله تلك اليقطينة، وقيل بعث عليها الأرضة فقطعت عروقها فانتبه يونس لحر الشمس فعز عليه شأنها وجزع له، فأوحى الله تعالى إليه: يا يونس أجزعت ليبس اليقطينة ولم تجزع لإهلاك مائة ألف أو يزيدون تابوا فتيب عليهم.

قوله عز وجل:

[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ١٤٧ الى ١٥٧]

وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون (١٤٧) فآمنوا فمتعناهم إلى حين (١٤٨) فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون (١٤٩) أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون (١٥٠) ألا إنهم من إفكهم ليقولون (١٥١)

ولد الله وإنهم لكاذبون (١٥٢) أصطفى البنات على البنين (١٥٣) ما لكم كيف تحكمون (١٥٤) أفلا تذكرون (١٥٥) أم لكم سلطان مبين (١٥٦)

فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين (١٥٧)

قال الجمهور إن هذه الرسالة إلى مائة ألف في رسالته الأولى التي أبق بعدها، ذكرها الله في آخر القصص

تنبيها على رسالته، ويدل على ذلك قوله فآمنوا فمتعناهم إلى حين، وتمتيع تلك الأمة هو الذي أغضب يونس حتى أبق، وقال قتادة وابن عباس أيضا هذه الرسالة أخرى بعد أن نبذ بالعراء وهي إلى أهل نينوى من ناحية الموصل، وقرأ جعفر بن محمد، «ويزيدون» بالواو، وقرأ الجمهور «أو يزيدون» ، فقال ابن عباس «أو» بمعنى «بل» ، وكانوا مائة ألف وثلاثين ألفا، وقال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم «كانوا مائة وعشرين ألفا» ، وقال ابن جبير: كانوا مائة وسبعين ألفا، وروي عن ابن عباس أنه قرأ «إلى مائة ألف بل يزيدون» ، وقالت فرقة أو هنا بمعنى الواو، وقالت فرقة هي للإبهام على المخاطب، كما تقول ما عليك أنت أنا أعطي فلانا دينارا أو ألف دينار، ونحو هذا قوله تعالى: ليس لك من الأمر." (١)

"تعلمون: مجاهد- الحسن: ١/ ٤٦٣ ٧٩: وبما كنتم تدرسون: تدرسون: أبو حيوة: ١/ ٤٦٣ تدرسون: أبو حيوة: ١/ ٤٦٣ ٨١: وإذ أخذ الله ميثاق: لما: حمزة: ١/ ٤٦٤ النبيين لما آتيتكم: آتيناكم: نافع: ١/ ٤٦٥ ٨٣: أفغير دين الله يبغون: تبغون: أبو عمرو: ١/ ٤٦٦ ٩١: إن الذين كفروا وماتوا: فلن نقبل.. ملء: عكرمة: ١/ ٤٧٠ وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض: مل: أبو جعفر بن القعقاع- أبو السمال- نافع: ١/ ٤٧٠ ٩١: ذهبا ولو افتدى به: ذهبا لو افتدى به: ابن أبي عبلة: ١/ ٤٧٠ ٩٧: فيه آيات بينات مقام إبراهيم: آية بينة: أبي بن كعب- ابن عباس: ١/ ٤٧٥ ٩٩: قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله: تصدون: الحسن بن أبي الحسن: ١/ ٤٨١ ١٠١: وأنتم تتلى عليكم آيات الله: يتلى: الحسن: ١/ ٤٨٢ ١٠٤: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير: ولتكن: الحسن- الزهري- أبو عبد الرحمن- عيسى بن عمر- أبو حيوة: ١/ ٤٨٥ ١٠٦: يوم تبيض وجوه: تبيض ... ويسود: يحيى بن وثاب: ١/ ٤٨٧ وتسود وجوه: تبياض وجوه، وتسواد وجوه: الزهري: ١/ ٤٨٧ ١١٥: وما يفعلوا من خير فلن: «وما تفعلوا من خير فلن: ابن كثير- نافع- عاصم- ابن عامر: ١/ ٤٩٤ يكفروه: تكفروه» ١١٧: ثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا

: تنفقون: عبد الرحمن بن هرمز: ١/ ٤٩٥ ١١٨: قد بدت البغضاء: قد بدا البغضاء: ابن مسعود: ١/ ٤٩٧ لا يضركم كيدهم شيئا: لا يضركم: ابن كثير- أبو عمرو: ١/ ٤٩٩ لا يضرركم: أبي بن كعب: ١/ ٤٩٩ ١٢٤: آلاف من الملائكة منزلين: منزلين: ابن عامر: ١/ ٥٠٤ منزلين: ابن أبي عبلة: ١/ ٥٠٤ منزلين: حكاية عن النحاس: ١/ ٥٠٤ ١٢٨: **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم: أو

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٤٨٧

يتوب ... أو يعذبهم: أبي بن كعب: ١/ ٥٠٦ ١٣٣: وسارعوا إلى مغفرة من ربكم: سارعوا: نافع- ابن عامر: ١/ ٥٠٧ ١٤٠: إن يمسسكم قرح: قرح: حمزة- الكسائي- عاصم: ١/ ٥١٣ فقد مس القوم قرح مثله: إن

تمسسكم قروح: الأعمش: ١/ ٥١٣ قرح: ابن السميفع اليماني: ١/ ٥١٤." (١)

"أكبادهم بالحزن والغيظ، وشدة العداوة، ومنه يقال: فلان قد أحرق الحزن كبده، وأحرقت العداوة كبده، والعرب تقول: العدو: أسود الكبد، قال الأعشى:

فما أجشمت من إتيان قوم ... هم الأعداء والأكباد سود

كأن الأكباد لما احترقت بشدة العداوة، اسودت، ومنه يقال للعدو: كاشح، لأنه يخبأ العداوة في كشحه. والكشح: الخاصرة، وإنما يريدون الكبد. لأن الكبد هناك. قال الشاعر:

وأضمر أضغانا علي كشوحها «١»

والتاء والدال متقاربتا المخرج، والعرب تدغم إحداهما في الأخرى، وتبدل إحداهما من الأخرى، كقولهم: هرت الثوب وهرده: إذا خرقه، وكذلك: كبت العدو، وكبده، ومثله كثير.

قوله تعالى: فينقلبوا خائبين قال الزجاج: الخائب: الذي لم ينل ما أمل. وقال غيره: الفرق بين الخيبة واليأس، أن الخيبة لا تكون إلا بعد الأمل، واليأس قد يكون من غير أمل.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٢٨]

ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨)

قوله تعالى: **ليس لك من الأمر شيء** في سبب نزولها خمسة أقوال:

(٢٠٨) أحدها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في جبهته حتى سال الدم على وجهه، فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل؟!» فنزلت هذه الآية. أخرجه مسلم في أفراده من حديث أنس. وهو قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، والربيع.

(٢٠٩) والثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم، لعن قوما من المنافقين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر. والثالث: أن النبي صلى الله عليه وسلم هم بسب الذين انهزموا يوم أحد، فنزلت هذه للآية، فكف عن

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٠/٦

ذلك، نقل عن ابن مسعود، وابن عباس «٢» .

حديث صحيح. أخرجه مسلم ١٧٩١ وأحمد ٣/ ٢٥٣ و ٢٨٨ وابن حبان ٦٥٧٥ والواحدي في «أسباب النزول» ٢٤٤ والبيهقي في «الدلائل» من طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس.

وأخرجه الترمذي ٣٠٠٢ و ٣٠٠3 وابن ماجة ٤٠٢٧ وأحمد ٣/ ٩٩ وابن حبان ٦٥٧٤ والواحدي ٢٤٢ والبغوي ٣٦٤٢ والطبري ٧٨٠٥ و ٧٨٠٦ و ٧٨٠٧ من طريق حميد الطويل عن أنس.

ساقه المصنف بمعناه، وهو حديث صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٦٩ و ٤٥٥٩ و ٧٣٤٦ والترمذي ٣٠٠٤ و ٣٠٠٥ وأحمد ٢/ ٩٣ وأبو يعلى ٥٥٤٧ وابن خزيمة ٦٢٢ وعبد الرزاق ٤٠٢٧ وابن حبان ١٩٨٧ والنسائي في «التفسير» ٩٥ و ٩٦ والبيهقي ٢/ ١٧٨ من حديث ابن عمر «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أربعة نفر فأنزل الله: **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون فهداهم الله للإسلام. وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح يستغرب من هذا الوجه من حديث نافع عن ابن عمر اه. وأخرجه الطبري ٧٨١٧ أيضا من هذا الوجه. وانظر «فتح القدير» للشوكاني ٥٥٢ بتخريجنا.

---

(١) هو عجز بيت للنمر بن تولب، وصدره: تنفذ منهم نافذات تسؤنني.

(٢) لم أره مسندا، ولا يصح، والصواب ما رواه الإمام مسلم وكذا البخاري.

- وذكره الماوردي في «تفسيره» ١/ ٤٢٣ (آل عمران: ١٢٨) . [.....]."(١)

"(٢١٠) والرابع: أن سبعين من أهل الصفة، خرجوا إلى قبيلتين من بني سليم، عصية وذكوان، فقتلوا جميعا، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم أربعين يوما، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل بن سليمان.

(٢١١) والخامس: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة ممثلا به، قال: «لأمثلن بكذا وكذا منهم» فنزلت هذه الآية، قاله الواقدي.

وفي معنى الآية قولان: أحدهما: ليس لك من استصلاحهم أو عذابهم شيء. والثاني: ليس لك من النصر والهزيمة شيء. وقيل: إن «لك» بمعنى «إليك» .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣٢٣/١

قوله تعالى: أو يتوب عليهم قال الفراء: في نصبه وجهان إن شئت جعلته معطوفا على قوله تعالى: ليقطع طرفا وإن شئت جعلت نصبه على مذهب «حتى» كما تقول: لا أزال معك حتى تعطيني. ولما نفى الأمر عن نبيه، أثبت أن جميع الأمور إليه بقوله تعالى: ولله ما في السماوات وما في الأرض.

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٢٩ الى ١٣٠]

ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩) يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (١٣٠)

ضعيف. عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك، وكذبه غير واحد. وله شاهد من مرسل الزهري ولكن مراسيل الزهري واهية، أرسله الزهري في أثناء حديثه.

- ويشهد له ما أرسله الزهري عقب حديث صحيح. وهو ما أخرج البخاري ٤٥٦٠ و ٦٢٠٠ ومسلم ٦٧٥ والنسائي ٢/ ٢٠١ والشافعي ١/ ٨٦ و ٨٧ وأحمد ٢/ ٢٥٥ وابن أبي شيبة ٢/ ٣١٦ و ٣١٧ والطحاوي في «المعاني» ١/ ٢٤١ وأبو عوانة ٢/ ٢٨٠ و ٢٨٣ وابن حبان ١٩٧٢ وابن خزيمة ٦١٩ والدارمي ١/ ٣٧٤ والواحدي في «أسباب النزول» ٢٤٦ والبيهقي ٢/ ١٩٧ و ٢٤٤ من حديث أبي هريرة قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر، ويرفع رأسه: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد. ثم يقول وهو قائم: اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم كسني يوسف، اللهم العن لحيان ورعلا، وذكوان وعصية عصت الله ورسوله. ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل: **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون.

- وقول «ثم بلغنا» هو من مرسل الزهري كما بينه الحافظ في «الفتح» ٨/ ٧١ فالخبر ضعيف.

وفي الباب من حديث أنس قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية يقال لهم: القراء فأصيبوا، فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وجد على شيء ما وجد عليهم فقنت شهرا في صلاة الفجر ويقول: إن عصية عصوا الله ورسوله» .

أخرجه البخاري ٦٣٩٤ ومسلم ٦٧٧.

- الخلاصة: خبر عصية وذكوان ورعل صحيح، لكن كون الآية نزلت فيهم ضعيف. وقال الحافظ في «الفتح» ٨/ ٢٢٧: قول الزهري ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت ... هذا البلاغ لا يصح، لأن قصة رعل وذكوان كانت بعد أحد، ونزول الآية **ليس لك من الأمر شيء** ... كان في قصة أحد، فكيف يتأخر السبب عن النزول؟!.

واه بمرة عزاه المصنف للواقدي واسمه محمد بن عمر، وهو متروك متهم بالكذب، فخبره لا شيء، والصواب في ذلك ما رواه مسلم وكذا البخاري، وأما الأقوال الثلاثة الأخيرة فليست بشيء.

- وخبر حمزة سيأتي في سورة النحل عند الآية: ١٢٦.." (١)

"على جدك وعدم تقصيرك في أداء الرسالة وتبليغ الوحي، فأما حصول الهداية فليس إليك بل إلى الله، ونظيره قوله تعالى: **ليس لك من الأمر شيء** [آل عمران: ١٢٨] وقوله: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء [القصص: ٥٦] فهذا جملة ما خطر بالبال في هذه الآية، والله أعلم بأسرار كلامه.

ثم إنه تعالى أكد هذا الذي قلناه فقال تعالى:

[سورة النساء (٤) : آية ٨٠]

من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا (٨٠)

والمعنى أن من أطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا إلى الخلق أحكام الله فهو في الحقيقة ما أطاع إلا الله، وذلك في الحقيقة لا يكون إلا بتوفيق الله، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا، فإن من أعماه الله عن الرشد وأضله عن الطريق، فإن أحدا من الخلق لا يقدر على إرشاده.

واعلم أن من أنار الله قلبه بنور الهداية قطع بأن الأمر كما ذكرنا، فإنك ترى الدليل الواحد تعرضه على شخصين في مجلس واحد، ثم إن أحدهما يزداد إيمانا على إيمان عند سماعه، والآخر يزداد كفرا على كفر عند سماعه، ولو أن المحب لذلك الكلام أراد أن يخرج عن قلبه حب ذلك الكلام واعتقاد صحته لم يقدر عليه، ولو أن المبغض له أراد أن يخرج عن قلبه بغض ذلك الكلام واعتقاد فساده لم يقدر، ثم بعد أيام ربما انقلب المحب مبغضا والمبغض محبا، فمن تأمل للبرهان القاطع الذي ذكرناه في أنه لا بد من

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١/٣٢٤

إسناد جميع الممكنات إلى واجب الوجود، ثم اعتبر من نفسه الاستقراء الذي ذكرناه، ثم لم يقطع بأن الكل بقضاء الله وقدره، فليجعل واقعته من أدل الدلائل على أنه لا تحصل الهداية إلا بخلق الله من جهة أن مع العلم بمثل هذا الدليل، ومع العلم بمثل هذا الاستقراء لما لم يحصل في قلبه هذا الاعتقاد، عرف أنه ليس ذلك إلا بأن الله صده عنه ومنعه منه.

بقي في الآية مسائل:

المسألة الأولى: قوله: من يطع الرسول فقد أطاع الله من أقوى الدلائل على أنه معصوم في جميع الأوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله، لأنه لو أخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله وأيضا وجب أن يكون معصوما في جميع أفعاله، لأنه تعالى أمر بمتابعته في قوله: واتبعوه [الأعراف: ١٥٨] والمتابعة عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير لأجل أنه فعل ذلك الغير، فكان الآتي بمثل ذلك الفعل مطيعا لله في قوله: واتبعوه فثبت أن الانقياد له في جميع أقواله وفي جميع أفعاله، إلا ما خصه الدليل، طاعة لله وانقياد لحكم الله.

المسألة الثانية: قال الشافعي رضي الله عنه في كتاب الرسالة في باب فرض الطاعة للرسول: إن قوله تعالى: من يطع الرسول فقد أطاع الله يدل على أن كل تكليف كلف الله به عباده في باب الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر الأبواب في القرآن، ولم يكن ذلك التكليف مبينا في القرآن، فحينئذ لا سبيل لنا إلى القيام بتلك التكاليف إلا ببيان الرسول، وإذا كان الأمر كذلك/ لزم القول بأن طاعة الرسول عين طاعة الله، هذا معنى كلام الشافعي.

المسألة الثالثة: قوله: من يطع الرسول فقد أطاع الله يدل على أنه لا طاعة إلا لله البتة، وذلك لأن طاعة الرسول لكونه رسولا فيما هو فيه رسول لا تكون إلا طاعة الله، فكانت الآية دالة على أنه لا طاعة لأحد إلا." (١)

"يفعل ذلك ولذلك قال تعالى: ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون [الأنفال: ٢٣] . وثالثها: إنما حصل في تلك الآيات أنواع من المفاسد وربما أوجب حصولها هلاكهم واستئصالهم إن استمروا بعد ذلك على التكذيب وربما كان بعضها منتهيا إلى حد الإلجاء المخل بالتكليف، وربما كانت كثرتها وتعاقبها يقدح في كونها معجزة، لأن الخوارق متى توالت صار انخراق العادة عادة،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٠/١٤٩

فحينئذ يخرج عن كونه معجزا وكل ذلك أمور لا يعلمها إلا الله علام الغيوب فثبت أن عدم إسعافهم بهذه الآيات لا يقدح في النبوة.

أما قوله تعالى: تشابهت قلوبهم فالمراد أن المكذبين للرسل تتشابه أقوالهم وأفعالهم، فكما أن قوم موسى كانوا أبدا في التعنت واقتراح الأباطيل، كقولهم: لن نصبر على طعام واحد [البقرة: ٦١] وقولهم:

اجعل لنا إلها كما لهم آلهة [الأعراف: ١٣٨] وقولهم: أتتخذنا هزوا [البقرة: ٦٧] وقولهم: أرنا الله جهرة [النساء: ١٥٣] فكذلك هؤلاء المشركون يكونون أبدا في العناد واللجاج وطلب الباطل.

أما قوله تعالى: قد بينا الآيات لقوم يوقنون فالمراد أن القرآن وغيره من المعجزات كمجيء الشجرة وكلام الذئب، وإشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، آيات قاهرة، ومعجزات باهرة لمن كان طالبا لليقين.

[سورة البقرة (٢) : آية ١١٩]

إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم (١١٩)

اعلم أن القوم لما أصروا على العناد واللجاج الباطل واقترحوا المعجزات على سبيل التعنت بين الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه لا مزيد على ما فعله في مصالح دينهم من إظهار الأدلة وكما بين ذلك بين أنه لا مزيد على ما فعله الرسول في باب الإبلاغ والتنبيه لكي لا يكثر غمه بسبب إصرارهم على كفرهم وفي قوله: بالحق وجوه.

أحدها: أنه متعلق بالإرسال، أي أرسلناك إرسالا بالحق. وثانيها: أنه متعلق بالبشير والنذير أي أنت مبشر بالحق ومنذر به. وثالثها: أن يكون المراد من الحق الدين والقرآن، أي أرسلناك بالقرآن حال كونه بشيرا لمن أطاع الله بالثواب ونذيرا لمن كفر بالعقاب، والأولى أن يكون البشير والنذير صفة للرسول صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى قال:

إنا أرسلناك يا محمد بالحق لتكون مبشرا لمن اتبعك واهتدى بدينك ومنذرا لمن كفر بك وضل عن دينك.

أما قوله تعالى: ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ففيه قراءتان:

الجمهور برفع التاء واللام على الخبر، وأما نافع فبالجزم وفتح التاء على النهي.

أما على القراءة الأولى ففي التأويل وجوه. أحدها: أن مصيرهم إلى الجحيم فمعصيتهم لا تضرك ولست بمسؤول عن ذلك وهو كقوله: فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب [الرعد: ٤٠] ، وقوله: عليه ما حمل

وعليكم ما حملتم [النور: ٥٤] . والثاني: أنك هاد وليس لك من الأمر شيء، فلا تأسف ولا تغتم لكفرهم ومصيرهم إلى العذاب ونظيره قوله: فلا تذهب نفسك عليهم حسرات [فاطر: ٨] . الثالث: لا تنظر إلى المطيع والعاصي في الوقت، فإن الحال قد يتغير فهو غيب فلا تسأل عنه، وفي الآية دلالة على أن أحدا لا يسأل عن ذنب غيره ولا يؤاخذ بما اجترمه سواه سواء كان قريبا أو كان بعيدا.

أما القراءة الثانية ففيها وجهان، الأول:

روي أنه قال: ليت شعري ما فعل أبواي؟

فنهي عن السؤال عن." (١)

"ثم قال: أو يكبتهم الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه، يقال: كبته فانكبت هذا تفسيره، ثم قد يذكر والمراد به الاخزاء والإهلاك واللعن والهزيمة والغيظ، والإذلال، فكل ذلك ذكره المفسرون في تفسير الكبت، وقوله خائبين الخيبة هي الحرمان والفرق بين الخيبة وبين اليأس أن الخيبة لا تكون إلا بعد التوقع، وأما اليأس فإنه قد يكون بعد التوقع وقبله، فنقيض اليأس الرجاء، ونقيض الخيبة الظفر، والله أعلم.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٢٨]

ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨)

[في قوله تعالى ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم] في الآية مسائل:

المسألة الأولى: في سبب نزول هذه الآية قولان الأول: وهو المشهور: أنها نزلت في قصة أحد، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا على ثلاثة أوجه أحدها: أنه أراد أن يدعو على الكفار فنزلت هذه الآية والقائلون بهذا ذكروا احتمالات أحدها:

روي أن عتبة بن أبي وقاص شجه وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم» ثم أراد أن يدعو عليهم فنزلت هذه الآية

وثانيها: ما

روى سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن أقواما فقال: «اللهم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٨/٤

العن أبا سفيان، اللهم العن الحرث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية» فنزلت هذه الآية أو يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء وحسن إسلامهم

وثالثها: أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وذلك

لأنه صلى الله عليه وسلم لما رآه ورأى ما فعلوا به من المثلة قال: «لأمثلن منهم بثلاثين» ، فنزلت هذه الآية،

قال القفال رحمه الله، وكل هذه الأشياء حصلت يوم أحد، فنزلت هذه الآية عند الكل فلا يمتنع حملها على كل الاحتمالات الثاني: في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت بسبب

أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يلعن المسلمين الذين خالفوا أمره والذين انهزموا فمنعه الله من ذلك وهذا القول مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الوجه الثالث: أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر للمسلمين الذين انهزموا وخالفوا أمره ويدعو عليهم فنزلت الآية، فهذه الاحتمالات والوجوه كلها مفرعة على قولنا إن هذه الآية نزلت في قصة أحد.

القول الثاني: أنها نزلت في واقعة أخرى وهي

أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث جمعا من خيار أصحابه إلى أهل بئر معونة ليعلموهن القرآن فذهب إليهم عامر بن الطفيل مع عسكره وأخذهم وقتلهم فجزع من ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم جزعا شديدا ودعا على الكفار أربعين يوما، فنزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل

وهو بعيد لأن أكثر العلماء اتفقوا على أن هذه الآية في قصة أحد، وسياق الكلام يدل عليه وإلقاء قصة أجنبية عن أول الكلام وآخره غير لائق.

المسألة الثانية: ظاهر هذه الآىة يدل على أنها وردت في أمر كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل فيه فعلا، وكانت هذه الآية كالمنع منه، وعند هذا يتوجه الإشكال، وهو أن ذلك الفعل إن كان بأمر الله تعالى، فكيف منعه الله منه؟ وإن قلنا إنه ما كان بأمر الله تعالى وبإذنه، فكيف يصح هذا مع قوله وما ينطق عن الهوى [النجم: ٣] وأيضا دلت الآية على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فالأمر الممنوع عنه في هذه الآية إن كان حسنا فلم منعه الله؟ وإن كان قبيحا، فكيف يكون فاعله معصوما؟.

والجواب من وجوه الأول: أن المنع من الفعل لا يدل على أن الممنوع منه كان مشتغلا به فإنه تعالى قال

للنبي صلى الله عليه وسلم لئن أشركت ليحبطن عملك [الزمر: ٦٥] وأنه عليه الصلاة والسلام ما أشرك قط وقال: يا أيها النبي." (١)

"اتق الله

[الأحزاب: ١] فهذا لا يدل على أنه ما كان يتقي الله، ثم قال: ولا تطع الكافرين وهذا لا يدل على أنه أطاعهم، والفائدة في هذا المنع أنه لما حصل ما يوجب الغم الشديد، والغضب العظيم، وهو مثلة عمه حمزة، وقتل المسلمين، والظاهر أن الغضب يحمل الإنسان على ما لا ينبغي من القول والفعل، فلأجل أن لا تؤدي مشاهدة تلك المكاره إلى ما لا يليق من القول والفعل نص الله تعالى على المنع تقوية لعصمته وتأكيدا لطهارته والثاني: لعله عليه الصلاة والسلام إن فعل لكنه كان ذلك من باب ترك الأفضل والأولى، فلا جرم أرشده الله إلى اختيار الأفضل والأولى، ونظيره قوله تعالى: وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله [النحل: ١٢٦، ١٢٧] كأنه تعالى قال: إن كنت تعاقب ذلك الظالم فاكتف بالمثل، ثم قال ثانيا: وإن تركته كان ذلك أولى، ثم أمره أمرا جازما بتركه، فقال: واصبر وما صبرك إلا بالله.

الوجه الثالث: في الجواب: لعله صلى الله عليه وسلم لما مال قلبه إلى اللعن عليهم استأذن ربه فيه، فنص الله تعالى على المنع منه، وعلى هذا التقدير لا يدل هذا النهي على القدح في العصمة.

المسألة الثالثة: قوله **ليس لك من الأمر شيء** فيه قولان الأول: أن معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة ومن شأن هذه الحادثة شيء وعلى هذا فنقل عن المفسرين عبارات أحدهما: ليس لك من مصالح عبادي شيء إلا ما أوحي إليك وثانيها: ليس لك من مسألة إهلاكهم شيء، لأنه تعالى أعلم بالمصالح فربما تاب عليهم وثالثها: ليس لك في أن يتوب الله عليهم، ولا في أن يعذبهم شيء.

والقول الثاني: أن المراد هو الأمر الذي يضاد النهي، والمعنى: ليس لك من أمر خلقي شيء إلا إذا كان على وفق أمري، وهو كقوله ألا له الحكم [الأنعام: ٦٢] وقوله لله الأمر من قبل ومن بعد [الروم: ٤] وعلى القولين فالمقصود من الآية منعه صلى الله عليه وسلم من كل فعل وقول إلا ما كان بإذنه وأمره وهذا هو الإرشاد إلى أكمل درجات العبودية، ثم اختلفوا في أن المنع من اللعن لأي معنى كان؟ منهم من قال الحكمة فيه أنه تعالى ربما علم من حال بعض الكفار أنه يتوب، أو إن لم يتب لكنه علم أنه سيولد منه ولد

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٥٥/٨

يكون مسلما برا تقيا، وكل من كان كذلك، فإن اللائق برحمة الله تعالى أن يمهله في الدنيا وأن يصرف عنه الآفات إلى أن يتوب أو إلى أن يحصل ذلك الولد فإذا حصل دعاء الرسول عليهم بالإهلاك، فإن قبلت دعوته فات هذا المقصود، وإن لم تقبل دعوته كان ذلك كالاستخفاف بالرسول صلى الله عليه وسلم، فلأجل هذا المعنى منعه الله تعالى من اللعن وأمره بأن يفوض الكل إلى علم الله تعالى، ومنهم من قال: المقصود منه إظهار عجز العبودية وأن لا يخوض العبد في أسرار الله تعالى في ملكه وملكوته، هذا هو الأحسن عندي والأوفق لمعرفة الأصول الدالة على حقيقة الربوبية والعبودية.

المسألة الرابعة: ذكر الفراء والزجاج وغيرهما في هذه الآية قولين أحدهما: أن قوله أو يتوب عليهم عطف على ما قبله، والتقدير: ليقطع طرفا من الذين كفروا، أو يكبتهم، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم، ويكون قوله **ليس لك من الأمر شيء** كالكلام الأجنبي الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه، كما تقول: ضربت زيدا، فأعلم ذلك عمرا، فعلى هذا القول هذه الآية متصلة بما قبلها.

والقول الثاني: أن معنى أو هاهنا معنى حتى، أو إلا أن كقولك: لألزمنك أو تعطيني حقي والمعنى: إلا أن." (١)

"تعطيني أو حتى تعطيني، ومعنى الآية ليس ذلك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم، أو يعذبهم فتتشفى منهم.

المسألة الخامسة: قوله تعالى: أو يتوب عليهم مفسر عند أصحابنا بخلق التوبة فيهم وذلك عبارة عن خلق الندم فيهم على ما مضى، وخلق العزم فيهم على أن لا يفعلوا مثل ذلك في المستقبل قال أصحابنا: وهذا المعنى متأكد ببرهان العقل وذلك لأن الندم عبارة عن حصول إرادة في المضي/ متعلقة بترك فعل من الأفعال في المستقبل، وحصول الإرادات والكراهات في القلب لا يكون بفعل العبد، لأن فعل العبد مسبوق بالإرادة، فلو كانت الإرادات فعلا للعبد لافتقر العبد في فعل تلك الإرادة إلى إرادة أخرى ويلزم التسلسل وهو محال، فعلمنا أن حصول الإرادة والكراهات في القلب ليس إلا بتخليق الله تعالى وتكوينه ابتداء، ولما كانت التوبة عبارة عن الندم والعزم، وكل ذلك من جنس الإرادات والكراهات، علمنا أن التوبة لا تحصل للعبد إلا بخلق الله تعالى، فصار هذا البرهان مطابقا لما دل عليه ظاهر القرآن، وهو قوله أو يتوب عليهم وأما المعتزلة فإنهم فسروا قوله أو يتوب عليهم إما بفعل الألطاف أو بقبول التوبة.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٥٦/٨

أما قوله تعالى: فإنهم ظالمون ففيه مسائل:

المسألة الأولى: إن كان الغرض من الآية منعه من الدعاء على الكفر صح الكلام وهو أنه تعالى سماهم ظالمين، لأن الشرك ظلم قال تعالى: إن الشرك لظلم عظيم [لقمان: ١٣] وإن كان الغرض منها منعه من الدعاء على المسلمين الذين خالفوا أمره صح الكلام أيضا، لأن من عصى الله فقد ظلم نفسه.

المسألة الثانية: يحتمل أن يكون المراد من العذاب المذكور في هذه الآية عذاب الدنيا، وهو القتل والأسر وأن يكون عذاب الآخرة، وعلى التقديرين فعلم ذلك مفوض إلى الله.

المسألة الثالثة: قوله تعالى: فإنهم ظالمون جملة مستقلة، إلا أن المقصود من ذكرها تعليل حسن التعذيب، والمعنى: أو يعذبهم فإنه إن عذبهم إنما يعذبهم لأنهم ظالمون.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٢٩]

ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩)

[في قوله تعالى ولله ما في السماوات وما في الأرض] فيه مسألتان:

المسألة الأولى: أن المقصود من هذا تأكيد ما ذكره أولا من قوله **ليس لك من الأمر شيء** [آل عمران: ١٢٨] والمعنى أن الأمر إنما يكون لمن له الملك، وملك السموات والأرض وليس إلا لله تعالى فالأمر في السموات والأرض ليس إلا لله، وهذا برهان قاطع.

المسألة الثانية: إنما قال: ما في السماوات وما في الأرض ولم يقل (من) لأن المراد الإشارة إلى الحقائق والماهيات، فدخل فيه الكل.

أما قوله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فاعلم أن أصحابنا يحتجون بهذه الآية على أنه سبحانه له أن يدخل الجنة بحكم إلهيته جميع الكفار والمردة، وله أن يدخل النار بحكم إلهيته جميع المقربين والصديقين وأنه لا اعتراض عليه في فعل هذه الأشياء ودلالة الآية على هذا المعنى ظاهرة والبرهان العقلي يؤكد ذلك أيضا، وذلك أن." (١)

"اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة، فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٥٧/٨

ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين إنكار أن لا يكفيهم، ذلك وإنما جيء بلن إشعارا بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم. قيل أمدهم الله يوم بدر أولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف. وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٢٥]

بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (١٢٥)

بلى إيجاب لما بعد لن، أي بلى يكفيكم. ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال: إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم أي المشركون. من فورهم هذا من ساعتهم هذه، وهو في الأصل مصدر من فارت القدر إذ غلت، فاستعير للسرعة ثم أطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي، والمعنى إن يأتوكم في الحال. يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال إتيانهم بلا تراخ ولا تأخير. مسومين معلمين من التسويم الذي هو إظهار سيما الشيء

لقوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه.

«تسوموا فإن الملائكة قد تسومت»

. أو مرسلين من التسويم بمعنى الأسامة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو.

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٢٦ الى ١٢٧]

وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧)

وما جعله الله وما جعل إمدادكم بالملائكة. إلا بشرى لكم إلا بشارة لكم بالنصر. ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن إليه من الخوف. وما النصر إلا من عند الله لا من العدة والعدد، وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم إلى مدد وإنما أمدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم، من حيث إن نظر العامة إلى الأسباب أكثر، وحثا على أن لا يبالوا بمن تأخر عنهم. العزيز الذي لا يغالب في أقضيته. الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة.

ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم، أو وما النصر إن كان اللام فيه للعهد، والمعنى لينقص منهم بقتل بعض وأسر آخرين، وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم. أو يكبتهم أو يخزيهم، والكبت شدة الغيظ، أو وهن يقع في القلب، وأو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الأمال.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٢٨]

ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨)

ليس لك من الأمر شيء اعتراض. أو يتوب عليهم أو يعذبهم عطف على قوله أو يكبتهم، والمعنى أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا وليس لك من أمرهم شيء، وإنما أنت عبد مأمور لإنذارهم وجهادهم. ويحتمل أن يكون معطوفا على الأمر أو شيء بإضمار أن، أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم شيء. أو ليس لك من أمرهم شيء، أو التوبة عليهم أو تعذيبهم. وأن تكون أو بمعنى إلا أن. أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتسر به أو يعذبهم فتتشفى منهم.

روي (أن عتبة بن أبي وقاص شجه يوم أحد وكسر رباعيته، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم) فنزلت

. وقيل هم أن يدعوا عليهم فنهاه." (١)

"**ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨)

{**ليس لك من الأمر شيء**} اسم ليس شيء والخبر لك ومن الأمر حال من شيء لأنها صفة مقدمة {أو يتوب عليهم} عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم **وليس لك من الأمر شيء** اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى أن الله تعالى مالك أمرهم فإما أن." (٢)

"والحيرة وفساد العزم والله وليهما أي مثبتهما، وقال جابر بن عبد الله: ما وددنا أنها لم تنزل لقوله: والله وليهما ولقد نصركم الله ببدر تذكير بنصر الله لهم يوم بدر لتقوى قلوبهم وأنتم أذلة الذلة هي قلة عددهم

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٣٧/٢

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢٩٠/١

وضعف عددهم كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، ولم يكن لهم إلا فرس واحد، وكان المشركون ما بين التسعمائة والألف، وكان معهم مائة فرس. فقتل من المشركين سبعون وأسر منهم سبعون وانهزم سائرهم لعلكم تشكرون متعلق بنصركم أو باتقوا والأول أظهر إذ تقول للمؤمنين كان هذا القول يوم بدر، وقيل: يوم أحد، فالعامل في إذ على الأول محذوف، وعلى الثاني: بدل من إذ غدوت ألن يكفيكم تقرير، جوابه بلى، وإنما جاوب المتكلم لصحة الأمر وبيانه كقوله: قل من رب السماوات والأرض قل الله ويأتوكم من فورهم الضمير للمشركين، والفور السرعة: أي من ساعتهم وقيل: المعنى من سفرهم بخمسة آلاف بأكثر من العدد الذي يكفيكم ليزيد ذلك في قوتكم، فإن كان هذا يوم بدر، فقد قاتلت فيه الملائكة، وإن كان يوم أحد فقد شرط في قوله: إن تصبروا وتتقوا، فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة مسومين بفتح الواو وكسرها أي معلمين، أو معلمين أنفسهم أو خيلهم، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء، وقيل:

كانت عمائمهم صفر، وكانت خيلهم مجزوزة الأذناب وقيل: كانوا على خيل بلق وما جعله الضمير عائد على الإنزال، أو الإمداد ولتطمئن معطوف على بشرى لأن هذا الفعل بتأويل المصدر، وقيل: يتعلق بفعل مضمر يدل عليه جعله ليقطع يتعلق بقوله:

ولقد نصركم الله أو بقوله: وما النصر **ليس لك من الأمر شيء** جملة اعتراضية بين المعطوفين، ونزلت لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة على أحياء قبائل من العرب فترك الدعاء عليهم أو يتوب عليهم معناه يسلمون أضعافا مضاعفة كانوا يزيدون كل ما حل عاما بعد عام

سارعوا بغير واو «١» استئناف، وبالواو عطف على ما تقدم

---

(١) . سارعوا بغير واو قراءة نافع وابن عامر.." (١)

"بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل أراد معهم فمن قال إن هذا الإمداد كان يوم بدر قال: إن الله تعالى أمدهم بألف فلما سمعوا أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق على المسلمين ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم الآية على تقدير أن يجيء للمشركين المدد، فلما لم يمدوا لم يمد الله المسلمين بغير ألف وروى ابن

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١/١٦٤

الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن علي بن أبي طالب قال: بينا أنا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي كانت قبلها فكانت الريح الأولى جبريل نزل في ألفين من الملائكة وكانوا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليہ وسلم والريح الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله أعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل إلى الكثير. فقال لأن الله تعالى ذكر الألف في سورة الأنفال وذكر هنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف، وإن جعلناه على غزوة أحد فيكون المجموع ثمانية آلاف لأنه ليس فيها ذكر الألف المفردة مسومين قرئ بفتح الواو وبكسرها فمن فتح الواو أراد أن الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا فيهم مسومون والسومة والسيما العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة:

فتعرفوني أنني أنا ذلكم ... شاكي سلاح في الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل إلى الملائكة والمعنى أنهم أعلموا أنفسهم بعلامات مخصوصة أو أعلموا خيلهم واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير: كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر. وقال علي وابن عباس: كان عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي: كانت عليهم عمائم صفر مرخاة على أكتافهم، وقال قتادة والضحاك: كانوا قد أعلموا بالعهن يعني بالصوف المصبوغ في نواصي خيلهم وأذنابها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر: «تسوموا فإن الملائكة قد تسومت بالصوف الأبيض في قلانسهم ومغافرهم» ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا أنفسهم بسيما القتال. قوله تعالى:

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٢٦ الى ١٢٨]

وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧) **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨)

وما جعله الله يعني هذا الوعد والمدد إلا بشرى لكم يعنۍ بشارة بأنكم تنصرون فتستبشرون به ولتطمئن أي

ولتسكن قلوبكم به أي فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم وما النصر إلا من عند الله يعني لا تحيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد، فإن النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض أن يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين أمدوا بهم وفيه تنبيه على الإعراض عن الأسباب والإقبال على مسبب الأسباب العزيز الحكيم يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه لأن العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم فلا تخفى عليه مصالح عباده ليقطع طرفا من الذين كفروا هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر، والمعنى أن المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا أي ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والأسر فقتل يوم بدر من قادتهم وساداتهم سبعون وأسر سبعون ومن حمل الآية على غزوة أحد قال: قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يكبتهم أصل الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه والمعنى أنه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة أو." (١)

"الإهلاك أو اللعن والخزي فينقلبوا خائبين أي بالخيبة لم ينالوا شيئا من الذي أملوه من الظفر بكم.

قوله عز وجل: **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم اختلف في سبب نزول هذه الآية.

فقيل: إنها نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر معونة وهي بين مكة وعسفان وأرض هذيل وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول: اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فأنزل الله تعالى عليه **ليس لك من الأمر شيء** إلى قوله فإنهم ظالمون (ق) عن أبي هريرة قال: «لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال: اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة «اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم أجعلها عليهم سنين كسني يوسف» زاد في رواية: «اللهم العن فلانا وفلانا لأحياء من العرب حتى أنزل الله تعالى **ليس لك من الأمر شيء** الآية سماهم في رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا أنه ترك

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/٢٩٤

ذلك لما أنزل الله **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم، فإنهم ظالمون وقيل إنها نزلت يوم أحد ثم اختلفوا في سببها فقيل: إن عتبة بن أبي وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته. (ق) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله تعالى: **ليس لك من الأمر شيء**.

وقيل أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه أن أكثرهم يسلمون وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة ورأى ما صنعوا به من المثلة أراد أن يدعو عليهم فنزلت هذه الآية. وقال العلماء: وهذه الأشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية في النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من أمر مصالح عبادي شيء الا ما أوحى إليك، فإن الله تعالى هو مالك أمرهم فإما أن يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا أو يهلكهم ويعذبهم إن أصروا على الكفر. وقيل ليس لك مسألة هلاكهم والدعاء عليهم لأنه تعالى أعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من أمر خلقي شيء إلا ما وافق أمري إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم، وقيل إن قوله أو يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله **ليس لك من الأمر شيء** كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون **ليس لك من الأمر شيء** بل الأمر أمري في ذلك كله. قال بعض العلماء: والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم أن الله تعالى علم من حال بعض الكفار أنه سيسلم فيتوب عليهم أو سيولد من بعضهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلأجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لأن دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة. فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق في علمه إبقاءهم ليتوب على بعضهم وسيخرج من بعضهم ذرية صالحة مؤمنة، ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله أو يعذبهم فيحتمل أن يكون المراد بعذابهم في الدنيا وهو القتل والأسر وفي الآخرة وهو عذاب النار فإنهم ظالمون هو كالتعليل لعذابهم والمعنى إنما يعذبهم لأنهم ظالمون ثم قال تعالى:

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٢٩ الى ١٣٠]

ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩) يا أيها

الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (١٣٠)

ولله ما في السماوات وما في الأرض هذا تأكيد لما قبله من قوله **ليس لك من الأمر شيء**. والمعنى إنما." (١)

"أو يكبتهم: أي ليخزيهم ويغيظهم، فيرجعوا غير ظافرين بشيء مما أملوه. ومتى وقع النصر على الكفار، فإما بقتل، وإما بخيبة، وإما بهما. وهو كقوله: ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا «١» . وقرأ الجمهور أو تكبتهم بالتاء. وقرأ لاحق بن حميد: أو يكبدهم بالدال مكان التاء، والمعنى: يصيب الحزن كبدهم. وللمفسرين في يكبتهم أقوال: يهزمهم قاله: ابن عباس والزجاج، أو يخزيهم قاله: قتادة ومقاتل، أو يصرعهم قاله:

أبو عبيد واليزيدي، أو يهلكهم قاله: أبو عبيدة. أو يلعنهم قاله: السدي. أو يظفر عليهم قاله: المبرد. أو يغيظهم قاله: النضر بن شميل، واختاره ابن قتيبة. وأما قراءة لاحق فهي من إبدال الدال بالتاء كما قالوا. هوت الثوب وهرده إذا حرقه، وسبت رأسه وسبده إذا حلقه، فكذلك كبت العدو وكبده أي أصاب كبده.

واللام في ليقطع يتعلق قيل: بمحذوف تقديره أمدكم أو نصركم. وقال الحوفي:

بتعلق بقوله: ولقد نصركم الله «٢» أي نصركم ليقطع. قال: ويجوز أن يتعلق بقوله: وما النصر إلا من عند الله. ويجوز أن تكون متعلقة بيمددكم. وقال ابن عطية: وقد يحتمل أن تكون اللام متعلقة بجعله، وقيل: هو معطوف على قوله. ولتطمئن، وحذف حرف العطف منه، التقدير: ولتطمئن قلوبكم به وليقطع، وتكون الجملة من قوله: وما النصر إلا من عند الله اعتراضية بين المعطوف عليه والمعطوف. والذي يظهر أن تتعلق بأقرب مذكور وهو:

العامل من في عند الله وهو خبر المبتدأ. كأن التقدير: وما النصر إلا كائن من عند الله، لا من عند غيره. لأحد أمرين: إما قطع طرف من الكفار بقتل وأسر، وإما بخزي وانقلاب بخيبة. وتكون الألف واللام في النصر ليست للعهد في نصر مخصوص، بل هي للعموم، أي: لا يكون نصر أي نصر من الله للمسلمين على الكفار إلا لأحد أمرين.

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٢٨ الى ١٣٢]

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٩٥/١

ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨) ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩) يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (١٣٠) واتقوا النار التي أعدت للكافرين (١٣١) وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون (١٣٢)

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣/ ٢٥.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١٢٣.." [1]

"**ليس لك من الأمر شيء** اختلف في سبب النزول وملخصه: أنه لعن ناسا أو شخصا عين أنه عتبة بن أبي وقاص، أو أشخاصا دعا عليهم وعينوا: أبا سفيان، والحرث بن هشام، وصفوان بن أمية. أو قبائل عين منها: لحيان، ورعل، وذكوان، وعصية. أو هم بسبب الذين انهزموا يوم أحد، أو استأذن ربه أن يدعو. ودعا يوم أحد حين شج في وجهه، وكسرت رباعيته، ورمي بالحجارة، حتى صرع لجنبه، فلحقه ناس من فلاحهم، ومال إلى أن يستأصلهم الله ويريح منهم، فنزلت. فعلى هذه الأسباب يكون معنى الآية: التوقيف على أن جميع الأمور إنما هي لله، فيدخل فيها هداية هؤلاء وإقرارهم على حالة. وفي خطابه: دليل على صدور أمر منه أو هم به، أو استئذان في الدعاء كما تقدم ذكره، وأن عواقب الأمور بيد الله. قال الكوفيون: نسخت هذه الآية القنوت على رعل وذكوان وعصية وغيرهم من المشركين. وقال السخاوي: ليس هذا شرط الناسخ، لأنه لم ينسخ قرآنا.

أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون قيل: هو عطف على ما قبله من الأفعال المنصوبة. ويكون قوله: **ليس لك من الأمر شيء** جملة اعتراضية، والمعنى: أن الله مالك أمرهم، فإما أن يهلكهم، أو يهزمهم، أو يتوب عليهم إن أسلموا، أو يعذبهم إن أصروا على الكفر. وقيل: أن مضمرة بعد أو، بمعنى: إلا أن، وهي التي في قولهم: لألزمنك أو تقضيني حقي، والمعنى: أنه ليس له من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم بالإسلام فيسر بهداهم، أو يعذبهم بقتل وأسر في الدنيا، أو بنار في الآخرة، فيستشفي بذلك ويستريح.

وعلى هذا التأويل تكون الجملة المنفية للتأسيس، لا للتأكيد. وقيل: أو يتوب معطوف على الأمر. وقيل: على شيء. أي: ليس لك من الأمر، أو من توبتهم، أو تعذيبهم شيء. أو **ليس لك من الأمر شيء** أو

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٣٣٧

توبتهم، أو تعذيبهم. والظاهر من هذه التخاريج الأربعة هو الأول.

وأبعد من ذهب إلى أن قوله: ليس لك من الأمر، أي أمر الطائفتين اللتين همتا أن تفشلا.

وقال ابن بحر: من الأمر، من هذا النصر، وإنما هو من الله كما قال: وما رميت إذ رميت «١» وقيل: المراد بالأمر أمر القتال. والظاهر الحمل على العموم، والأمور كلها لله تعالى.

وقرأ أبي: أو يتوب عليهم أو يعذبهم برفعهما على معنى: أو هو يتوب عليهم، ثم نبه

---

(١) سورة الأنفال: ٨/ ١٧.." (١)

"على العلة المقتضية للتعذيب بقوله: فإنهم ظالمون، وأتى بإن الدالة على التأكيد في نسبة الظلم إليهم.

ولله ما في السماوات وما في الأرض لما قدم **ليس لك من الأمر شيء**، بين أن الأمور إنما هي لمن له الملك، والملك فجاء بهذه الجملة مؤكدة للجملة السابقة. وتقدم شرح هذه الجملة. وما: إشارة إلى جملة العالم وما هيأته، فلذلك حسنت ما هنا.

يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لما تقدم قوله: أو يتوب عليهم أو يعذبهم، أتى بهذه الجملة موضحة أن تصرفاته تعالى على وفق مشيئته، وناسب البداءة بالغفران، والإرداف بالعذاب ما تقدم من قوله: أو يتوب عليهم أو يعذبهم، ولم يشرط في الغفران هنا التوبة. إذ يغفر تعالى لمن يشاء من تائب وغير تائب، ما عدا ما استثناه تعالى من الشرك.

وقال الزمخشري ما نصه عن الحسن رحمه الله: يغفر لمن يشاء بالتوبة، ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين. ويعذب من يشاء، ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين للعذاب. وعن عطاء:

يغفر لمن يتوب إليه، ويعذب من لقيه ظالما وإتباعه قوله: أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون، تفسير بين لمن يشاء، فإنهم المتوب عليهم أو الظالمون. ولكن أهل الأهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله تعالى، فيخبطون خبط عشواء، ويطيبون أنفسهم بما يفترون. عن ابن عباس من قولهم: يهب الذنب الكبير لمن يشاء، ويعذب من يشاء على الذنب الصغير. انتهى كلامه. وهو مذهب المعتزلة. وذلك أن من مات مصرا على كبيرة لا يغفر الله له. وما ذكره عن الحسن لا يصح ألبتة. ومذهب أهل السنة أن الله تعالى

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٣٣٨

يغفر لمن يشاء وإن مات مصرا على كبيرة غير تائب منها.
والله غفور رحيم في هذه الجملة ترجيح لجهة الإحسان والإنعام يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة قال ابن عطية: هذا النهي عن أكل الربا اعترض أثناء قصة أحد، ولا أحفظ شيئا في ذلك مرويا انتهى.
ومناسبة هذه الآية لما قبلها ومجيئها بين أثناء القصة: أنه لما نهى المؤمنين عن اتخاذ بطانة من غيرهم، واستطرد لذكر قصة أحد. وكان الكفار أكثر معاملاتهم بالربا مع أمثالهم ومع المؤمنين، وهذه المعاملة مؤدية إلى مخالطة الكفار، نهوا عن هذه المعاملة التي هي الربا قطعا لمخالطة الكفار ومودتهم، واتخاذ أخلاء منهم، لا سيما والمؤمنون في أول حال الإسلام ذوو إعسار، والكفار من اليهود وغيرهم ذوو يسار. وكان أيضا أكل الحرام له مدخل." (١)
"به صح له أن يفسر مضمرا، وهذه المسألة منصوص عليها. وهذا أرجح من الوجه قبله، لأنه مثل: أزيدا ضربته، وهو راجح لأجل الطالب للفعل، ومثل حذف هذا الفعل المقدر لدلالة ما قبل الاستفهام عليه حذف الفعل في قوله: {آلآن وقد عصيت} [يونس: ٩١] قيل: تقديره: الآن آمنت ورجعت وتبت ونحو ذلك.
قال الواحدي: «فإن قيل: كيف وجد دخول» أحد «في هذه القراءة وقد انقطع من النفي والاستفهام، وإذا انقطع الكلام إيجابا وتقريرا فلا يجوز دخول» أحد «؟ قيل: يجوز أن يكون» أحد «في هذا الموضع» أحدا «الذي في نحو: أحد وعشرين وهذا يقع في الإيجاب، ألا ترى أنه بمعنى واحد. وقال أبو العباس:» إن أحدا ووحدا وواحدا بمعنى «.
وقوله:» أو يحاجوكم «» أو «في هذه القراءة بمعنى حتى، ومعنى الكلام: أأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم تذكرونه لغيركم حتى يحاجكم عند ربكم. قال الفراء:» ومثله في الكلام/: تعلق به أو يعطيك حقك، ومثله قول امرىء القيس:
١٣٣٥ - فقلت له: لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٣٩/٣

أي: حتى، ومن هذا قوله تعالى:

{ليس لك من الأمر شيء أو يتوب." (١)

"قوله تعالى: {أو يتوب} : في نصبه أوجه، أحدها: أنه معطوف على الأفعال المنصوبة قبله تقديره: ليقطع أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم، وعلى هذا فيكون قوله «ليس لك من الأمر شيء» جملة اعتراضية بين المتعاطفين، والمعنى: أن الله تعالى هو المالك لأمرهم، فإن شاء." (٢)

"قطع طرفا منهم أو هزمهم، أو يتوب عليهم إن أسلموا ورجعوا، أو يعذبهم إن تمادوا على كفرهم، وإلى هذا التخريج ذهب جماعة من النحاة كالفراء والزجاج.

والثاني: أن «أو» هنا بمعنى «إلا أن» كقولهم: «لألزمنك أو تقضيني حقي» أي: إلا أن تقضيني.

الثالث: [أن] «أو» بمعنى «حتى» أي: ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب. وعلى هذين القولين فالكلام متصل بقوله: «ليس لك من الأمر شيء» والمعنى: / ليس لك من الأمر شيء إلا أن يتوب عليهم بالإسلام فيحصل لك سرور بهدايتهم إليه أو يعذبهم بقتل أو نار في الآخرة. فيتشفى بهم. وممن ذهب إلى ذلك الفراء وأبو بكر ابن الأنباري. قال الفراء: «ومثل هذا الكلام:» لأذمنك أو تعطيني «على معنى: إلا أن تعطيني، وحتى تعطيني. وأنشد ابن الأنباري في ذلك قول امرىء القيس:

١٤٢٥ - فقلت له لا تبك عينك إنما ... تحاول ملكا أو تموت فتعذرا

أراد: حتى تموت، أو: إلا أن تموت» قلت: وفي تقديره بيت امرىء القيس ب «حتى» نظر، إذ ليس المعنى عليه؛ لأنه لم يفعل ذلك لأجل هذه الغاية والنحويون لم يقدروه إلا بمعنى «إلا» .." (٣)

"الثالث: أنه منصوب بإضمار «أن» عطفا على قوله: «الأمر» كأنه قيل: «ليس لك من الأمر أو من توبته عليهم أو تعذيبهم شيء» ، فلما كان في تأويل الاسم عطف على الاسم قبله فهو من باب قوله:

١٤٢٦ - ولولا رجال من رزام أعزة ... وآل سبيع أو أسوءك علقما

وقولها:

١٤٢٧ - للبس عباءة وتقر عيني ... أحب إلي من لبس الشفوف

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٢٥٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٣٩١

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٣٩٢

الرابع: أنه معطوف بالتأويل المذكور على «شيء» والتقدير: ليس لك من الأمر من شيء أو توبة الله عليهم أو تعذيبهم أي: ليس لك أيضا توبتهم ولا تعذيبهم، إنما ذلك راجع إلى الله تعالى.

وقرأ أبي: «أو يتوب، أو يعذبهم» برفعهما على الاستئناف في جملة اسمية أضمر مبتدؤها أي: أو هو يتوب ويعذبهم.." (١)

"بنحوه، واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه.

وبدر محلة بين مكة والمدينة، تعرف ببئرها، منسوبة إلى رجل حفرها يقال له: "بدر بن النارين". قال الشعبي: بدر بئر لرجل يسمى بدرا.

وقوله: {فاتقوا الله لعلكم تشكرون} أي: تقومون بطاعته.

{إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين (١٢٤) بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (١٢٥) وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧) ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨) ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩) }

اختلف المفسرون في هذا الوعد: هل كان يوم بدر أو يوم أحد؟ على قولين:

أحدهما: أن قوله: {إذ تقول للمؤمنين} متعلق بقوله: {ولقد نصركم الله ببدر} وروي هذا عن الحسن البصري، وعامر الشعبي، والربيع بن أنس، وغيرهم. واختاره ابن جرير.

قال عباد بن منصور، عن الحسن في قوله: {إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة} قال: هذا يوم بدر. رواه ابن أبي حاتم، ثم قال:

حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب عن داود، عن عامر -يعني الشعبي-أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين، فشق ذلك عليهم، فأنزل الله: {ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين} إلى قوله: {مسومين} قال: فبلغت كرزا الهزيمة، فلم يمد المشركين ولم يمد الله المسلمين بالخمسة.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٣٩٣

وقال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف.
فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية -على هذا القول-وبين قوله تعالى في قصة بدر: {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين [وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله] (١) إن الله عزيز حكيم} [الأنفال:٩، ١٠] فالجواب: أن التنصيص على الألف هاهنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها، لقوله: {مردفين} بمعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم ألوف أخر مثلهم. وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران. فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر، والله أعلم، قال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: أمد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف.

---

(١) زيادة من جـ، ر، أ، و، وفي هـ: "إلى قوله".." (١)

"وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الأحمسي (١) حدثنا وكيع، حدثنا هشام بن عروة، عن يحيى بن عباد: أن الزبير [بن العوام] (٢) رضي الله عنه، كان عليه يوم بدر عمامة صفراء معتجرا بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر.
رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، فذكره.
وقوله: {وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به} أي: وما أنزل الله الملائكة وأعلمكم بإنزالها إلا بشارة لكم وتطييبا لقلوبكم وتطمينا، وإلا فإنما النصر من عند الله، الذي لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال: {ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم. سيهديهم ويصلح بالهم. ويدخلهم الجنة عرفها لهم.} [محمد:٤-٦] . ولهذا قال هاهنا: {وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم} أي: هو ذو العزة التي لا ترام، والحكمة في قدره والإحكام.
ثم قال (٣) تعالى: {ليقطع طرفا من الذين كفروا} أي: أمركم بالجهاد والجلاد، لما له في ذلك من الحكمة في كل تقدير، ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة في الكفار المجاهدين. فقال: {ليقطع طرفا} أي: ليهلك

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١١٢/٢

أمة {من الذين كفروا أو يكبتهم} أي: يخزيهم ويردهم بغيظهم لما لم ينالوا منكم ما أرادوا؛ ولهذا قال: {أو يكبتهم فينقلبوا} أي: يرجعوا {خائبين} أي: لم يحصلوا على ما أملوا.

ثم اعترض بجملة دلت على أن الحكم في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له، فقال: **{ليس لك من الأمر شيء}** أي: بل الأمر كله إلي، كما قال: {فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب} [الرعد:٤٠] وقال {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء} [البقرة:٢٧٢] . وقال {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} [القصص:٥٦] .

قال محمد بن إسحاق في قوله: **{ليس لك من الأمر شيء}** أي: ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم.

ثم ذكر تعالى بقية الأقسام فقال: {أو يتوب عليهم} أي: مما هم فيه من الكفر ويهديهم بعد الضلالة {أو يعذبهم} أي: في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم؛ ولهذا قال: {فإنهم ظالمون} أي: يستحقون ذلك.

وقال البخاري: حدثنا حبان بن موسى، أخبرنا عبد الله، أخبرنا معمر، عن الزهري، حدثني سالم، عن أبيه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الثانية من الفجر (٤)

---

(١) في ر: "الأخمسي".

(٢) زيادة من جـ.

(٣) في جـ: "وقال".

(٤) في جـ، ر، أ: "من الفجر يقول".." (١)

"اللهم العن فلانا وفلانا" بعد ما يقول: "سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد" فأنزل الله تعالى (١) **{ليس لك من الأمر شيء** [أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون] (٢) } .

وهكذا رواه النسائي، من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق، كلاهما، عن معمر (٣) ، به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو عقيل -قال أحمد: وهو عبد الله بن عقيل، صالح الحديث ثقة-قال: حدثنا عمر بن حمزة، عن سالم، عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم العن فلانا، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية".

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١١٤/٢

فنزلت هذه الآية: **{ليس لك من الأمر شيء}** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} فتيب عليهم كلهم (٤) .

وقال أحمد: حدثنا أبو معاوية الغلابي، حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا محمد بن عجلان، عن نافع، عن عبد الله؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أربعة قال: فأنزل الله: **{ليس لك من الأمر شيء}** [أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون] (٥) } قال: وهداهم الله للإسلام (٦) .

وقال محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على رجال من المشركين يسميهم بأسمائهم، حتى أنزل الله: **{ليس لك من الأمر شيء}** الآية.

وقال البخاري أيضا: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن (٧) عبد الرحمن، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدعو على أحد -أو يدعو لأحد-قنت بعد الركوع، وربما قال -إذا قال: "سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد-: "اللهم انج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف". يجهر بذلك، وكان يقول -في بعض صلاته في صلاة الفجر-: "اللهم العن فلانا وفلانا" لأحياء من العرب، حتى أنزل الله **{ليس لك من الأمر شيء}** الآية (٨) .

وقال البخاري: قال حميد وثابت، عن أنس بن مالك: شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فقال: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ ". فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}** وقد أسند هذا الحديث الذي علقه البخاري رحمه الله (٩) .

وقال البخاري: في غزوة أحد: حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي، حدثنا عبد الله -أخبرنا معمر،

---

(١) في أ: "عز وجل".

(٢) زيادة من جـ، ر، وفي هـ: "الآية".

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٠٦٩، ٤٥٥٩، ٧٣٤٦) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٠٧٥) .

(٤) المسند (٢/٩٣) .

(٥) زيادة من جـ، ر، أ، و، وفي هـ: "إلى آخر الآية".

(٦) المسند (٢/١٠٤) .

(٧) في جـ، ر: "عن".

(٨) صحيح البخاري برقم (٤٥٦٠) .

(٩) صحيح البخاري (٧/٣٦٥) "فتح"، وسيأتي حديث حميد موصولا عن أحمد. أما حديث ثابت فقد وصله مسلم برقم (١٧٩١) .." (١)

"عن الزهري، حدثني سالم بن عبد الله، عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول -إذا رفع رأسه من الركوع، في الركعة الأخيرة من الفجر-: "اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا" بعد ما يقول: "سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد". فأنزل الله: **{ليس لك من الأمر شيء}** [إلى قوله: {فإنهم ظالمون}] (١) .

وعن حنظلة بن أبي سفيان قال: سمعت سالم بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: **{ليس لك من الأمر شيء}** [أو يتوب عليهم أو يعذبهم] (٢) فإنهم ظالمون} (٣) .

هكذا ذكر هذه الزيادة البخاري معلقة مرسلة مسندة متصلة في مسند أحمد متصلة آنفا.

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، حدثنا حميد، عن أنس، رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في جبهته حتى سال الدم على وجهه، فقال: "كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم، عز وجل". فأنزل الله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء}** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون}

انفرد به مسلم، فرواه (٤) [عن] (٥) القعنبي، عن حماد، عن ثابت، عن أنس، فذكره (٦) .

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا الحسين بن واقد، عن مطر، عن قتادة قال: أصيب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته، وفرق حاجبه، فوقع وعليه درعان والدم يسيل، فمر به سالم مولى أبي حذيفة، فأجلسه ومسح عن وجهه، فأفاق وهو يقول: "كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى الله؟ " فأنزل الله: **{ليس لك من الأمر شيء}** [أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون] (٧) } .

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١١٥/٢

وكذا رواه عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، بنحوه، ولم يقل: فأفاق (٨) .

ثم قال تعالى: {ولله ما في السماوات وما في الأرض} أي: الجميع ملك له، وأهلهما عبيد بين يديه {يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء} أي: هو المتصرف فلا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، والله غفور رحيم (٩) .

---

(١) زيادة من جـ، ر،، وفي هـ: "الآية".

(٢) في جـ، ر: "إلى قوله".

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٠٦٩) .

(٤) في جـ: "ورواه".

(٥) زيادة من ر.

(٦) المسند (٣/٩٩) وصحيح مسلم برقم (١٧٩١) .

(٧) زيادة من جـ، ر، أ، و، وفي هـ: "الآية".

(٨) تفسير الطبري (٧/١٩٧، ١٩٨) وتفسير عبد الرزاق (٢/١٣٥) .

(٩) في أ: "لا يعجزه شيء".." (١)

"وثانيها: أن {أن يؤتى} في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف، تقديره: أأن يؤتى أحد - يا معشر اليهود - من الكتاب والعلم مثل ما أوتيتم تصدقون به، أو تعترفون به، أو تذكرونه لغيركم، أو تشيعونه في الناس، ونحو ذلك مما يحسن تقديره، وهذا على قول من يقول: أزيد ضربته؟ وهو وجه مرجوح، كذا قدره الواحدي تبعا للفارسي وأحسن من هذا التقدير لأن الأصل أإتيان أحد مثل ما أوتيتم ممكن أو مصدق به. الثالث: أن يكون منصوبا بفعل مقدر يفسره هذا الفعل المضمر، وتكون المسألة من باب الاشتغال، التقدير: أتذكرون أن يؤتى أحد تذكرونه؟ ف «تذكرونه» مفسر ل «تذكرون» الأولى، على حد: أزيدا ضربته؟ ثم حذف الفعل الأخير؛ لدلالة الكلام عليه، وكأنه منطوق به، ولكونه في قوة المنطوق به صح له أن يفسر مضمرا وهذه المسألة منصوص عليها، وهذا أرجح من الوجه قبله، لأنه مثل: أزيدا ضربته وهو أرجح، لأجل الطالب للفعل، ومثل حذف هذا الفعل المقدر لدلالة ما قبل الاستفهام عليه حذف الفعل في قوله تعالى:

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢/١١٦

{آلآن وقد عصيت قبل} [يونس: ٩١] تقديره: آلآن آمنت، ورجعت وثبت، ونحو ذلك.

قال الواحدي: فإن قيل: كيف جاز دخول «أحد» في هذه القراءة، وقد انقطع من النفي، والاستفهام، وإذا انقطع الكلام – إيجابا وتقريرا – فلا يجوز دخول «أحد» .

قيل: يجوز أن يكون طأحد «– في هذا الموضع – أحدا الذي في نحو أحد وعشرين، وهذا يقع في الإيجاب، ألا ترى أنه بمعنى» واحد «.

قال أبو العباس: إن» أحدا «و» وحدا «و» واحدا «بمعنى.

وقوله: {أو يحاجوكم} ، أو في هذه القراءة – بمعنى» حتى «، ومعنى الكلام: أأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم تذكرونه لغيركم حتى يحاجوكم عند ربكم.

قال الفراء:» ومثله في لكلام: تعلق به أو يعطيك حقك.

ومثله قول امرئ القيس: [الطويل]

١٥١٤ – فقلت له: لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

أي حتى، ومن هذا قوله تعالى: **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم} [آل عمران: ١٢٨] ، ومعنى." (١)

"فصل

في معنى الآية قولان:

الأول: ليس لك من مصالح عبادي شيء إلا ما أوحي إليك.

وثانيها: ليس لك في أن يتوب الله عليهم، ولا في أن يعذبهم شيء غلا إذا كان على وفق أمري، وهو كقوله: {ألا له الحكم} [الأنعام: ٦٢] ، واختلفوا في هذا المنع من اللعن، لأي معنى كان؟

فقيل: الحكمة فيه أنه – تعالى – ربما علم من حال بعض الكفار أنه يتوب، وأنه سيولد له ولد، يكون مسلما، برا، تقيا، فإذا حصل دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم بالهلاك، فإن قبلت دعوته فات هذا المقصود، وإن لم تقبل دعوته كان ذلك كالاستخفاف بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فلأجل هذا المعنى منعه الله تعالى – من اللعن، وأمره بأن يفوض الكل إلى علم الله سبحانه وتعالى.

وقيل المقصود منه إظهار عجز العبودية وألا يخوض العبد في أسرار الله تعالى.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٣٢٦

قوله: {أو يتوب} في نصبه أوجه:

أحدها: أنه معطوف على الأفعال المنصوبة قبله، تقديره: ليقطع، أو يتوب عليهم، أو يكبتهم، أو يعذبهم. وعلى هذا فيكون قوله: {ليس لك من الأمر شيء} جملة معترضة بين المتعاطفين، والمعنى: إن الله تعالى هو المالك لأمرهم، فإن شاء قطع طرفا منهم، أو هزمهم، أو يتوب عليهم إن أسلموا ورجعوا، أو يعذبهم إن تمادوا على كفرهم، وإلى هذا التخريج ذهب جماعة من النحاة كالفراء، والزجاج.

الثاني: أن «أو» هنا بمعنى «إلا أن» كقولهم: لألزمنك أو تقضين حقي أي: إلا أن تقتضينه.

الثالث: «أو» بمعنى: «حتى» ، أي: ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب وعلى هذين القولين فالكلام متصل بقوله: {ليس لك من الأمر شيء} ، والمعنى: ليس لك من الأمر شيء إلا أن يتوب عليهم بالإسلام، فيحصل لك سرور بهدايتهم إليه، أو يعذبهم بقتل، أو نار في الآخرة، فتشقى بهم، وممن ذهب إلى ذلك الفراء، وأبو بكر بن الأنباري، قال الفراء: ومثل هذا من الكلام: لألزمنك أو تعطيني، على معنى إلا أن تعطيني وحتى تـعطيني وأنشدوا في ذلك قول امرئ القيس: [الطويل]

١٦١٣ - فقلت له: لا تبك عينك إنما ... تحاول ملكا، أو تموت، فعذرا

أراد: حتى تموت، أو: إلا أن تموت.." (١)

"قال شهاب الدين: «وفي تقدير بيت امرئ القيس ب» حتى «نظر؛ إذ ليس المعنى عليه؛ لأنه لم يفعل ذلك لأجل هذه الغاية، والنحويون لم يقدروه إلا بمعنى: إلا أن» .

الثالث: منصوب بإضمار: «أن» عطفا على قوله: «الأمر» ، كأنه قيل: ليس لك من الأمر أو من توبته عليهم، أو تعذيبهم شيء، فلما كان في تأويل الاسم عطف على الاسم قبله، فهو من باب قوله: [الطويل]

١٦١٤ - فلولا رجال من رزام أعزة ... وآل سبيع، أو أسوءك علقما

وقوله: [الوافر]

١٦١٥ - للبس عباءة، وتقر عيني ... أحب إلي من لبس الشفوف

الرابع: أنه معطوف - بالتأويل المذكور - على «شيء» ، والتقدير: ليس لك من الأمر شيء، أو توبة الله عليهم، أو تعذيبهم، أي: ليس لك - أيضا - توبتهم ولا تعذيبهم، إنما ذلك راجع إلى الله عز وجل.

وقرأ أبي: أو يتوب، أو يعذبهم، برفعهما على الاستئناف في جملة اسمية، أضمر مبتدؤها، أي: هو يتوب،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٥٣٠

ويعذبهم.

فصل

يحتمل أن يكون المراد من هذا العذاب: هو عذاب الدنيا - بالقتل والأسر - وأن يكون عذاب الآخرة، وعلى التقديرين فعلم ذلك مفوض إلى الله تعالى.

قوله: {فإنهم ظالمون} جملة مستقلة، والمقصود من ذكرها: تعليل حسن والتعذيب، والمعنى: إن يعذبهم فبظلمهم.

واعلم أنه إذا كان الغرض من الآية منعه من الدعاء على الكفار صح ذلك، وسماهم ظالمين؛ لأن الشرك ظلم، بل هو أعظم الظلم؛ لأن الله تعالى قال: {إن الشرك لظلم عظيم} [لقمان: ١٣] .

وإن كان الغرض منها منعه من الدعاء على المسلمين الذين خالفوا أمره، صح الكلام - أيضا -؛ لأن من عصى الله، فقد ظلم نفسه.." (١)

"والمقصود منه: تأكيد ما ذكره أولا من قوله: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨] ، والمعنى:." (٢)

"لأن المعنى: ليس لك إلا الرسالة والتبليغ، وقد فعلت وما قصرت، «وكفى بالله شهيدا» على جدك وعدم تقصيرك في أداء الرسالة وتبليغ الوحي، فأما حصول الهداية فليس إليك، بل إلى الله؛ ونظيره قوله - تعالى -: {ليس لك من الأمر شيء} [آل عمران: ١٢٨] ، وقوله: {إنك لا تهدي من أحببت} [القصص: ٥٦] .

وقيل المعنى: وكفى بالله شهيدا على إرسالك وصدقك، وقيل: وكفى بالله شهيدا على أن الحسنة والسيئة كلها من الله.." (٣)

"ومسومين: معناه: معلمين بعلامات، وروي أن الملائكة أعلمت يوم بدر بعمائم بيض إلا جبريل فإنه كان بعمامة صفراء على مثال عمامة الزبير بن العوام «١» ، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين يوم بدر: «سوموا فإن الملائكة قد سومت» «٢» .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٥٣١

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٥٣١

(٣) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/٥١٦

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٢٦ الى ١٢٩]

وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧) **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨) ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩)

وقوله سبحانه: وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم: الضمير في جعله الله: عائد على الإنزال والإمداد، ومعنى الآية: وما كان هذا الإمداد إلا لتستبشروا به، وتطمئن به قلوبكم، وترون حفاية الله بكم، وإلا فالكثرة لا تغني شيئا إلا أن ينصر الله، واللام في قوله: ليقطع متعلقة بقوله: وما النصر، ويحتمل أن تكون متعلقة ب جعله فيكون قطع الطرف إشارة إلى من قتل ببدر على قول ابن إسحاق وغيره، أو إلى «٣» من قتل بأحد على ما قال السدي «٤» ، وقتل من المشركين ببدر سبعون، وقتل منهم يوم أحد اثنان وعشرون رجلا، والطرف الفريق.

وقوله سبحانه: أو يكبتهم: معناه يخزيهم والكبت: الصرع لليدين.

وقال ص: الكبت: الهزيمة، وقيل: الصرع لليدين اهـ.

---

(١) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى. أبو عبد الله القرشي. الأسدي. حواري الرسول صلى الله عليه وسلم وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وهو صحابي مشهور، وفضائله كثيرة لا يتسع المقام للكلام عنها. قتل بعد منصرفه يوم الجمل في جمادى الأولى سنة (٣٦) ، وله ست أو سبع وستون سنة.

ينظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٢/ ٢٤٩) ، و «تجريد أسماء الصحابة» (١/ ١٨٨) ، و «الإصابة» (٣/ ٥) ، و «الاستيعاب» (٢/ ٥١٠) ، و «التاريخ الكبير» (٣/ ٤٠٩) ، و «حلية الأولياء» (١/ ٨٠٩) ، و «الكاشف» (١/ ٣٢٠) ، و «الرياض المستطابة» (٧٤) ، و «المصباح المضيء» (١/ ١١٤) ، و «الرياض النضرة» (٢/ ٣٥١) ، و «البداية والنهاية» (٧/ ٤٤٩) ، و «بقي بن مخلد» (٨٤) و «الأنساب» (١/ ٢١٦) ، و «صفة الصفوة» (١/ ٣٤٢) ، و «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤١) .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور (٢/ ٣٦٠) رقم (٢٨٦١) عن عمير بن إسحاق عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا.

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٥٠٥) .

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٣٠) برقم (٧٧٩٩) ، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٤٢٢) ، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٥٠٥) .." (١)

"وقوله تعالى: **ليس لك من الأمر شيء** ... الآية: روي في سبب هذه الآية أنه لما هزم أصحابه صلى الله عليه وسلم، وشج وجهه، وكسرت رباعيته، جعل يمسح وجهه، ويقول: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم» ، وفي بعض طرق الحديث: «كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى الله» ، فنزلت الآية، فقيل له: **ليس لك من الأمر شيء**، أي: عواقب الأمور بيد الله، فامض أنت لشأنك، ودم على الدعاء إلى ربك. قلت: وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم ممتثلا أمر ربه، قال عياض: روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته، وشج وجهه يوم أحد، شق ذلك على أصحابه، وقالوا: لو دعوت عليهم، فقال: «إني لم أبعث لعانا، ولكني بعثت داعيا، ورحمة، اللهم اهد قومي، فإنهم لا يعلمون» «١» ، وروي عن عمر (رضي الله عنه) أنه قال في بعض كلامه: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، لقد دعا نوح على قومه، فقال: رب لا تذر على الأرض [نوح: ٢٦] الآية ولو دعوت علينا، لهلكنا من عند آخرنا، فلقد وطيء ظهرك، وأدمي وجهك، وكسرت رباعيتك، فأبيت أن تقول إلا خيرا، فقلت: «اللهم، اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» اهـ.

قال الطبري «٢» وغيره من المفسرين: أو يتوب عطف على يكبتهم والمعنى:

أو يتوب عليهم، فيسلمون/ أو يعذبهم، إن تمادوا على كفرهم فإنهم ظالمون، ثم أكد سبحانه معنى قوله: **ليس لك من الأمر شيء** بذكر الحجة الساطعة في ذلك، وهي ملكه الأشياء، فقال سبحانه: ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم، أي: فله سبحانه أن يفعل بحق ملكه ما يشاء، لا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه، وذكر سبحانه: أن الغفران أو التعذيب، إنما هو بمشيئته، وبحسب السابق في علمه، ثم رجى سبحانه في آخر ذلك تأنيسا للنفوس.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٠٣/٢

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٣٠ الى ١٣٢]

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (١٣٠) واتقوا النار التي أعدت للكافرين (١٣١) وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون (١٣٢)

وقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة ... الآية.

قال ع «٣» : هذا النهي عن أكل الربا اعترض أثناء قصة أحد، ولا أحفظ سببا في ذلك

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٦- ٢٠٠٧) ، كتاب «البر والصلة» ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث (٨٧/ ٢٥٩٩) عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله: ادع على المشركين. قال: «إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة» .

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٤٣١) .

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٥٠٦) .." (١)

"في كنف الله؛ فلا يضركم كيدهم، وضمة الراء في لا يضر كضمة مد للاتباع؛ لأنه جزاء شرط مضارع مضاعف، فجاز فيه أربعة أوجه، وقرئ لا يضركم بكسر الضاد من ضاره بمعنى ضره (إن الله بما يعملون محيط): علمه فيجازيهم بما هم أهله.

* * *

(وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم (١٢١) إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٢٢) ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون (١٢٣) إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين (١٢٤) بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (١٢٥) وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧) **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨) ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢/١٠٤

* * *

(وإذ غدوت) أي: واذكر إذ غدوت (من أهلك): منزل عائشة رضى الله عنها (تبوئ المؤمنين): لتسوي وتهيئ لهم، (مقاعد للقتال): مواقف وأماكن له، (والله سميع) لأقوالهم (عليم): بضمائركم وأحوالكم، هذه وقعة أحد، وقيل يوم." (١)

"أنزل الله الملائكة يوم بدر ألفا كما قال: (فاستجاب لكم أني ممدكم بألف) [الأنفال: ٩]، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم خمسة آلاف، (وما جعله الله) أي: الإمداد، (إلا بشرى): بشارة، (لكم): بالنصر، (ولتطمئن): ولتسكن، (قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله): لا من عدة وعدد، (العزيز): الذي لا يغالب في قضائه (الحكيم) في أفعاله، (ليقطع طرفا) أي: لقد نصركم الله ببدر ليهلك طائفة، أو يهدم ركنا من أركان الشرك، أو متعلق بقوله (وما النصر إلا من عند الله). (من الذين كفروا أو يكبتهم): يخزيهم وأو للتنويع، (فينقلبوا خائبين): منقطعي الآمال، (**ليس لك من الأمر شيء**) بل الأمر كله إلى الله، نزلت حين قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلعن فيه على قوم قتلوا سبعين رجلا من قراء." (٢)

"الصحابة بعثوا ليعلموا الناس، أو نزلت يوم أحد حين شج في رأسه الأشرف، ويقول "كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم؟! " (أو يتوب عليهم أو يعذبهم)، عطف على الأمر بإضمار أن أي: ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم أو تعذيبهم أو على شيء أي ليس لك من أمرهم شيء، أو التوبة أو تعذيبهم أو بمعنى إلا أن أي: ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم، أو عطف على أو يكبتهم، (**ليس لك من الأمر شيء**) اعتراض وقع في البين، وأنت تعلم أن هذا توجيه لو يلائمه سبب النزول يلائم اللفظ والمعنى، (فإنهم ظالمون): استحقوا التعذيب.

(ولله ما في السماوات وما في الأرض): خلقا وملكا فالأمر له لا لغيره، (يغفر لمن يشاء): غفرانه، (ويعذب من يشاء): تعذيبه، (والله غفور رحيم): فلا تبادر إلى اللعن، والدعاء عليهم.

* * *

(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (١٣٠) واتقوا النار التي أعدت للكافرين (١٣١) وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون (١٣٢) وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٨٨/١

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٩٠/١

السماوات والأرض أعدت للمتقين (١٣٣) الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (١٣٤) والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا." (١)

"فإن قلت: ما ذكر في الأنفال إلا ألفا، وهنا خمسة آلاف. فالجواب: أن الله تعالى أمدهم أولا بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف. قال ابن عباس: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر، وفيما سوى ذلك يشهدون القتال معنا، ولا يقاتلون. هـ.

الإشارة: كل من توجه لجهاد نفسه في الله، واشتغل بذكر مولاه، أمده الله في الباطن بالأنوار والأسرار، وفي الظاهر بالملائكة الأبرار، وقد شوهد ذلك في الفقراء أصحابنا، إذا كانوا ثلاثة رآهم العامة ثلاثين، وإذا كانوا ثلاثين رأوهم ثلاثمائة، وقد كنا في سفره سبعين، فرأونا سبعمائة على ما أخبرونا به، والله يؤيد بنصره من يشاء.

ثم ذكر الحق تعالى حكمة إمداده لهم، فقال:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٢٦ الى ١٢٩]

وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (١٢٦) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧) **ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨) ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩)

قلت: (**ليس لك من الأمر شيء**) : جملة معترضة بين قوله: (أو يكبتهم) وقوله: (أو يتوب عليهم) ، أو تكون (أو) بمعنى (إلا) ، أي: **ليس لك من الأمر شيء**، إلا أن يتوب عليهم فتبشرهم، أو يعذبهم فتتشفى فيهم. قاله البيضاوي.

يقول الحق جل جلاله: وما جعل الله ذلك الإمداد إلا بشارة لكم بالنصر، ولتطمئن قلوبكم به فتثبتوا للقتال، وما النصر إلا من عند الله فهو قادر على أن ينصركم بلا واسطة، لكن أراد أن يثيبكم وينسب المزية إليكم، حيث قتلهم على أيديكم، فإن الله عزيز لا يغلب، حكيم فيما دبر وأبرم، وإنما نصركم يوم بدر ليقطع طرفا من الذين كفروا بقتل بعض وأسر آخرين، فإنه قتل يومئذ سبعون، وأسر سبعون، أو يكبتهم أي: يحزنهم

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٩١/١

ويغيظهم، والكبت: شدة الغيظ، فينقلبوا خائبين مما أملوا.

ولما جرح- عليه الصلاة والسلام- في وجهه، وشج على قرن حاجبه، وكسرت رباعيته، هم بالدعاء على الكفار، بل دعا عليهم، فأنزل الله: **ليس لك من الأمر شيء** إنما أنت رسول إليهم، مأمور بإنذارهم وجهادهم، وأمرهم بيد مالكهم، إن شاء هداهم وإن شاء عذبهم. وإنما نهاه عن الدعاء عليهم لعلمه بأن منهم من يسلم ويجاهد في سبيل الله، وقد كان كذلك فجلهم أسلموا وجاهدوا، منهم خالد بن الوليد- سيف الله في أرضه.." (١)

"ثم عطف على قوله: ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم قوله: أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن لم يسلموا، فإنهم ظالمون قد استحقوا العذاب بظلمهم، والأمور كلها بيد الله، ولله ما في السماوات وما في الأرض خلقا وملكا وعبيدا، يغفر لمن يشاء غفرانه، ويعذب من يشاء تعذيبه، ولا يجب عليه شيء، والله غفور رحيم لعباده، فلا تبادر بالدعاء عليهم.

الإشارة: وما جعل الله التأييد الذي ينزله على أهل التجريد، حين يقابلهم بالابتلاء والتشديد، إذا أراد أن يوصلهم لصفاء التوحيد، إلا بشارة لفتحهم، ولتطمئن بمعرفته قلوبهم، فإن الامتكان على قدر الامتحان، وكل محنة تزيد مكنة، وهذه سنة الله في أوليائه يسلط عليهم الخلق في بدايتهم، ويشدد عليهم البلاء، حتى إذا طهروا من البقايا، وكملت فيهم المزايا، كف عنهم الأذى، وانقلب الجلال جمالا، وذلك اعتناء بهم، ونصرا لهم على أنفسهم، فإن النصر كله من عند الله العزيز الحكيم. وذلك ليقطع عنهم طرفا من الشواغل والعلائق، التي تقبضهم عن العروج إلى سماء الحقائق، فإن الروح إذا رقدت في ظل العز والجاه صعب خروجها من هذا العالم، فإذا ضيق عليها، وعكس مرادها، رحلت إلى عالم الملكوت، والأمر كله بيد الله. ليس لك أيها الفقير من الأمر شيء، إنما أنت مأمور بتحريك الأسباب «١» والله يفتح الباب. وليس لك أيها الشيخ من الأمر شيء، إنما أنت مذكر، وعلى الله البلاغ، فلا تأس على ما فاتك، ولا تفرح بما آتاك، فملكوت السموات والأرض بيد الله، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم.

قال القشيري: جرده- أي: نبيه صلى الله عليه وسلم لما به عرفه عن كل غير وسبب، حيث أخبره أنه ليس له من الأمر شيء، ثم قال: ويقال: أقامه في وقت مقاما رمى بقبضة من التراب، فأصابت جميع الوجوه، وقال: وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وقال في وقت آخر: **ليس لك من الأمر شيء**. هـ.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٤٠٤

ي‌ش‌ير إلى أنهما مقامان: نيابة عن الله بالله، ونيابة الله عن عبده، والأول بقاء، والثاني فناء، قاله المحشى.
قلت: الأول في مقام البسط، والثاني في مقام القبض، فقد قالوا: إذا بسط فلا فاقة، وإذا قبض فلا طاقة.
والله تعالى أعلم.
ولما كان النصر فى الجهاد لا يكون إلا بأكل الحلال وطاعة الكبير المتعال، قدم ذكر ذلك قبل الأمر بالقتال فى قضية أحد، فقال:

---

(١) فى «أ» السبب.." (١)

"قاتلهم الله أي: أهلكهم ودمرهم لأن من قاتله الله هلك، فيكون دعاء، أو تعجبا من شناعة قولهم، أنى يؤفكون أي: كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل.
اتخذوا أحبارهم أي: علماءهم ورهبانهم عبادهم أربابا من دون الله بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، وفي السجود لهم، والمسيح ابن مريم بأن جعلوه ابن الله، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا وهو الله الواحد الحق، وأما طاعة الرسول- عليه الصلاة والسلام- وسائر من أمر بطاعته، فهو في الحقيقة طاعة لله، لا إله إلا هو تقرير للتوحيد، سبحانه عما يشركون تنزيها له عن أن يكون معه شريك.
يريدون أن يطفؤا أي: يخمدوا نور الله القرآن أو الإسلام بجملته، بأفواههم كقولهم فيه:
سحر، وشعر، وغير ذلك، وفيه إشارة إلى ضعف حيلتهم فيما أرادوا، ويأبى الله لا يرضى إلا أن يتم نوره بإعلاء التوحيد، وإظهار الإسلام، وإعزاز القرآن وأهله، ولو كره الكا‌ف‌رون ذلك، فإن الله لا محالة يتم نوره، ويظهر دينه.
هو الذي أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، الضمير في «يظهره» : للدين الحق، أو للرسول صلى الله عليه وسلم، واللام في «الدين» : للجنس، أي: على سائر الأديان فينسخها، أو على أهلها فيخذلهم، وقد أنجز وعده، وأظهر دينه ورسوله على الأديان كلها، حتى عم المشارق والمغارب، ولو كره المشركون ذلك الإظهار، فيظهره الله رغما عن أنفهم. وقيل: يتحقق ذلك عند نزول عيسى عليه السلام، حتى لا يبقى دين إلا دين الإسلام، والله تعالى أعلم.
الإشارة: من انطمس نور بصيرته نسب لله ما لا يليق بكمالاته، ومن لم تنهضه سوابق العناية وقف مع

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٠٥/١

الوسائط، ولم ينفذ إلى شهود الموسوط، وقد عير الله قوما وقفوا مع الوسائط فقال: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وقال، في شأن الواسطة العظمى غيرة على القلوب أن تقف مع غيره: **ليس لك من الأمر شيء** «١» ، إنما أنت نذير «٢» ، ودخل بعض العارفين على إنسان وهو يبكي، فقال: وما يبكيك؟ فقال له: مات أستاذي، فقال له ذلك العارف: ولم جعلت أستاذك من يموت؟.

فالوسائط كالأنبياء والأولياء، إنما هم موصلون إلى الله، دالون عليه، فمن وقف معهم ولم ينفذ إلى الله فقد اتخذه ربا عند الخواص.

---

(١) من الآية ١٢٨ من سورة آل عمران.

(٢) من الآية ١٢ من سورة هود.." (١)

"وتقدم في: الحاقة ما الحاقة [١٠١ \ ١ - ٢] .

ومثله قوله تعالى: القارعة ما القارعة [١٠١ \ ١ - ٢] .

قوله تعالى: يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله

أي: لشدة هوله وضعف الخلائق، كما تقدم في قوله تعالى: يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه [٨٠ \ ٣٤ - ٣٥] ، وقوله: لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه [٨٠ \ ٣٧] .

ولحديث الشفاعة: "كل نبي يقول: نفسي نفسي، إلى أن تنتهي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فيقول: " أنا لها ".

وحديث فاطمة: " اعملي. . . . ".

وقوله تعالى: من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه [٢ \ ٢٥٥] ، ونحو ذلك.

وقوله: والأمر يومئذ لله، ظاهر هذه الآية تقييد الأمر بالظرف المذكور، ولكن الأمر لله في ذلك اليوم، وقيل ذلك اليوم، كما في قوله تعالى: لله الأمر من قبل ومن بعد [٣٠ \ ٤] .

وقوله: ألا له الخلق والأمر [٧ \ ٥٤] ، أي: يتصرف في خلقه بما يشاء من أمره لا يشركه أحد، كما لا يشركه أحد في خلقه.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٣٧٥

ولذا قال لرسوله – صلى الله عليه وسلم –: قل إن الأمر كله لله [٣ \ ١٥٤] .

وقال: ليس لك من الأمر شيء [٣ \ ١٢٨] ونحو ذلك.

ولكن جاء الظرف هنا لزيادة تأكيد، لأنه قد يكون في الدنيا لبعض الناس بعض الأوامر، كما في مثل قوله تعالى: وأمر أهلك بالصلاة [٢٠ \ ١٣٢] .

وقوله: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم [٤ \ ٥٩] .

وقوله: فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد [١١ \ ٩٧] ، وهي كلها في الواقع أوامر نسبية: " وما تشاءون إلا أن يشاء الله " [٧٦ \ ٣٠] .." (١)

"جاء في أهل بدر قوله – صلى الله عليه وسلم –: «لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: افعلوا ما شئتم ؛ فقد غفرت لكم» مع أنهم لن يفعلوا محرما بذلك، ولكنه تكريم لهم ورفع لمنزلتهم.

وقد كان – صلى الله عليه وسلم – يتوب، ويستغفر، ويقوم الليل حتى تورمت قدماه، وقال: «أفلا أكون عبدا شكورا» .

فكان كل ذلك منه شكرا لله تعالى، ورفعا لدرجاته – صلى الله عليه وسلم –.

وقد جاء: «نعم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه» ، وهو حسنة من حسناته – صلى الله عليه وسلم –.

أو أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يعتد على نفسه بالتقصير، ويعتبر ذنبا يستثقله ويستغفر منه، كما كان إذا خرج من الخلاء قال: «غفرانك» .

ومعلوم أنه ليس من موجب للاستغفار، إلا ما قيل شعوره بترك الذكر في تلك الحالة، استوجب منه ذلك.

وقد استحسن العلماء قول الجنيد: حسنات الأبرار سيئات المقربين، أو أن المراد مثل ما جاء في القرآن من بعض اجتهاداته – صلى الله عليه وسلم – وفي سبيل الدعوة، فيرد اجتهاده فيعظم عليه: كقصة ابن أم مكتوم، وعوتب فيه: عبس وتولى أن جاءه الأعمى الآية [٨٠ \ ١ – ٢] ، ونظيرها ولو كان بعد نزول هذه السورة، إلا أنه من باب واحد كقوله: عفا الله عنك لم أذنت لهم [٩ \ ٤٣] ، وقصة أسارى بدر، وقوله: ليس لك من الأمر شيء [٣ \ ١٢٨] ، واجتهاده في إيمان عمه، حتى قيل له: إنك لا تهدي من أحببت [٢٨ \ ٥٦] ونحو ذلك. فتحمل الآية عليه، أو أن الوزر بمعناه اللغوي، وهو ما كان يثقله من

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٨/٤٥٢

أعباء الدعوة، وتبليغ الرسالة، كما ذكر ابن كثير في سورة «الإسراء» عن الإمام أحمد من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لما كان ليلة أسري بي فأصبحت بمكة فظعت، وعرفت أن الناس مكذبي، فقعدت معتزلا حزينا، فمر بي أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ فقال رسول اللہ – صلى الله عليه وسلم –:» نعم «، وقص عليه الإسراء» .

ففيه التصريح بأنه – صلى الله عليه وسلم – فظع، والفظاعة: ثقل وحزن، والحزن: ثقل. وتوقع تكذيبهم إياه أثقل على النفس من كل شيء. والله تعالى أعلم.." (١)

"(٢٦١٥٧) – قال عبد الله بن عباس: إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه، وإذا ذكر شيئا من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك تفسير البغوي (٣) / (١٨٦) – .

(٢٦١٥٨) – قال عبيد بن عمير: قرأ عبد الله بن عباس هذه الآية، فقال: هل هاهنا أحد من بني بكر؟ فقال رجل: نعم – قال: ما الحرج فيكم؟ قال: الوادي الكثير الشجر، المتمسك، الذي لا طريق فيه – قال ابن عباس: كذلك قلب الكافر تفسير الثعلبي (٤) / (١٨٨) – .

(٢٦١٥٩) – عن عبد الله بن عباس – من طريق علي بن أبي طلحة – في قوله: (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) – ونحو هذا من القرآن، وأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول – يقول: (**ليس لك من الأمر شيء**) [آل عمران: (١٢٨)] أخرجه ابن أبي حاتم (٤) / (١٣٨٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤) / (٦٣٨) ((١٠٢٤)) مطولا – .

(٢٦١٦٠) – عن سعيد بن جبير – من طريق حبيب بن أبي عمرة – (يجعل صدره ضيقا حرجا)، قال: لا يجد مسلكا إلا صعدا أخرجه ابن جرير (٩) / (٥٤٦) – .

(٢٦١٦١) – عن مجاهد بن جبر – من طريق حميد – (ضيقا حرجا)، قال: شاكا أخرجه ابن جرير (٩) / (٥٤٥) – .

(٢٦١٦٢) – عن قتادة بن دعامة – من طريق سعيد – (ضيقا حرجا)، أي: ملتبسا أخرجه ابن جرير (٩)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥٧٧/٨

/ (٥٤٦) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ - .
(٢٦١٦٣) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - (ضيقا حرجا): أما (حرجا) فشاكا أخرجه ابن جرير (٩) / (٥٤٥) - .
(٢٦١٦٤) - عن عطاء الخراساني - من طريق معمر - في قوله: (يجعل صدره ضيقا حرجا)، يقول: ليس للخير فيه منفذ أخرجه عبد الرزاق (١) / (٢١٨)، وابن جرير (٩) / (٥٤٦)، وابن أبي حاتم (٤) / (١٣٨٥) - .
(٢٦١٦٥) - عن محمد بن السائب الكلبي - من طريق معمر - في قوله: (يجعل صدره
." (١)

"(٤٠٧١١) - عن عكرمة مولى ابن عباس - من طريق عمرو بن دينار - في قوله: (إنا كفيناك المستهزئين)، قال: هم خمسة كلهم هلك قبل بدر؛ العاصي بن وائل، والوليد بن المغيرة، وأبو زمعة بن الأسود، والحارث بن قيس ابن الغيطلة، والأسود بن عبد يغوث أخرجه عبد الرزاق (١) / (٣٥٢)، وابن عساكر (٣٤) / (٢٢١) - .
(٤٠٧١٢) - عن أبي بكر الهذلي، قال: قيل للزهري: إن سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين، فقال سعيد: الحارث ابن غيطلة - وقال عكرمة: الحارث بن قيس - فقال: صدقا جميعا، كانت أمه تسمى: غيطلة، وكان أبوه: قيسا أخرجه ابن جرير (١٤) / (١٤٩) - وعزاه السيوطي إلى أبي نعيم - .
(٤٠٧١٣) - عن عكرمة مولى ابن عباس، قال: جاء جبريل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فحنى ظهر الأسود بن عبد يغوث حتى احقوقف احقوقف: طال واعوج - اللسان (حقف) - صدره، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «خالي، خالي» - فقال جبريل: دعه عنك، فقد كفيتكه، فهو من المستهزئين - قال: وكانوا يقولون: سورة البقرة! وسورة العنكبوت! يستهزئون بها عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .
(٤٠٧١٤) - عن عكرمة مولى ابن عباس - من طريق معمر، عمن سمعه - يقول: مكث النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة خمس عشرة سنة، منها أربع أو خمس يدعو إلى الإسلام سرا وهو خائف، حتى بعث الله على الرجال الذين أنزل فيهم: (إنا كفيناك المستهزئين)، (الذين جعلوا القرآن عضين) - والعضين

(١) موسوعة التفسير المأثور ٨٧/١٤

بلسان قريش: السحر، فأمر بعدواتهم، فقال: (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) - ثم أمر بالخروج إلى المدينة، فقدم في ثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول، ثم كانت وقعة بدر، ففيهم أنزل الله: (وإذ يعدكم الله إحدى الطآئفتين أنها لكم) [الأنفال: (٥)] - وفيهم نزلت: (سيهزم الجمع) [القمر: (٤٥)] - وفيهم نزلت: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) [المؤمنون: (٦٤)] - وفيهم نزلت: (ليقطع طرفا من الذين كفروا) [آل عمران: (١٢٧)] - وفيهم نزلت: (**ليس لك من الأمر شيء**) [آل عمران: (١٢٨)] - أراد الله القوم، وأراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العير، وفيهم نزلت: (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) الآية [إبراهيم: (٢٨)] - وفيهم نزلت: (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم) الآية [البقرة: (٢٤٣)] - وفيهم نزلت: (قد كان لكم آية في فئتين التقتا) [آل عمران: (١٣)]: في شأن العير، (والركب أسفل منكم) [الأنفال: (٤٢)]:

(١) ".

"ريشة، فيسقط من كل ريشة قطرة من ماء، فيخلق الله جل وعز منها ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة، (يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء) من خلق الأجنحة من الزيادة (قدير) يعني: يزيد في خلق الأجنحة على أربعة أجنحة تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٥٥١) - .

آثار متعلقة بالآية

(٦٣٧٨٥) - عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه سلم رأى جبريل له ستمائة جناح، قد سد الأفق أخرجه الترمذي (٥) / (٤٧٧) - (٤٧٨) ((٣٥٦٢))، من طريق مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة به - وسنده ضعيف؛ فيه مجالد بن سعيد، قال عنه ابن حجر في التقريب ((٦٤٧٨)): «ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره» - .

(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم (٢))

(٦٣٧٨٦) - عن أبي هريرة - من طريق مالك - : أنه كان إذا أصبح في الليلة التي يمطرون فيها وتحدث مع أصحابه قال: مطرنا الليلة بنوء الفتح - ثم يتلو: (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) أخرجه مالك في الموطأ (ت: د - بشار عواد) (١) / (٢٦٧) - (٢٦٨) ((٥١٨)) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٢١/٢١

(٦٣٧٨٧) - عن عبد الله بن عباس، في قوله: (ما يفتح الله للناس) الآية، قال: ما يفتح الله للناس من باب توبة فلا ممسك لها؛ وإن شاءوا، وإن أبوا، (وما يمسك) من باب توبة (فلا مرسل له من بعده) وهم لا يتوبون عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم - .

(٦٣٧٨٨) - عن عبد الله بن عباس، في قوله: (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده)، يقول: ليس لك من الأمر شيء عزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم - .

(٦٣٧٨٩) - عن الحسن البصري، في قوله: (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده): ما يقسم الله للناس من رحمة؛ ما ينزل من

(١) ".

"(٨٣٨٠٧) - قال مقاتل بن سليمان: سورة (ألم نشرح) عددها ثماني آيات كوفي تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٧٣٩) - .

تفسير الآية

(ألم نشرح لك صدرك (١))

نزول الآية

(٨٣٨٠٨) - قال مقاتل بن سليمان: (ألم نشرح لك صدرك) ذلك أن أربعمائة رجل من أصحاب النبي من أصحاب الصفة كانوا قوما مسلمين، فإذا تصدقوا عليهم شيئا أكلوه، وتصدقوا ببعضه على المساكين، وكانوا يأوون في مسجد رسول الله، ولم يكن لهم بالمدينة قبيلة، ولا عشيرة، ثم إنهم خرجوا محتسبين يجاهدون المشركين، وهم بنو سليم، كان بينهم وبين المسلمين حرب، فخرجوا يجاهدونهم، فقتل منهم سبعون رجلا، فشق ذلك على النبي وعلى المسلمين، ثم إن رسول الله كان يدعو عليهم في دبر كل صلاة الغداة يقنت فيها، ويدعو عليهم أن يهلكهم الله، فقال الله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) [آل عمران: (١٢٨)]، ثم عظم الرب نفسه فقال: (ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم) [آل عمران: (١٢٩)] في تأخير العذاب عنهم، لعلم قد سبق فيهم أن يسلموا، وأنزل الله: (ألم نشرح لك صدرك) تفسير مقاتل بن سليمان (٤) /

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٣/٣٠٥

(٧٤٢) - .

تفسير الآية

(٨٣٨٠٩) - عن عبد الله بن عباس - من طريق ابن جريج، عن عطاء - في قوله: (ألم نشرح لك صدرك)، قال: شرح الله صدره للإسلام أخرجه ابن مردويه -كما في التغليق (٤) / (٣٧٣)، وفتح الباري (٨) / (٧١٢) - - وعلقه البخاري (٤) / (١٨٩٢) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم - .

(٨٣٨١٠) - عن إبراهيم بن طهمان، قال: سألت سعيدا عن قوله: (ألم نشرح لك صدرك)، فحدثني به عن قتادة، عن أنس قال: شق بطنه من عند صدره إلى أسفل

". (١)

"إحدى الطائفتين أنها لكم) [الأنفال: (٧)]، وفيهم نزلت: (سيهزم الجمع) [القمر: (٤٥)] الآية، وفيهم نزلت: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) [المؤمنون: (٦٤)]، وفيهم نزلت: (ليقطع طرفا من الذين كفروا) [آل عمران: (١٢٧)]، وفيهم نزلت: (ليس لك من الأمر شيء) [آل عمران: (١٢٨)]، وفيهم نزلت: (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) [إبراهيم: (٢٨)]، وفيهم نزلت: (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء) [الأنعام: (٤٧)]، وفيهم نزلت: (قد كان لكم آية في فئتين التقتا) أخرجه عبد الرزاق (٥) / (٣٦١) - (٣٦٢) ((٩٧٣٤)) عن معمر، قال: أخبرني من سمع عكرمة يقول - وذكره - وهذا إسناد ضعيف؛ فيه رجل مبهم - .

(١٢١٤١) - قال مقاتل بن سليمان: قوله سبحانه: (قد كان لكم آية في فئتين)، وذلك أن بني قينقاع من اليهود أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد قتال بدر يوعدونه القتال كما قتل كفار مكة يوم بدر؛ فأنزل الله: (قد كان لكم آية) تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٢٦٥) - .

تفسير الآية

(قد كان لكم آية)

(١٢١٤٢) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - (قد كان لكم آية)، قال: عبرة وتفكر أخرجه ابن جرير (٥) / (٢٤١)، وابن المنذر (١) / (١٣٨) - .

(١٢١٤٣) - عن الربيع بن أنس - من طريق أبي جعفر - في قوله: (قد كان لكم آية)، يقول: قد كان

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٢٨/٤٣

لكم في هؤلاء عبرة ومتفكر أخرجه ابن جرير (٢) / (٢٤٢)، وابن أبي حاتم (٢) / (٦٠٤) - .
(في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة)
(١٢١٤٤) - عن علي بن أبي طالب، قال: سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بدر، فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين؛ منهم رجل من قريش، ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول: كم القوم؟ فيقول: هم - والله -
." (١)

"(١٤٥١٣) - قال مقاتل بن سليمان: (وما جعله الله) يقول: وما جعل المدد من الملائكة (إلا بشرى لكم ولتطمئن) يعني: ولكي تسكن (قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله) يقول: النصر ليس بقلة العدد ولا بكثرته، ولكن النصر من عند الله (العزيز) يعني: المنيع في ملكه، (الحكيم) في أمره، حكم النصر للمؤمنين - نظيرها في الأنفال تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٢٩٩) - يشير إلى قوله تعالى: (وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ((١٠))) - .
(١٤٥١٤) - عن محمد بن إسحاق - من طريق سلمة - (وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به)، قال: لما أعرف من ضعفكم، وما النصر إلا من عندي بسلطاني وقدرتي، وذلك أن العز والحكم إلي، لا إلى أحد من خلقي أخرجه ابن جرير (٦) / (٣٩)، وابن المنذر (١) / (٣٧١) من طريق زياد، وابن أبي حاتم (٣) / (٧٥٥) - .
(١٤٥١٥) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - (وما النصر إلا من عند الله)، قال: لو شاء الله أن ينصركم بغير الملائكة فعل أخرجه ابن جرير (٦) / (٣٩) - .
(ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (١٢٧))
نزول الآية
(١٤٥١٦) - عن معمر، قال: أخبرني من سمع عكرمة يقول: مكث النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة خمس عشرة سنة، منها أربع أو خمس يدعو إلى الإسلام سرا وهو خائف، حتى بعث الله على الرجال الذين أنزل فيهم (إنا كفيناك المستهزئين) - ثم أمر بالخروج إلى المدينة، فقدم في ثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول، ثم كانت وقعة بدر، ففيهم أنزل الله: (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين) [الأنفال: (٧)]،

(١) موسوعة التفسير المأثور ٦٠/٧

وفيهم نزلت: (سيهزم الجمع) [القمر: (٤٥)]، وفيهم نزلت: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) [المؤمنون: (٦٤)]، وفيهم نزلت: (ليقطع طرفا من الذين كفروا)، وفيهم نزلت: (ليس لك من الأمر شيء) - أراد الله القوم، وأراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العير - وفيهم نزلت: (قد كان لكم آية في فئتين التقتا) [آل عمران: (١٣)] في شأن العير - أخرجه عبد الرزاق (٥) / (٣٦١) - (٣٦٣) ((٩٧٣٤)) - .

تفسير الآية

(ليقطع طرفا من الذين كفروا)

". (١)

"(١٤٥٢١) - عن الربيع بن أنس - من طريق أبي جعفر - (ليقطع طرفا من الذين كفروا)، قال: فقطع الله يوم بدر طرفا من الكفار، وقتل صناديدهم ورؤساءهم، وقادتهم في الشر أخرجه ابن جرير (٦) / (٤٠) - وعلقه ابن أبي حاتم (٣) / (٧٥٥) - .

(١٤٥٢٢) - قال مقاتل بن سليمان: (ليقطع) لكي يقطع (طرفا من الذين كفروا) من أهل مكة تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٢٩٩) - .

(١٤٥٢٣) - عن محمد بن إسحاق - من طريق سلمة - (ليقطع طرفا من الذين كفروا)، أي: ليقطع طرفا من المشركين بقتل ينتقم به منهم أخرجه ابن جرير (٦) / (٤٠)، وابن المنذر (١) / (٣٧٢) من طريق زياد - .

(أو يكبتهم)

(١٤٥٢٤) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن جريج - (أو يكبتهم)، قال: يخزيهم أخرجه ابن المنذر ((٩٠٢)) - .

(١٤٥٢٥) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - (أو يكبتهم)، قال: يخزيهم أخرجه ابن جرير (٦) / (٤٢) - .

(١٤٥٢٦) - وعن الربيع بن أنس - من طريق أبي جعفر -، مثله أخرجه ابن جرير (٦) / (٤٢)، وابن أبي حاتم (٣) / (٧٥٦) - .

(١٤٥٢٧) - عن إسماعيل السدي، في قوله: (أو يكبتهم)، قال: يلعنهم تفسير الثعلبي (٣) / (١٤٥)،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٧/٤٧٩

وتفسير البغوي (٤) / (١٠١) - .

(١٤٥٢٨) - عن محمد بن السائب الكلبي، في قوله: (أو يكبتهم)، قال: يهزمهم تفسير الثعلبي (٣) / (١٤٥)، وتفسير البغوي (٤) / (١٠١) - .

(١٤٥٢٩) - قال مقاتل بن سليمان: (أو يكبتهم)، يعني: يخزيهم تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٢٩٩) - .

(١٤٥٣٠) - عن محمد بن إسحاق - من طريق سلمة - (أو يكبتهم)، قال: بقتل ينتقم به منهم أخرجه ابن أبي حاتم (٣) / (٧٥٦) - .

(فينقلبوا خائبين (١٢٧))

(١٤٥٣١) - قال مقاتل بن سليمان: (فينقلبوا) إلى مكة (خائبين) لم يصيبوا ظفرا ولا خيرا - فلم يصبر المؤمنون، وتركوا المركز، وعصوا، فرفع عنهم المدد، وأصابتهم الهزيمة بمعصيتهم - فيها تقديم تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٢٩٩) - (٣٠٠) - .

(١٤٥٣٢) - عن محمد بن إسحاق - من طريق سلمة - (فينقلبوا خائبين)، قال: أو يردهم خائبين، أي: يرجع من بقي منهم خائبين؛ لم ينالوا شيئا مما كانوا يأملون أخرجه ابن جرير (٦) / (٤١)، وابن المنذر (١) / (٣٧٢) من طريق زياد، وابن أبي حاتم (٣) / (٧٥٦) - .

(**ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨))

نزول الآية

(١٤٥٣٣) - عن أبي هريرة: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع: «اللهم، أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين - اللهم، اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» - يجهر بذلك - وكان يقول في بعض صلاته؛ في صلاة الفجر: «اللهم العن فلانا وفلانا» لأحياء من أحياء العرب - حتى أنزل الله: (**ليس لك من الأمر شيء**) - وفي لفظ: «اللهم، العن لحيان، ورعلا، وذكوان، وعصية عصت الله ورسوله» - ثم بلغنا: أنه ترك ذلك لما نزل قوله: (**ليس لك من الأمر شيء**) الآية أخرجه البخاري (٦) / (٣٨) ((٤٥٦٠))، ومسلم (١) / (٤٦٦) ((٦٧٥)) - .

(١٤٥٣٤) - عن عبد الله بن عمر، قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو على أربعة نفر؛

فأنزل الله: (ليس لك من الأمر شيء) الآية، فهداهم الله للإسلام أخرجه أحمد (١٠) / (٧٥) ((٥٨١٢))، والترمذي (٥) / (٢٥٥) ((٣٢٥٠))، وابن خزيمة (١) / (٦٤٩) - (٦٥٠) ((٦٢٣))، وابن جرير (٦) / (٤٧)، وابن أبي حاتم (٣) / (٧٥٧) ((٤١٢٨)) من طريق محمد بن عجلان، عن نافع، عن عبد الله بن عمر به - قال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب» - وقال ابن خزيمة (١) / (٦٤٩) - (٦٥٠) ((٦٢٣)): «حديث غريب» - وقال ابن عساكر في معجمه (١) / (١٦٩) ((١٨٩)): «حديث حسن غريب» - وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٧) / (١٩٩) ((٨١٨٧)) - .

(١) ".

"(١٤٥٣٥) - عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد: «اللهم، العن أبا سفيان - اللهم، العن الحارث بن هشام - اللهم، العن سهيل بن عمرو - اللهم، العن صفوان بن أمية» - فنزلت هذه الآية: (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون)؛ فتيب عليهم كلهم أخرجه البخاري (٥) / (٩٩) ((٤٠٦٩))، (٦) / (٣٨) ((٤٥٥٩))، (٩) / (١٠٦) ((٧٣٤٦))، وأحمد (٩) / (٤٨٦) ((٥٦٧٤)) واللفظ له - .

(١٤٥٣٦) - عن عبد الله بن عمر: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لعن في صلاة الفجر بعد الركوع في الركعة الآخرة، فقال: «اللهم، العن فلانا وفلانا» ناسا من المنافقين دعا عليهم؛ فأنزل الله: (ليس لك من الأمر شيء) الآية أخرجه البخاري (٥) / (٩٩) ((٤٠٦٩))، (٩) / (١٠٦) ((٧٣٤٦))، وعبد الرزاق (١) / (٤١٣) ((٤٥٧)) واللفظ له - .

(١٤٥٣٧) - عن أنس بن مالك: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في وجهه، حتى سال الدم على وجهه، فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟!» - فأنزل الله: (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) أخرجه مسلم (٣) / (١٤١٧) ((١٧٩١))، وابن جرير (٦) / (٤٣) - (٤٤)، وابن المنذر (١) / (٣٧٣) ((٩٠٥))، وابن

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٧/٤٨١

أبي حاتم (٣) / (٧٥٦) ((٤١٢٤)) - وعلقه البخاري (٥) / (٩٩) - علق ابن عطية ((٢) / (٣٥٠)) على هذا الأثر وما في معناه بقوله: «وكأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لحقه في تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش، فمالت نفسه إلى أن يستأصلهم الله ويريح منهم، فروي أنه دعا عليهم، أو استأذن في أن يدعو عليهم» - .

(١٤٥٣٨) - قال عبد الله بن مسعود: أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد، وكان عثمان منهم، فنهاه الله عن ذلك، وتاب عليهم؛ وأنزل هذه الآية أورده الثعلبي (٣) / (١٤٥) - كما ذكره الآلوسي في روح المعاني (٤) / (٤٩) دون ذكر عثمان - وهو منكر المتن؛ لمخالفته للأحاديث الصحيحة وسائر ما ورد في سبب نزول الآية، كما أنه مخالف لخلق النبي - صلى الله عليه وسلم - المشتمل على الرحمة والعفو، خصوصا مع أصحابه - .

(١٤٥٣٩) - عن سالم بن عبد الله بن عمر، قال: جاء رجل من قريش إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ،
(١) ".

"فقال: إنك تنهى عن السبي! يقول: قد سبى العرب - ثم تحول، فحول قفاه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكشف أسته، فلعنه، ودعا عليه، فأنزل الله: (**ليس لك من الأمر شيء**) الآية، ثم أسلم الرجل فحسن إسلامه أخرجه ابن إسحاق في السير (١) / (٢٣٤)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (١) / (٢٨٨) - قال السيوطي في لباب النقول (١) / (٤٧): «مرسل غريب» - .

(١٤٥٤٠) - عن سالم بن عبد الله - من طريق حنظلة بن أبي سفيان - قال: وقوله : (**ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم) نزلت في سهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، والحارث بن هشام، كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو في الصلاة، فنزلت فيهم هذه الآية أخرجه ابن منده في معرفة الصحابة (٢) / (٦٧٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١) / (٤٩٣) - (٤٩٤) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٧/٤٨٢

(١٤٥٤١) - قال سعيد بن المسيب=

(١٤٥٤٢) - وعامر الشعبي=

(١٤٥٤٣) - ومحمد بن إسحاق: لما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون يوم أحد ما بأصحابهم من جدع الآذان والأنوف، وقطع المذاكير، وقالوا: لئن أدالنا الله تعالى منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا، ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد - فأنزل الله تعالى هذه الآية تفسير الثعلبي (٣) / (١٤٦)، وتفسير البغوي (٤) / (١٠٢) - (١٠٣) دون ذكر الشعبي - .

(١٤٥٤٤) - عن الحسن البصري، قال: بلغني: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما انكشف عنه أصحابه يوم أحد كسرت رباعيته، وجرح وجهه، فقال وهو يصعد على أحد: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟!» - فأنزل الله مكانه: (**ليس لك من الأمر شيء**) الآية أخرجه ابن جرير (٦) / (٤٤)، (٤٦)، (١٤٣)، وأبو عمرو الداني في المكتفى في الوقف والابتدا (١) / (٤٤) مرسلا - .

(١٤٥٤٥) - عن قتادة بن دعامة، قال: ذكر لنا: أن هذه الآية أنزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد، وقد جرح في وجهه، وأصيب بعض رباعيته، وفوق حاجبه، فقال - وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم - : «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟!» - فأنزل الله: (**ليس لك من الأمر شيء**) الآية أخرجه ابن جرير (٦) / (٤٥) مرسلا - .

(١) ".

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٨٣/٧

"(١٤٥٤٦) - عن قتادة بن دعامة: أن رباعية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصيبت يوم أحد، أصابها عتبة بن أبي وقاص، وشجه في وجهه، فكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «كيف يفلح قوم صنعوا هذا بنبيهم؟!» - فأنزل الله: (**ليس لك من الأمر شيء**) الآية أخرجه ابن جرير (٦) / (٤٥)، وابن المنذر (١) / (٣٧٥) ((٩٠٨)) - قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١) / (٢٢١): «معضل» - .

(١٤٥٤٧) - عن عكرمة، نحو ذلك - وزاد فيه: أدمى رجل من هذيل يقال له عبد الله بن قمئة وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد، فدعا عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وكان حتفه أن سلط الله عليه تيسا فنطحه حتى قتله أورده الثعلبي (٣) / (١٤٧) عن عكرمة وقتادة مرسلا - .

(١٤٥٤٨) - قال عطاء: أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد أحد أربعين يوما يدعو على أربعة من ملوك كندة: مشرح، وأحمده، ولحي، وأختهم العمودة كذا في مطبوعة المصدر، ولعلها: «مشرح ومحرش وأبصعة وأختهم العمردة»، وينظر: الدر المنثور (١٢) / (٣٨٤).، وعلى بطن من هذيل يقال لهم: لحيان، وعلى بطون من سليم: رعل وذكوان وعصية والقارة، وكان يقول: «اللهم، اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»، فأجاب الله دعاءه، وأقحطوا حتى أكلوا أولادهم وأكلوا الكلاب والميتة والعظام المحرقة، فلما انقضت الأربعون نزلت هذه الآية أورده الثعلبي (٣) / (١٤٦) مرسلا - .

(١٤٥٤٩) - عن الربيع بن أنس، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد، وقد شج في وجهه، وأصيبت رباعيته، فهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو عليهم، فقال: «كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى الشيطان، ويدعوهم إلى الهدى ويدعونه إلى الضلالة، ويدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار؟!» - فهم أن يدعو عليهم؛ فأنزل الله: (**ليس لك من الأمر شيء**) الآية؛ فكف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الدعاء عليهم أخرجه ابن جرير (٦) / (٤٥) - (٤٦) مرسلا - - ((٣) / (٧٦١)).

(١٤٥٥٠) - وعن محمد بن السائب الكلبي، نحوه أورده الثعلبي (٣) / (١٤٥) - .

(١٤٥٥١) - قال مقاتل بن سليمان: (ليس لك) يا محمد (من الأمر شيء)، وذلك أن
(١) ".

"سبعين رجلا من أصحاب الصفة فقراء كانوا إذا أصابوا طعاما فشبعوا منه تصدقوا بفضله، ثم إنهم خرجوا إلى الغزو محتسبين إلى قتال قبيلتين من بني سليم: عصية، وذكوان، فقاتلوهم، فقتل السبعون جميعا، فشق على النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه قتلهم، فدعا عليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - أربعين يوما في صلاة الغداة؛ فأنزل الله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء) تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٠٠)، وجاء في تفسير الثعلبي (٣) / (١٤٧): «قال مقاتل: نزلت هذه الآية في أهل بئر معونة، وهم سبعون رجلا من قراء أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أميرهم المنذر بن عمرو، وبعثهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد، ليعلموا الناس القرآن والعلم، فقتلهم جميعا عامر بن الطفيل، وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق فلما قتل رفع بين السماء والأرض، فوجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ذلك وجدا شديدا وقنت عليهم شهرا، فنزلت: (ليس لك من الأمر شيء)» - .

تفسير الآية

(١٤٥٥٢) - قال مقاتل بن سليمان: (أو يتوب عليهم) فيهديهم لدينه، (أو يعذبهم) على كفرهم، (فإنهم ظالمون) تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٠٠) - ذكر ابن جرير ((٦) / (٤٢)) أن معنى قوله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم)، أي: «ليقطع طرفا من الذين كفروا، أو يكبتهم، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم، فإنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء» - وأن قوله: «(أو يتوب عليهم) منصوب عطفا على قوله: (أو يكبتهم)» - ووجه ابن عطية ((٢) / (٣٥٠) - (٣٥١)) هذا العطف بقوله: «فقوله: (ليس لك من الأمر شيء) اعتراض أثناء الكلام، وقوله: (أو يتوب) معناه: فيسلمون، وقوله: (أو يعذبهم) معناه: في الآخرة بأن يوافوا على الكفر» - ثم ذكر ابن جرير احتمالا آخر أن المعنى: «ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم، فيكون نصب (يتوب) بمعنى: أو، التي هي في معنى: حتى» - ووجهه

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٨٤/٧

ابن عطية بقوله: «فيجيء بمنزلة قولك: لا أفارقك أو تقضيني حقي، وكما تقول: لا يتم هذا الأمر أو يجيء فلان، وقوله تعالى: (**ليس لك من الأمر شيء**) ليس باعتراض على هذا التأويل، وإنما المعنى الإخبار لمحمد أنه ليس يتحصل له من أمر هؤلاء الكفار شيء يؤمله إلا أن يتوب الله عليهم فيسلمون، فيرى محمد أحد أمليه فيهم، أو يعذبهم الله بقتل في الدنيا، أو بنار في الآخرة أو بهما، فيرى محمد - صلى الله عليه وسلم - الأمل الآخر، وعلى هذا التأويل فليس في قوله: (**ليس لك من الأمر شيء**) ردع كما هو في التأويل الأول» - ورجح ابن جرير المعنى الأول مستندا إلى الدلالة العقلية، وعلل ذلك بقوله: «لأنه لا شيء من أمر الخلق إلى أحد سوى خالقهم قبل توبة الكفار وعقابهم، وبعد ذلك» - وكذا ابن عطية قائلا: «وذلك التأويل الأول أقوى» - .

(١) ".

"(١٤٥٥٣) - عن محمد بن إسحاق - من طريق سلمة - قال: ثم قال لمحمد - صلى الله عليه وسلم - : (**ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون)، أي: ليس لك من الحكم في شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم، أو أتوب عليهم برحمتي، فإن شئت فعلت، أو أعذبهم بذنوبهم (فإنهم ظالمون)، أي: قد استحقوا ذلك بمعصيتهم إياي أخرجه ابن جرير (٦) / (٤٣)، وابن المنذر (١) / (٣٧٦) من طريق زياد، وابن أبي حاتم (٣) / (٧٥٧) - (٧٥٨) - .

(١٤٥٥٤) - قال يحيى بن سلام: فيها تقديم وتأخير؛ قال: (ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين)، (أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون)، (**ليس لك من الأمر شيء**) تفسير ابن أبي زمنين (١) / (٣١٧) - وأخرجه أبو عمرو الداني في المكتفى ص (٤٥) ((٢)) - .

آثار متعلقة بالآية

(١٤٥٥٥) - عن مقسم: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته، ووثأ وثأ، أي: ضربه فقطع اللحم ووصل إلى العظم من غير أن يكسره - اللسان (وثأ) - وجهه، فقال: «اللهم، لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرا» - قال: فما حال عليه الحول حتى مات كافرا أخرجه البيهقي في الدلائل (٣) / (٢٦٥)، وعبد الرزاق (١) / (٤١٢) ((٤٥٥))، وابن جرير (٦) / (٤٦) - قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١) / (٤١٤): «مرسل» - وقال البقاعي في نظم الدرر (٩)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٨٥/٧

/ (١٨٢): «عن مقسم مرسلا» - .
(١٤٥٥٦) - عن يعقوب بن عاصم - من طريق ابن جريج - قال: الذي أدمى وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد هو رجل من هذيل، يقال له: ابن قمئة، فكان حتفه أن سلط الله عليه تيسا؛ فنطحه حتى قتله أخرجه عبد بن حميد ص (٥٣) - (٥٤) - .
". (١)

"{ليقطع طرفا من الذين كفروا} متعلق بقوله: {وما النصر إلا من عند الله}؛ أي: ليهلك طائفة منهم، ويذل بالقتل والأسر، وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من صناديد قريش ورؤسائهم.

{أو يكبتهم}: يخزيهم، ويغيظهم بالهزيمة.

{فينقلبوا خائبين}: غير ظافرين بمطلوبهم.

* * *

(١٢٨) - **{ليس لك من الأمر شيء** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون}.

{ليس لك من الأمر شيء}: اعتراض.

{أو يتوب عليهم أو يعذبهم}: عطف على قوله: {أو يكبتهم}، والمعنى: إن الله تعالى مالك أمرهم؛ فإما أن يهلكهم، أو يكبتهم، أو يتوب عليهم إن أسلموا، أو يعذبهم إن أصروا، وليس لك من أمرهم شيء، وإنما أنت عبد مأمور بإنذارهم وجهادهم.

ويحتمل أن يكون معطوفا على {الأمر} بإضمار (أن)؛ أي: ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٧/٤٨٦

تعذيبهم شيء، أو على {شيء}؛ أي: ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم.

الجزء: ٢ - الصفحة: ٣٧٩

روي أن عتبة بن أبي وقاص شجه يوم أحد، وكسر رباعيته، فجعل يمسح الدم عن وجهه، ويقول: "كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم؟! " فنزلت (١).

{فإنهم ظالمون}: قد استحقوا التعذيب بظلمهم، تعليل للتعذيب.

* * *

(١٢٩) - {ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم}.

{ولله ما في السماوات وما في الأرض}: خلقا وملكا فله الأمر كله.." (١)

(١) تفسير ابن كمال باشا ٣١٠/٢